

خورخي لويس بورخيس

الأعمال الشعرية

الجزء الثاني

ترجمة: خالد الريسوني

منشورات الجمل

شعر

خورخي لويس بورخيس: الأعمال الشعرية، الجزء الثاني

خورخي لويس بورخيس

الأعمال الشعرية

الجزء الثاني

(١٩٦٤-١٩٧٢)

ترجمة: خالد الريسوني

منشورات الجمل

خورخي لويس بورخيس: الأعمال الشعرية، الجزء الثاني، الطبعة الأولى
ترجمة: خالد الريسوني
كافة حقوق النشر والاقتباس باللغة العربية
محفوظة لمنشورات الجمل، بغداد ٢٠٢١

Jorge Luis Borges: *Poesía Completa*, Vol. 2: 1969 – 1976
© 1995, María Kodama
All rights reserved

© *Al-Kamel Verlag* 2021
Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

متاهة لا مخرج لها^(١)

١ . القلق الوجودي

في الدراسة القيّمة التي تتميز برؤية شاملة وواضحة لعالم بورخيس، يُؤكّد إنريكي أندرسون إمبيرت الانبهارَ الدائم الذي مارسه بورخيس ويُمارسه على قرائه (خاصة من حقل الأدب)، وهو تأثيرٌ يصدر عن رؤيته المتفرّدة للكون وطريقة استيعابه له؛ تلك الرؤية الغريبة التي تجسّدها جميع أعماله وتبدو أكثر تجليًا وبروزًا في أعماله الشعرية .

لعلّ ما يُثير ويأسرُ في بورخيس أكثر هو عقله، والعالم الداخلي الذي تعكسه كتاباته . وأمام الصعوبة التي ينطوي عليها اكتشاف وتحديد المُعتقد الشخصي لبورخيس، يقترح أندرسون إمبيرت، في البدء، إثبات ما ينفيه بورخيس: إنّ ما ينفيه هو إمكانُ المعرفة . بورخيس مُتشكك . وإذا أخذنا بعين الاعتبار بعضًا من مُغالطاته، فسنجد أنفسنا نميلُ إلى تصنيفه على أنه مؤمنٌ بوحدة الذات

(١) هذا التقديم هو، في الأصل، فقرات مُترجمة من كتاب «شغف اللغة، مقاربات لشعر خورخي لويس بورخيس» للكاتب ماوريسيو بينيا دافيدسون . اختارها المترجم بغاية إضاءة جانب من عالم بورخيس الشعري .

«solipsiste». تؤكّد نظريّة وحدة الذات على فكرة أنّ «الأنّا» توجد وحدها - solus ipse - ولا يوجد شيءٌ خارج الوعي: والكون سيكون مرآة، حلمًا، ابتداءً. لكنّ بورخيس يُسلّم بوجود واقع خارجيّ. في كلماته الأخيرة في كتاب «مُحاكمات أخرى» يقول: «العالم، للأسف، حقيقيّ، وأنا، للأسف، هو بورخيس». لذلك، فهو ليس مؤمنًا بنظريّة وحدة الذات، لكنّه مثاليّ ذاتيّ. . . .

بالنسبة إلى بورخيس، الكون لا معقول وغير قابل للاستيعاب وشنيع. الذكاء البشريّ غير قادر على احتوائه، ناهيك عن معرفة ماهيته. عندما يُحيل بورخيس على الكون، يستعملُ صفاتٍ ونعوتًا تعكسُ ذلك الارتباك: عباراتٌ مثل «مستغلق»، «لا تُسبّر أغواره»، «غير قابل للتخيّل» شائعةٌ في صفحاته الصارمة والمُكثّفة، حيث يُمكن أن يتخذ تصوّرُ جهل جذريّ أبعادًا كونيةً. «وبدلاً من إطلاق صرخات كُرْبَاتِهِ وقلقه مثل الوجوديين، يفضّل بورخيس أن يبرّر ارتيابه وشكوكه. وشكّه الأكبر يتمثل في أنّ العالم فوضي، وداخل تلك الفوضى يضيع الإنسان كما لو كان في متاهة».

المتاهة رمزٌ نموذجيّ للكون البورخيسيّ، فلا مخرج لها، لأنّها لا نهائية. قدرنا أنّ نتيه فيها، مثل المينوتور في الأسطورة، أستيريون، تلك الشخصية الرمزيّة لبورخيس ذاته التي كان من المفترض أن تُلهمه إحدى أكثر قصصه اكتمالاً وذات النبوة الشخصية: «بيت أستيريون». المتاهة موصوفة في أحد السوناتات الرائعة؛ السوناتة مع أصداء حكم مأساويّ، حيث يقول:

أبدأ لن يكون هنالك بابٌ. أنت في الداخلِ

والقصرُ يحتضنُ الكونَ

لا ظَاهِرَ لَهُ ولا باطن
لا جِدَارَ خَارِجِيًّا ولا مَرَكزَ سِرِّيًّا
لا تَتَنظَّرُ من قسوةِ طَرِيقِكَ
الذي يَتَشَعَّبُ في عِنَادِ نَحْوِ آخَرَ
أَنْ تَكُونَ لَهُ نِهَايَةً. مَصِيرُكَ من حديدٍ
مثلما هو قاضيك. لا تَتَنظَّرُ هُجُومَ الثَّوْرِ
الذي هو رَجُلٌ، وشكُّهُ الغريبُ
المتعدِّدُ يعطي إحساسًا بفضاعةِ الوَرطَةِ
من حَجَرٍ متشابِكٍ لا مُتَناهٍ.
مُنْعِدِمٌ الوجودِ. لا تَتَنظَّرُ شَيْئًا،
ولا حتَّى الوَحْشِ في الغَسَقِ الأَسْوَدِ.
«متاهة»، من ديوان: «الوردة العميقة».

عند كتابة هذه القصيدة، يبدو أن بورخيس قد حاول أن يكشف من كلماته المُتعالية، وفق صيغته القُصوى، عن فكرة مصير حتمي لا رُجوع فيه، محدّد سلفًا وقدري. لكن ثمة سوناتة أخرى حيث، إلى جانب تصور أن الآتي يوجد بالفعل مكتوبًا ومختومًا، يفتح مع ذلك أمل أخير: أن تتدخل الألوهيّة ذاتها لكسر التسلسل الحديديّ للأسباب والنتائج، وتعديل مجرى الزمن. ومخو حتى جزء من الكتابة التي تحتوي تخطيطاته المجهولة:

الآتي قطعيّ جدًّا
مثل الأمس القاسي. ليس ثمة شيء

لا يكون حرفًا صامتًا
من الكتابة الأبدية التي لا يُمكن فكّ شيفرتها،
والتي كاتبها الزمن. مَنْ يبتعد
عن بيته ها قد عاد. حياتنا
هي الدرب الآتي والذي تمّ اجتيازه
لا شيء يقول لنا وداعًا. لا شيء يتركنا.
لا تستسلم، سجن العبيد مُظلم
المؤامرة المُحكّمة من حديد مُستديم،
لكن في زاوية ما من مَحْبِسِكَ.
قد يكون ثمة سهوٌ أو شقوقٌ.
الطريق قاتلٌ مثل السهم
لكن في التشقّقات يوجد الرّبُّ المتربّصُ.
«لأجل صيغة من أنا الملك»،

من ديوان: «القطعة النقدية الحديدية».

في ضوء هذه السوناتات، ليس هناك شكّ في أنّ بورخيس يفهمُ
الأدب على أنه فنُّ لهو ومرح، لعبة تسمح له بتطوير ودمج واستنفاد
المذاهب والنظريات والتأويلات الأكثر تعارضًا للكون والإنسان.
يُمكنك إذن هكذا، في بضعة أسطر، الانتقال بسهولة - وبسعادة
- من التشاؤم الأشدّ غورًا وشللاً للحركة إلى الأمل المُضيء الذي
تُمثله المُعجزة والدين والألوهية.

لا يستطيع الشاعر أن يتقبّل بشكل سلبيّ تلك «المتاهة الكريهة»
التي يبدو أنه محكومٌ عليه أن يتحمّلها، والتي يجهلُ أسبابها
وغاياتها. بالطبع، من بين العديد من أشكال الهروب المحتملة، يُعدُّ

الموت أكثرها طبيعية، فهو «الذي يُحرّرنّا من الشمس والقمر والحبّ»؛ يُحرّرنّا من «الكون الذي لا يُحتمل»:

الارتياح الذي سنشعرُ به أنا وأنت
في اللحظة التي تسبقُ الموت،
حين يحَرِّرنّا الحظُّ
من العادة الحزينة لأن تكونَ شخصًا ما
ومن ثقل الكون.

«ثالوث»، من ديوان: «المتأمرون».

لقد ألهم الإبداعُ الأدبيُّ، بوصفه «المخرَج» المفضّل لبورخيس، تأويلات مُتعدّدة. بدءًا من «صراع الروح ضدّ العوائق، للتمكّن من التعبير الكامل عن تفرّد حياتنا الشخصية» (أندرسون إمبيرت) حتى «خلق عملٍ للعبقريّ على المُستوى الثقافيّ والخروج من المعبر السيئ من خلال التعالي المصلح، على المُستوى الشخصي» (ديديه أنزيو). يبقى هنالك موردٌ يشيرُ إليه بورخيس بشكلٍ خفيّ عندما يتحدّث عن «الباب المفتوح دائمًا»، أي باب الانتحار، الذي حاول بورخيس على ما يبدو اجتيازه في مناسبة ما. محاولة جدّية للغاية كان من المُمكن أن تحدّث حين بلغ سنّ الخامسة والثلاثين، كما يوحي بذلك نصّه السرديّ المعنون بـ: «٢٥ أغسطس ١٩٨٣»، الذي كُتب في سنوات عُمره اللاحقة. وثمة أيضًا صفحات جدّ معبّرة وملموسة عن الانتحار المُتعمّد والهادئ، مثل تلك الخاصّة بليوبولدو لوغونيس وفرانسيسكو لوبيث ميرينو.

الأكثر وضوحًا هو «غواية» الانتحار الذي يذكره بورخيس في الصفحة التي يخصّرها بها جنيف (حيث كان رفقة عائلته من عام ١٩١٤

إلى عام ١٩١٨)؛ الصفحة التي توجَد في أحد كُتبه الأخيرة:
«أطلس». إلى جانب ذلك، تحظى بأهمّية خاصّة أيضًا قصيدة
موجزة، لكنّها مكثّفة تحملُ بالتحديد عنوان «المُنْتَحِر» من ديوان:
«الوردة العميقة»، حيث يتمّ تخمين أفكار مُثَقَّف «متوحّد في ذاته» في
اللحظة ذاتها التي يوقف فيها حياته:

لن تبقى هنالك نجمة في الليل .
لن يبقى الليل .
سأموت ومعى جُمَاعُ
الكون اللايُحتمل .
سوف أمحو الأهرامات والقلاذات
القارّات والوُجوه .
سوف أمحو تراكُمات الماضي .
سوف أجعلُ الحكاية غبارًا، والغبار غبارًا .
أنا أنظرُ إلى ربح الدبور الأخيرة .
أستمعُ إلى الطائر الأخير .
أورثُ العدم للأحد .

مثل قوّة خلاقة للعالم، إله صغير يُفني عالمه الشخصي، في ذلك
الفعل من العُنف الفائق، يُدمّر الانتحاريّ كلّ شيء. ومع ذلك، في
كثير من الأحيان، يلعبُ بورخيس دائمًا بالأطروحة ونقيضها،
ويحاول إظهارَ الوجه الآخر للعملة: فضائل السماء، وهبات
الوجود، التي تُخفّف «أحزان الحياة الواعية»:

أودُّ أن أقدمَ الشُّكرَ للمتاهة
الإلهيّة للأسبابِ والآثارِ المترتِّبة

على تنوع الكائنات
التي تُشكّل هذا الكون المُتفرّد (. . .)

ذلك ما يقوله بورخيس في بداية «قصيدة أخرى للهبات»، من ديوانه «الأخر، هو ذاته»، ليلجّ بعد ذلك إلى أحد التعدادات الفوضويّة المدوّخة (التي تخضع، وفق بورخيس، لترتيب سرّي)، حيث تتشابك الوقائع والأشياء الأكثر تباينًا من جميع الأشكال والأنواع، وبشكل مُتناقض في علاقاتها في بعض الأحيان: «النوم والموت ذينك الكنزين الخفيّين»؛ «خوارق شرسة وابتهاجات فظيعة»؛ دائمًا بالأسلوب الرائع الذي يسمح بتلمّس أصداء والت ويتمان. ليست قليلة القصائد التي يحتمي فيها بورخيس بـ«الهبات» التي مُنح إياها أو عرفها، من خلال تأليفات يكمنُ سحرها في مهارته في تعداد مواضيع مختلفة، ومن ثمّ، تقديم صورة لعالم لا نهائيّ. من بين هذه القصائد، تستحقّ بحسب رأينا كثيرًا من التنويه، تلك التي تحملُ عنوان «الهبات» والمُتضمّنة في «أطلس»؛ صفحة خالدة، وتكثيفٌ مُشرقٌ للمعان لشعر غنائيّ يحتضنُ الحكمة، حيث يُمكننا أن نقرأ هذا المقطع الشعريّ:

مُنح الموسيقى اللامرئية

التي هي هبة الزمن ومع الزمن تنتهي.

مُنح الجمال المأساويّ،

مُنح الحبّ، شيء رهيب

(. . .)

مُنح اللغة، تلك الأكذوبة،

مُنح الجسد وهو طينٌ

وَمُنِحَ الكابوسَ البَدِيءَ

وفي البلّور الآخر، ذاك الذي ينظر إلينا .

يشعر بورخيس بالامتنان لكلّ شيء، أو تقريبًا لكلّ شيء، حصلَ عليه، ليس فقط لأجل التجربة أو لأجل المعرفة التي قُدِّمَتْ له، بل لأنّ مثل هذه الوقائع ساعدته على العثور على ذاته وخلق أدبه، وإن كان ذات مرّة قد قال إنّهُ ما زال ينقصه فقط أن يُقدِّم الامتنان للمصائب. والحقيقة أنّه فعلَ ذلك أكثر من مرّة، مُمتنًا للشيخوخة والعمى وحتى الكابوس: «نحمد الكابوس الذي يكشف لنا أننا نستطيع أن نخلق الجحيم» كما جاء في قصيدة «السعادة»، من ديوان «الشفرة» .

لن يكون من باب الخطأ أن نرى في هذا الاحتفال الغريب لمحةً من السخرية المريرة، لكن حسب بورخيس، فالشورور والمصائب والبلايا هي أفضل مادة لكتابة الشعر. سيكون الشاعر مثل الملك ميداس. هذا الذي كان يُحوّل كلّ شيء كان يلمسه إلى ذهب، والآخر يُمكنه أن يُحوّله إلى شعر.

يُترجم الكثير من شعر بورخيس حنينًا رثائيًا لأيام الماضي وصوره ولحظاتٍ منه، في توافق تامّ مع توشيحة خورخي مانريكّي: «مثلما يعنُّ لنا في الرأي / أنّ أيّ زمن مضى هو الأفضل». ذلك الماضي من «مباهج قصيرة ومن أحزان مديدة»، هو الشيء الوحيد الذي نمتلكه حقًا وهو ليس خاليًا من الجمال: «بِحَسَبِ المَعْلُومِ، هذه الحياة المُتقلِّبة، / من بين أشياء عديدة، قد تكونُ جدًّا جميلة / وكان كذلك مساءً ما نظرنا خلاله إليك / إذ كُنْتَ بِصُحْبَتِهِ أيا قَمَرًا مُشترَكًا». قصيدة «القمر»، من ديوان: «الآخر هو ذاته» .

قال أوسكار وايلد ذات مرّة إنّ أعظم خطيئة هي عدم امتلاك الخيال. وبالنسبة إلى بورخيس، فإنّ أسوأ شيء مُمكن هو عدم امتلاك ذاكرة، لأنّه، مثلما كتب في مديحه المحذر لجنيف، يقول: «كلّ شيء في الذاكرة سارٌّ، حتى البلايا».

بالعودة إلى «اللازمة المتكرّرة» عند شاعرنا، أي لغز الكون، فمما لا ريب فيه أنّ القلق من عدم العثور للكون على معنى، وضمنياً عدم معرفة الغاية من الوجود الإنسانيّ، هو من الثوابت في أعماله، هكذا يقرُّ إلى حدّ كبير بذلك في مناسبات عديدة. لقد اعترف بورخيس لجورج شاربونيه بأنّه بلورَ إنتاجه الأدبيّ متأثراً بـ: «فكرة أنّه تائه في الكون، وبعدم استيعابه له (...). من خلال الإحساس بالعزلة والقلق واللاجدوى، وبالملمح المُلغز للكون وللزمن، وبما هو أهمّ في ذواتنا نفسها، لكي نقول ذلك بصريح العبارة وإلى الأبد في ذاتي».

لكن جون أبدايك هو الذي تمكّن بوضع كلمات من الكشف عن الرؤية الكونية غير المسبوقة لبورخيس، يقول: «مع بورخيس نمضي مُتقدّمين نحو ما هو أبعد من علم النفس، وأبعد ممّا هو إنسانيّ، وتواجهنا أعماله مع عالم مفكّك العناصر وفارغ، ربّما منذ لوكريتيوس لم يكن ثمّة شاعرٌ آخر يُحسّ بشكل جدّ قاطع ونهائيّ أنّ الإنسان مجردّ حادثة في الفضاء».

قال بورخيس لمارغريت يورسنار: إنه لمن دواعي الريبة أن يكون للكون أيّ معنى. ومع ذلك، لا يمكن إنكار أنّ الكون غير القابل للتخيّل قد خدم بورخيس في أن يصوغ شعريّاً وبشكل مسكوك رمزاً مُتقناً، أي المتاهة، ويصوغ انطلاقاً من قراءاته وارتياياته وحدوسه الفلسفيّة أدباً جميلاً، مثلما اعترف بذلك هو نفسه، في كلمات تفسّر

بشكل جيّد جدًّا موهبته القويّة، مثقّفًا وشاعرًا: «ربما تكون نهاية المتاهة، إذا كانت للمتاهة نهاية، هي تحفيز ذكائنا، وجعلنا نفكّر في اللغز وليس في الحلّ: نحن كائنات بشريّة، وليس شيئًا أكثر، ولكنّ البحث عن ذلك الحلّ ومعرفة أنّنا لن نعثر عليه شيءٌ جميل. ربّما تكون الألغاز أهمّ من الحلول». مارغريت يورسنار، «بورخيس الرائي».

٢. جماليّة التعاسة

لا جدل إذن في أنّ الشعر كان بالنسبة إلى بورخيس الجنس الأدبيّ الأرقى للأدب، وتبعًا لذلك فإنّ أفضل الكتاب في العالم كانوا شعراء في الأساس: هوميروس، فيرجيل، دانتي، شكسبير، والت ويطمان وآخرين، وهو حكمٌ مُشابه جدًّا لما كان قد أعلنه شاعره المفضّل ليوبولدو لوغونيس، الذي كان «الشعراء الأساسيون» بالنسبة إليه هم: هوميروس، ودانتي، وفيكتور هوغو، ووالث ويطمان. لقد كان بورخيس يرى أنّ الشعر يحتاج إلى الجودة العالية لكي يكون مُستديمًا، وهو مفهوم أكّد عليه في مناسبات مُختلفة، مع بعض الاختلافات الطفيفة. كان مُقتنعًا أيضًا أنّه لأجل الإبداع، أو الإبداع الأدبيّ، ليس ثمة من مصدر للإلهام أفضل من المُكابدة والهزيمة. وأثناء مُحادثة مع ماريا إستر فاسكيث، صرّح قائلاً: «بشكل غريزيّ، يحسُّ المرء أنّ التعاسة تجربة أكثر ثراءً، وأكثر كثافة من السعادة (...). لذلك فهي مادّة أفضل للجمال (...). والدليل أنه ليس ثمة أيّ شعر للسعادة تقريبًا».

لكنّ بورخيس لم يَكُن فقط يعرفُ القيمة الجماليّة للشدائد والبلايا؛ فهو نفسه كان يتحمّل العديد من المحن الشخصية لم يستطع

أصدقاءه وأولئك الذين استطاعوا أن يعرفوه أن يجعلوه يتوقف عن مكابذتها. الكاتب البولندي ويتولد غومبروفيتش، على سبيل المثال، دوّن، في يومياته التي سجلَ فيها تجاربه في بوينوس آيريس بعد الحرب العالميّة الثانية بفترة وجيزة، هذا الانطباعَ الأوّلي الذي تركهُ بورخيس لديه: «في ذلك العشاء كان بورخيس أيضًا حاضرًا، وقد يكون هو الكاتب الأرجنتينيّ الأكثر موهبة، إذ تمتّع بذكاء كانت المُعانةُ الشخصيّة تزيد من تفاقم حدّته...».

أن تكون ربّة الإلهام تغمُرُ المرءَ بفيض الإلهام والمعاناة، في الآن نفسه، فذلك مفهومٌ قديمٌ مثلما هو قديمٌ المذهبُ الرواقِيّ الذي يقبلُ المصائبَ وسوء الحظّ. بالنسبة إلى مارسيال (بابلو فاليريو): من السهل أن يُحتقر الموت؛ قيمة كبرى يُفترض أن تكمن في أن يكون المرءُ تعيّسًا. لقد كان ماركو أوريليو يؤكّد أنّ الشدائد ليست كوارث وبلايا، مادامت مكابذتها بتعالى النفس وسُمّوها سعادةً؛ هكذا نصلُّ إلى الطرف الأقصى الآخر: ستكونُ المعاناة هي محكّ الإنسان، والدليلَ على أنه يحتاج لأن يكون له وعيٌ وإدراك بقيمته في ذاته ولذاته.

فلنتأمّل كيف يصوغ بورخيس كآبته الخفيّة في سياقات مُختلفة، لكن دائمًا بكرامة مُتسامية لأسلوبه الكلاسيكي الذي كان يُفضّل العناية بتفاصيله الدقيقة، إنه يتجلى في الإغفال المتعمّد للتفخيم والتشديد (كما كان يفعل هوراس، الذي أسماه بورخيس «الشاعر الأشد إغازا») و«دنو وحي لا يحدث»، مثلما يحدّد هو الحقيقة الجماليّة. هنا يبدو أنه لا مفرّ من إعادة إنتاج القصيدة الأكثر شيوعًا أثناء أيامه الأخيرة في جنيف، والتي طلب بورخيس حذفها من أعماله الكاملة:

قد ارتكبتُ أبشع الخطايا
التي يُمكن أن يرتكبها إنسانٌ. لم أكن
سعيدًا. فلتسحّبني أنهارُ جليد النسيان
نحو الأسفل ولتضيّعني غير مُشفقة.
أبواي أنجباني من أجل لعبة
الحياة المُجازفة والبهية،
لأجل الأرض والهواء والماء والنار.
لكنني خذلتُهما. لم أكن سعيدًا. لم أحقق
إرادتهما الصغيرة. ذهني
تعوّد على لجاجات الفنّ
المتماثلة التي تنسجُ تفاهات.
أورثوني الجسارة. ولم أكن جسورًا.
أبدًا لا يهجرني الظلّ، هو دائمًا إلى جانبي
ظلّ أنّي كنتُ تغيّسًا.

«تأنيب»، من ديوان: «القطعة النقدية الحديدية».

إنّ يقين أن تكون قد وُجِدْتَ في الجحيم مرّات عديدة (بما أنّ
الجحيم يُمكن ألا يكون مكانًا فظيعةً، ولا هنالك حيث تحدثُ أشياء
فظيعة، ولكنها حالة للروح التي تنتج الفظاعة، مثل الكابوس) يظهر
كثيرًا في أشعار بورخيس:

(...) أنا الآخر،

الذي كان مثل دانتلي ومثل الجميع

الناسُ في الفردوس الغريب
وفي جُحُمٍ عديدةٍ مُحْتَمَّةٌ . . .
«The thing I am» «الشيء الذي هو أنا»،
من ديوان: «تاريخ الليل»

تلك الفضاءة يُمكن أن تستمرّ على قيد الحياة في كلّ لحظة وبعدُ
لا تزال تترصّده في جولاته عبر بوينوس أيريس، المدينة التي حافظ
بورخيس حتى النهاية (طويلاً بعد «حماس بوينوس أيريس») معها
على علاقة مُتناقضة:

والمدينة الآن مثل خريطة،
لإهاناتي وإخفاقاتي؛
من ذلك الباب رأيتُ مشاهدَ غروب الشمس
وأمام ذلك الرخام انتظرتُ عبثاً.
هنا الأمس المجهول والراهن المُختلف
قد جلباً لي القضايا المُشتركة
لكلّ المصائر الإنسانيّة. هنا خطواتي
تحوُّك متاهة لا متناهية
هنا ينتظرُ المساء الرماديُّ
الثمارَ التي هو مدينٌ بها للصباح.
هنا سوف يتيهُ ظلي خفيفاً
في الظلّ الأخير الذي ليس أقلّ عبثيةً.
لا يُوحِّدنا الحبّ بل الرّهبةُ،
ربّما يكون هذا سبباً في كوني أحبّها أكثر.
«بوينوس أيريس»، من ديوان: «لأجل الأوتار الستّة».

تُحيلنا هذه الأسطر الشعرية للتوّ على قصيدة أخرى (كُتبت في الولايات المتحدة)، يبدو فيها أنّ بورخيس يلمّح إلى رغبة خفية في عدم العيش (ولا الموت؟) في بوينوس أيريس:

(...) كلّ هذا أغنيّه وأيضًا

الذاكرة اللا تُطاقُ للأماكن في بوينوس أيريس

والتي لم أكن فيها سعيدًا.

والتي لن أستطيع أن أكون فيها سعيدًا.

«إيست لانسغ»، من ديوان: «ذهب النمر».

لكن ثمة أيضًا أماكن مُرتبطة بذكرى سعادة مفقودة. في الثلاثية الأولى من الجزء الثاني من المقطوعة المعنونة بـ: «١٩٦٤» (السنة التي -يقال- إنّ بورخيس عانى فيها من إخفاق عاطفيّ)، لمّا اعترف أنّ امرأة تركته، يقول:

(...) السعادة التي منحّني

وانتزعتها منّي يجبُ أن تمحى.

ما كان يجبُ لكلّ شيء أن يصيرَ لا شيئًا

«١٩٦٤»، من ديوان: «الآخر، هو ذاته».

قد يبدو مثل الإعلان عن انتصار العقل، وإرادة التغلب على الهزيمة، لكنّ هذا الانطباع يتلاشى على الفور، في الثلاثية الأخيرة المكتّبة:

(...) تبقى لي فقط لذّة أن أكون حزينًا

تلك العادة الباطلة التي تجعلني أميلُ

إلى الجنوب، إلى باب مُعَيَّن، إلى زاوية مُعَيَّنة.
«١٩٦٤»، من ديوان: «الآخر، هو ذاته».

بالتأكيد، يبدو أن بورخيس قد جسّد في شخصه إحدى نظريات
أرتور شوبنهاور، والتي وَفَقَهَا يُعَدُّ «الألم ضروريًا للحياة وهو لا يأتي
من الخارج، كلّ واحد منّا يحمله في الداخل، مثل نبع لا ينضب».
ليس من المستغرب إذن أنّ بورخيس كان سيسعد بتكرار أشعار
ألمافويرتي (الشاعر بيدرو بونيفاسيو بالاسيوس)، الذي أحسّ الحياة
مثل شيء رهيب والذي أسماه بورخيس «صوفي الإخفاق»، مؤلّف
سطور مثل «السعادة الإنسانية لم تدخل في مقاصد الربّ» و«الهزيمة
تستحقّ أيضًا أكاليل غار وأقواس نصر»، جُمْلٌ كثيرًا ما كان يتذكّرها
بورخيس، مثلما يتذكّر واحدة لروبرت لويس ستيفنسون، يقول فيها:
«نتجاهل لماذا يوجد الإنسان، لكنّه من الواضح أنّه لم يولد من أجل
السعادة»، وأخرى لروديارد كيبلينج يشكر فيها الربّ على الألم
الجسديّ «الذي يسمح للأرواح بأن تنسى جُحْمه الأخرى». ومع
ذلك، يجب أن نُشير الاهتمام إلى عزيمة بورخيس المُتَعَفِّفة في لجوئه
إلى الصّمت وإخفائه للجراح:

(. . .) أنا الآن أخشى أن تنغلق المرأة

الوجه الحقيقيّ لروحي

الجريحة بالظلال والخطايا،

ما يراه الربّ وربّما يراه الناسُ.

«المرأة»، من ديوان: «تاريخ الليل».

لن يكون من المُبالغة الاعتقاد بأنّ بورخيس يُشكّلُ مثالًا، نموذجًا

لما يُسمّى بـ «الشعراء الغسقيين». حتى سنواته الأخيرة، عندما بلغ السكينة والهدوء، كانت الملا نخوليا والاكثتاب رفيقيه الدائمين . فجمّل من قبيل «لم أكن سعيدًا»، «تبقى لي فقط لذة أن أكون حزينًا»، ما هي إلا لحظات تتويج لمسار طويل، تقودنا آثاره إلى تأليفاته الشعرية الأولى، مثل تلك التي نُشرت عام ١٩٢٥، لكنها بلا شك كُتبت قبل ذلك بكثير، (والتي ظهرت مؤخرًا في المجلد الأوّل من النصوص المُستعادة)، حيث يتأسى بورخيس عند وصفه لمشهد طبيعيّ جميل:

(...) إهانة أن تكون حزينًا في البهاء

وشنار الأمل غير الراضي

(...)

هذا المكان شبيه بالنعيم .

وأنا لست سعيدًا .

«عبر مسارات نيم»

إنّ الحُزن والعزلة اللذين تشربّهما كلُّ شعر بورخيس، يُعتبران أكثر حدّة بسبب اقتصادية العبارة في شعره وبسبب التكثيف اللفظيّ عنده، وقد أثار ذلك انتباه قراء أعماله الشعرية، حيثُ يجدُّ أحدهم أنّ: «شعر بورخيس، خاصّة ذلك الذي يظهر بعد عام ١٩٦٠، يتميّز بتكثيف غنائيّ شديد، (...) يؤسس جماليّة من الحرمان والتعاسة» .

٣ . هذا الحلم، قدري

(...) مثل أيّ شاعر قد وهبه الصدفة

أو القدر حظًا غريبًا (...)

«أريوستو والعرب»، من ديوان: «الخالق» .

قدَّرَ وحظَّ (جنبًا إلى جنب مع حُلْمٍ وعتمة) توجد بين الكلمات التي تتكرَّر مرَّات عديدة على امتداد كلِّ كُتُب بورخيس، وخاصَّة منها تلك المتعلقة بالشعر، التي تكشفُ صفحاتها عن التيمات الأساسية لتأمَّلاته الدائمة والمُقلقة وحتى المهووسة. بالنسبة إلى بورخيس، فإنَّ قدَّرَ الإنسان «من أفراح قصيرة وأحزان مديدة»، هو لغزٌ مثل الحظِّ، مثل الكون، مثل الأحلام وتجريدات أخرى شغلت اهتمامه، في آيات تبدو إلى حدِّ ما وكأنَّها تنويعاتٌ على الموضوع ذاته، هكذا: الحظ الجليّ أو القوانين السرية التي تتحكَّم في هذا الحلم،
قدري ...

التي نجدها في بداية «أغنية أودا تمَّ تأليفها سنة ١٩٦٠» (في ديوانه الشعريّ «الآخر، هو ذاته»)، تحافظ على توافقٍ مُدهش مع السطور التي تقول:
الحظ الملبسُ أو القوانين المُحكِّمةُ التي تتحكَّم في هذا الحلم،
الكون ...

التي هي الأسطر الافتتاحية لقصيدة: في ذكرى أ. ر.، وهي قصيدة تكريم واحتفاء بصديقه الشاعر والكاتب المكسيكي ألفونسو ريس. من السهل الانتباه إلى التناقض الحميم، التناقض اللفظي (الطباق)، الذي أدخله بورخيس عمدًا في هذا التكرار الظاهري، لأنَّ كلمة «جليّ» تتضاد مع «ملبس»، و«سريّ» تتضاد مع «محكم». لكن في قصائد أخرى هناك ترادفٌ بين المصطلحين:

(...) عالمٌ سائلٌ

تشوّهات الأشكال التي تختلف مثل الغيوم
خاضعة لتحكُّمِ القَدَرِ

أو الحظ، وهما الشيء ذاته (. . .)

«استعارات ألف ليلة وليلة»، من ديوان: «تاريخ الليل»

فالفكرة البورخيسية، بناءً على هذا الترادف، توجد متحققة تمامًا
في عبارة مُحيرة:

الحظّ أو القدر، هذان الاسمان

لشيء سرّيّ نجهله (. . .)

«الأمس»، من ديوان «المتأمرون».

إذا تصوّرنا القدرَ بوصفه شيئًا محددًا سلفًا، حتميًا ونهائيًا، فإنّ
(Azar) الحظّ (كلمة من أصل عربي: لعبة النرد) تعني اللامتوقع،
والعرضي، والصدفويّ. في هذه النقطة، من الجدير التساؤل: لماذا
صنّع بورخيس من القدر، ومن ضده الحظّ، حافظًا جدّ مُلِحّ ومُميّزٍ
لأدبه؟ ربّما للحاجة الشديدة للعُثور على تفسير لوجوده الذاتيّ
المُعذّب.

بشكلٍ أو بآخر فإنّ صفحات بورخيس مليئةٌ ومُشبعةٌ بالإشارات
والحكايات والمفاهيم والنظريّات حول القدر. ومن المُفارقات،
يلاحظ غييرمو سوكري، أنّ فكرته المُهيمنة هي كون الإنسان يجهلُ
دائمًا من يكون، وبالتالي، فهو أيضًا لا يعرف ما هو قدره. استثناءً
وحيد سيكون في قصيدة «المنتحر»، الذي تعمّد ببرود مع سبق
الإصرار ونقذ فناءه الذاتيّ، وهو ما يُدكرنا بعبارة ليوبولدو لوغونيس،
الذي يعتبر أنّ «الرجل سيّد حياته وهو أيضًا سيّد موته».

باتّباع المنطق البورخيسيّ، تمامًا كما هو الشأن بالنسبة إلى
اليونانيّين، فإنّ أهمّ شيء كان هو معرفة الذات؛ الواجب الأوّل

للإنسان هو اكتشاف مَنْ هو، لأنّ باكتشافه ذلك سيكتشف أيضاً قدره. يجب أن نتذكّر مرّة أخرى سهولة قدرة بورخيس على اللعب بالتنوعات المختلفة للمذاهب والمعتقدات والخرافات، مُستعملاً إيّاها مادةً لمتخيّله الأدبيّ، متظاهراً في بعض الأحيان بالإيمان بها، أو أكثر من ذلك، بتبنيها أحياناً على أنّها تخصّه، وهو ما يتسبّب في غير قليل من الارتباك والحيرة بشأن قناعاته الشخصية.

تجد فكرة قدر حتميٍّ ووحيد وثابت، مثل سهمٍ يُلقى نحو هدفٍ محدّدٍ، تعبيراً صارماً وغير متوازن في الأبيات الشعرية التالية، التي تُترجم المونولوج المتخيّل لمينوتور:

زُيوسُ لن يستطيعَ فكَّ شَرِكِ
الأحجارِ التي تُحاصرُنِي، قد نَسِيتُ
الرّجالَ الذين كُنْتُهُمْ؛ أو أصِلُ
الطّريقَ المقيتَ من جُدرانِ رَتِيبةٍ
فَذاكَ قَدَرِي. (. . .)

«المتاهة»، من ديوان: «مديح العتمة».

صورةٌ تتشخّصُ في قصيدةٍ أخرى تُشيرُ إلى رجلٍ أعمى ضاع في تلك المتاهة:

(. . .) يُحسُّ أنّ الأفعال التي يقومُ بها
بشكلٍ لا نهائيٍّ في الغسقِ
تستجيبُ للعبةٍ لا يفهمُها
والتي يقودُها إلهٌ لا يُمكنُ فكَّ شيفرته (. . .).

«يوم سبت»، من ديوان: «تاريخ الليل».

هُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ الْقَصَائِدِ الَّتِي يَظْهَرُ فِيهَا بَوْرخِيسُ الْقَدْرِيِّ، رَغْمَ
أَنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ، كَمَا نَكَرَّرُ، بِلَعْبَةٍ، وَبِتَوْظِيفِ أَدْبِيِّ. إِنَّا نَرَى مِنْ
خِلَالِهِ شَخْصًا يَبْلُغُ غَايَتَهُ انْطِلَاقًا مِنَ التَّعْبِيرِ عِبْرَ صَوَرٍ جَمِيلَةٍ عَنِ قَدْرِ
حَدِيدِي:

خَلْفَ الْقَضْبَانِ الثَّابِتَةِ، سَيُكْرَّرُ

الْفَهْدُ الْمَسَارَ الرَّتِيبَ

الَّذِي (دُونَ أَنْ يَعْرِفَ ذَلِكَ) هُوَ قَدْرُهُ

قَدْرُ جَوْهَرَةٍ سَوْدَاءَ، مَشْوُومَةٍ وَسَجِينَةٍ (...)

«الفهد»، من ديوان: «الوردة العميقة».

أَنَا لَعِبَةُ الْقَدْرِ! يَصِيحُ رُومِيو حِينَمَا تَنْطَلِقُ مَأْسَاةَ شَكْسِيرٍ. دَائِمًا
بِشَكْلِ هَزَلِيٍّ، غَالِبًا مَا يَتَخَيَّلُ بَوْرخِيسُ نَفْسَهُ أَسِيرًا وَضَحِيَّةَ شَيْءٍ
مَجْهُولٍ (أَلُوَهِيَّةَ، حَظًّا، قُوَى كُونِيَّةَ). كَمَا أَنَّهُ يَلْعَبُ بِالْفِكْرَةِ السَّائِدَةِ
بِشَكْلِ كَاسِحٍ عَنِ مَصِيرِ يَقْطَعُهُ الْقَدْرُ الْأَعْمَى، مِثْلَمَا هِيَ الْحَالُ لِمَا
تَحْدُثُ مَصِيبَةٌ صَدْفُويَّةٌ وَلَا مَتَوَقَّعَةٌ.

مَفْهُومُ بَوْرخِيسِ الْأَكْثَرِ انْتِشَارًا عَنِ الْقَدْرِ يَوجَدُ مَعْبَرًا عَنْهُ فِي
جَمَلَتَيْنِ لَا تُنْسِيَانِ، فِي مَقْطَعِ سَرْدِيٍّ وَاحِدٍ: «سِيرَةُ تَادِيوِ إيسِيدُورِو
كِرُوث». فِي الْأَوَّلَى، يَفْتَرِضُ بَوْرخِيسُ: أَيُّ قَدْرٍ، مَهْمَا كَانَ مَدِيدًا
وَمَعْقَدًا، يَتَكَوَّنُ فِي الْوَاقِعِ مِنْ لِحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، اللَّحْظَةِ الَّتِي يَعْرِفُ فِيهَا
الْإِنْسَانُ مَنْ هُوَ إِلَى الْأَبَدِ. وَفِي الْأُخْرَى، عِنْدَمَا يَشْرُحُ بَوْرخِيسُ كَيْفَ
قَرَّرَ الرَّقِيبُ كِرُوثَ الدِّفَاعِ عَنِ الْفَارِّ مِنَ الْجُنْدِيَّةِ مَارْتِينِ فَيِرُو وَتَحْمَلُ
«مَصِيرَهُ الْحَمِيمِ كَذَنْبٍ، وَليْسَ كَكَلْبِ مَجْتَمَعِي».

ليْسَ ثَمَّةُ، وَفَقْ مَا يَرَى بَوْرخِيسُ، مَصِيرٌ أَفْضَلُ مِنْ آخَرَ، لَكِنْ
الْإِنْسَانُ يَجِبُ أَنْ يَخْضَعُ لِمَا يَحْمَلُهُ بِدَاخِلِهِ. وَهَكَذَا نَصَلُ إِلَى مَا

سيكونه القدر بالنسبة إلى بورخيس . بدل تصوّره طريقًا واحدًا له نهاية حتمية، يبدو القدر مجرد اتجاه، وميول . في كثير من الأحيان، على سبيل المثال، كان يجبُ على بورخيس أن يتذكّر أنّه عندما كان طفلًا، تقرّر، بموجب اتفاقية عائلية ضمنيًا، أن يكون مصيره أدبيًا . إلى هذا الاتفاق كان يجبُ أن يضاف (فضلاً عن النجوم المفضّلة) الميول الشخصية والإرادة الخاصة . دعونا نستمعُ إلى بورخيس نفسه : «لكلّ إنسان مصيره، بصرف النظر عن الأخلاق، هذا المصير هو سجاياه . . . وهذا المصير هو الأخلاق السريّة للإنسان . . . : أنا أكتب، لأنّه بالنسبة إليّ ليس هناك مصيرٌ آخر» .

سيتعلّق الأمرُ إذن بشخصيّة الإنسان، بالدور الذي يفرضُ ذاته أو بالمهمّة التي يرغبُ في أن يؤدّيها في العالم . لكنّ هذا المصير، الذي تمّ السعيُّ إليه بشكل فرديّ، وتمّ العثور عليه بشكل صدفويّ وتمّ تخيّلُه بتدقيق، لن يتحقّق قطّ بالكامل؛ يُمكن أن يبقى مُختزلاً، أن يخضع لتنويعات، أن يتفرّع، وأن يتوسّع . . . إلخ، بشكلٍ يجعل الإنسان يعرف مصيره الأصيل والنهائيّ في الفعل الأخير من التمثّل، في لحظة الموت الصدئة، حالما يكون لديه التّبصّر اللازم، والذي لن يكفّ عن إضافة مزيد من الرّعب على مثل هذا الظرف .

من المحتمل ألا توجد أيّ صفحة لبورخيس توضح فكرته عن المصير أفضل من «قصيدة حدسيّة» من ديوانه «الآخر، هو ذاته»، حيث المونولوج الداخليّ الرائع لفرانسيسكو دي لابريدا، أحد أسلاف بورخيس، لحظة ملاحقته واغتياله من قبل منظمة مونطونيروس الداو في ضواحي بوينوس أيريس بعد معركة يائسة، خلال الحرب الأهلية عام ١٨٢٩ . يتخيّل بورخيس أفكارَ بطله النبيل

الأرجنتيني، الذي قُتِلَ في حلقة دموية من الصراع اللانهائي بين الحضارة والهمجية.

(...) يتنصر على البرابرة، يتنصر الغاوتشو.
أنا الذي درستُ القوانين والشرائع،
أنا فرانسيسكو ناريسو دي لابريدا
الذي أعلن صوته استقلال
هذه الأقاليم القاسية، مهزومًا
بالدم والعرق ملطَّخ الوجه،
بلا أمل أو رهبة تائهاً
أهربُ نحو الجنوب عبر الضواحي الأخيرة...

قبل الخاتمة العنيفة للقصيدة؛ قبل الإحساس بـ«الضربة الأولى التي قطعتْ صدري والسكين الحميم في حلقي»، يُوقف الدكتور لابريدا، بإسقاط بطيء، تأملاته الوجودية عندما يصف المشهد وأحاسيسه الخاصة:

(...) الليل الجانبي للمستنقعات
يترصدني ويؤخّرني، أسمعُ حوافر
موتي الساخن يبحث عني
بفرسان وبلجحافل خيول ورماح (...)

عندئذٍ حينما كان «يهرب سيرًا على الأقدام والسهل دموي»، وهي عبارة استخرجها بورخيس من الكوميديا الإلهية (المطهر، الفصل الخامس) (sfuggendo a piede and insanguinando il piano) الذي يروي فيه بونكونتي دا مونتيفلترو موته، يلمحُ لابريدا السخرية الرهيبة لمصيره:

أنا الذي كنتُ أتوقُّ إلى أن أكون آخراً، أن أكون رجلاً
أحكام وكتبٍ وفتاوى،
سأرقُدُّ تحت سماء مفتوحة بين المُستنقعات،
لكنَّ صدري يختزنُ، بشكل غامض،
بهجة سرّية، ألتقي أخيراً
مع مصيري الأمريكيّ الجنوبيّ . . .

بالنسبة إلى عصر لا بريدا، فإنّ ذلك «المصير الأمريكيّ الجنوبيّ»
هو انتصار «الزعماء المتوحّشين». إنه الخضوع أو الملاحقة أو
الموت الشنيع للمعارضين. لكن يبدو أنّ الرسالة الرئيسة للقصيدة هي
أنّه فقط في لحظة الموت يُمكن للإنسان أن يعرف مصيره. يُضفي
الموتُ على الحياة مرتبةً مصير كما كتبَ أندريه مالرو في عبارة كان
من المُمكن بلا شكّ أن يكون بورخيس هو مَنْ وقّعها. يُمكن العثور
على تحليل رائع لـ «القصيدة الحدسيّة» ودلالاتها التاريخيّة والفلسفيّة
والحُلُميّة وحتى الخفيّة، في البحث المعنون بـ: «التجربة البورخيسيّة»
لخوان ليسكانو. وقد اهتمَّ غيرمو سوكري أيضاً بهذه القصيدة التي
علّق عليها كما يلي: «قد يعتقدُ المرء أنّ بورخيس يحدسُ بقدريّة
المصير. لن يكون من الخطأ التفكير بشكل مُتساو بأنّ ما يتصوّره هو
مذهب نهائيّ: لا يُدرك الأبطال البورخيسيّون - كروث ولا بريدا -
مصيرهم فقط، بل إنّ هذا الإدراك هو ما يُعطي معنى لحياتهم. من
هنا يأتي الاحتدام المُحرّرُ للأول، «البهجة السريّة» للثاني (. . .)
هكذا، فإنّ اللقاء مع «مصيره الأمريكيّ الجنوبيّ» يجعله يشعرُ بفقره،
وبخذلانه والتخلّي عنه، لكن أيضاً بعظمته.»

كما تمّت الإشارة سابقاً، الحظّ (مفهوم مضادّ للقدر) هو موضوعُ

آخر كان دائماً يُزعج ربة الإلهام الشعري لبورخيس، الذي استعمله لخلق عوالم أدبية مُبهرة، حيث كل شيء مُمكن. من الصّعب معرفة ما إذا كانت الأشياء تحدث للفرد عن طريق القدر، لأنه هكذا كان يجبُ أن تكون، أو بالصدفة، أي بواسطة الحظّ. هذا العامل اللامتوقّع، الحظّ، يمكن أن يتدخل في أيّ وقت لتغيير مجرى حيوات الكائنات البشريّة وأحياناً بشكل جذريّ. بالنسبة لخوان كارلوس موندراغون: «في أعمال بورخيس، يُصيب الحظّ بالعدوى كلّ شيء (...). الحظّ، في حالته، ليس مجرد مهارة أخرى تنضاف لغيرها، ولا هي مورد يُمكن استنفاده ولا ترميز ثقافيّ؛ بل يفرض نفسه على أنّه ضرورة «شرط لا يُستغنى عنه»، وعمود فقريّ لنظام (...). يسمح له بتبرير نظريّته بكاملها ودسّ أكثر الاقتراحات جُراً لمُتخيّله».

العبارة المُتناقضة التي استخدمها بورخيس بشكل مُتكرّر والتي تلخّص موقفه من الحظوظ اللامُستقرّة والمُتغيّرة للأفراد، هي أنّ الهزيمة يُمكن أن تكون بداية نصرٍ جميل، أو على العكس من ذلك، يُمكن أن يؤديّ انتصارٌ جليّ إلى هزيمة مُروعة، أو ثمة، انطلاقاً من وجهة نظر أخرى، هزائم أكثر تكريماً من الانتصار. إنّ فكرة النهاية اللامتوقّعة تلك، لقلب مسار القدر، التي تمّ التعبير عنها عدّة مرّات مع تنويعات طفيفة، هي مفتاح حقيقيّ لفهم ارتيابية بورخيس، وتصوّره الغريب والمُراوغ عن الحياة.

إنّ النصر والهزيمة والنجاح والفشل بالنسبة إلى بورخيس، مثلما بالنسبة إلى المافويرتي، يعتمدُ بشكل أساس على الحظّ. وبالتالي، فإنّ المهزومين أيضاً «يستحقّون أكاليل الغار وأقواس نصر»، وليس للمُنْتَصر استحقاقٌ أعظم «من أيّ مُقامر محظوظ». كان يروق

لبورخيس أن يستحضر قصيدة «إن» لكيلينغ، حيث يتمنى هذا الأخير
أن يتمكن ابنه يوماً ما من أن:

(...) تواجه النجاح بعد الفشل

وأن تستقبل بالطريقة ذاتها هذا الزوج من المُحتالين

نجد هيمنة الحظ في حياة الإنسان جلية في أماكن لا حضر لها
في الإنتاج الشعري البورخيسي.

بالنسبة إلى شوبنهاور، يُعتبر القدر نتيجة للجمع بين الإرادة
الفردية والحظ: «الحياة توزع أوراق اللعب، لكننا نحن الذين
نلعب». بالنسبة إلى الآخرين، الإنسان ليس حراً. تحرّكه قوى
مجهولة أو آلهة لا يعرف مخططاتها، مثل قطعة شطرنج، وفي تطوير
هذه الفرضية الأخيرة كتب بورخيس:

(...) واللاعب أسير أيضاً

لِرِقةٍ أخرى (الحكمُ هنا لِعمر الخيام)

ذات ليالٍ سودٍ وأيامٍ بيضٍ.

الإله يُحرّك اللاعبَ وهذا يُحرّكُ القطعةَ.

أيُّ إلهٍ خلف الإلهِ يبدأ مؤامرةَ

الغبارِ والزمنِ والحلمِ والاحتضارِ.

«شطرنج II»، من ديوان: «المخالق»

بمجرد أن نصل إلى النهاية، نجد أنفسنا في البداية. القدر لغز لا

يُمكن أن ينكشف لنا إلا في نهاية وجودنا:

الشيخوخة (هو ذا الاسم الذي يُطلقه عليها الآخرون) قد
تكون زمن نعيمنا (...)

دائمًا كان ثمة أشياء كثيرة في حياتي (...)

الآن يُمكنني أن أنساها. أصلُ إلى مركزي

إلى علم جبريّ ومفتاحي،

إلى مرآتي.

قريبًا سأعرفُ من أكون.

«مديح العتمة»، من ديوان: «مديح العتمة».

٤ . الفراديس المفقودة والجُحُم الواجبة

ليس ثمة لحظة لا يُمكن أن تكون فوهة الجحيم.

ليس ثمة لحظة لا يُمكن أن تكون ماء الفردوس.

«Doomsday» «يوم القيامة»، من ديوان: «المتأمرون».

الكون البورخيسيّ مأهولٌ بظلال الغائبين، بذكريات نوستالجية.
في جميع أشعاره تقريبًا من الشائع العثور على حشد من الأبيات
والقصائد المكرّسة لاستحضار صور الماضي واستعادتها:

(...)

من خيول وأسود، وأنا أسمعُ صدى

ذلك التانغو لأرولاس ولغريكو

اللذين رأيتُهما يرقصان على الرّصيف،

في لحظة تطفو اليوم معزولة،

بلا قبل ولا بعد، ضدّ النسيان

والتي لها طعمٌ ما ضاع،
ما ضاع وما تمّت استعادته (. . .)
«التانغو»، من ديوان: «الآخر، هو ذاته».

أيّ شيء، مَهْمَا كان صغيراً، حتى الشيء الضئيل، يُثيرُ في
بورخيس إحساساً بالغياب أو الضياع، وهي عاطفة ينقلها (ويُحوّلها)
إلى أشعار ترغّب في الكشف عن أسرار المُناجاة:

(. . .) كتاب
وبين صفحاته البنفسجة
الذابلة، أثرُ مساء
لا يُنسى بلا شكّ وقد صار منسياً (. . .)
«الأشياء»، من ديوان: «مديح العتمة».

في عالم الشوق هذا، يبرزُ ميلُ بورخيس لتذكّر لحظاتٍ وظروفٍ
حياته التي طبعت بميسمها حساسيته وذاكرته المُستديمة التآلق:

(. . .) سوف تُزعجك إلى ما لا نهاية
الذكريات المُقدّسة والمُبتذلة
التي هي قدرنا. تلك الكائنات الفانية
ذاكرات شاسعة مثل قارّة (. . .)
«النهاية»، من ديوان: «القطعة النقدية الحديدية».

أكثر من مرّة وجدَ بورخيس أنّ الذاكرة يُمكن أن تكون شكلاً من
أشكال السعادة:

(. . .) أنا من لا يعرفُ عزاءَ آخرَ

غير تذكّر زمن النعيم
أنا أحياناً هو النعيم اللامُستحقُّ (. . .)
«The thing I am» «الشيء الذي هو أنا»،
من ديوان: «تاريخ الليل».

ولكن، عادةً، تأتي الذكرياتُ مصحوبةً بالخوف من استعادة
المُعاناة أو الفصول المُؤلّمة:

أحياناً تُخيفني الذاكرة
في كهوفها وقصورها المقعّرة
(قال سان أوغستين) ثمّة أشياء كثيرة؛
والجحيم والجنّة من بينها.
«النقش»، من ديوان: «تاريخ الليل».

إنّ فكرة الفردوس المفقود، أي اختفاء السعادة ومعها هيمنة
التعاسة، لا تنفصلُ عن غنائية بورخيس. الندم على الوقوع في
المصائب والبلايا، وسيكون الألم شرطاً طبيعياً للإنسان الواعي
بُعزلته وعجزه:

(. . .) أتذكّر الياسمين والجُبّ، أشياء من النوستالجيا
(. . .) أتذكّر ما رأيته وما حكاها لي أبواي
(. . .) أعلم أنّ الفراديس الوحيدة غير المحظورة على

الإنسان هي

الفراديس المفقودة

«بوينوس أيريس»، من ديوان: «المتأمرون».

أكثر من حزينّة، الفكرة قاتمة، مادام أنّ تفقد الفردوس وأن

تخرج منه لكي تتذكره فيما بعد، لا يُمكن أن يكون إلا فظيماً. يُجيب
مفستوفيليس عن سؤال فاوست: «الجحيم هو ذكرى الفردوس
المفقود». فالرأي الذي يُحاول بورخيس أن يبثه رأي قاتم ومحزن
أيضاً:

(. . .) ما فقدناه هو فقط ملك لنا

(. . .) ليس ثمة فراديس أخرى غير الفردوس المفقود.

«تملك الأمس»، من ديوان: «المتأمرون»

من بين لحظات السعادة القليلة المُمكنة ذكرى لحظات السعادة،
وإن كانت ستترصد دائماً صورة المفقود، كما عرفه اسان أوغسطين
وصوفيون آخرون ذوو مكانة فكرية رفيعة مثل سويدنبورغ:

كان يمشي أكثر شموخاً من الآخرين

ذلك الإنسان البعيد بين البشر (. . .)

كان يعرف أن المجد والجحيم

يوجدان في روحك هما وأساطيرهما (. . .)

«إيمانويل سويدنبورغ»، من ديوان: «الآخر، هو ذاته».

الدليل على ما سبق هو الكابوس الذي يكونُ خلاله الحالم
افتراضاً في الجحيم. ووفياً لولعه بالسخرية وبالمفارقات، يعبر
الشاعر عن امتنانه لهذه التجربة:

(. . .) نحمد الكابوس الذي يكشف لنا

أننا نستطيع أن نخلق الجحيم (. . .)

«السعادة»، من ديوان «الشفرة».

كشفت هذه الأسئلة بشكل دائم لبورخيس عن دروب للمعنى وجعلته يتصوّر قصائد رائعة، مثل تلك التي تحملُ عنوان «عن الجحيم والجنة» من ديوان: «الأخر، هو ذاته»، والتي يُتَوَجّ تناميها بصورة مجازية مُدهشة:

(...) في بلور حُلْم لمحتُ
الجنة والجحيم الموعودين:
عندما تدوي الدينونة في الأبواق
الأخيرة ويكون الكوكب الألفي
قد انسَدَّ وتوقف فجأة
أيها الزمن! أهراماتك الفانية،
وتحدّد ألوانَ وخطوط
الماضي في الدُّجى وجهًا
نائمًا وثابتًا ووفيًا ولا متغيّرًا،
(ربّما وجه الحبيب، وربّما وجهك)
وتأملُ ذلك الوجه المُجاور
المستديم، السليم واللايفسد،
للمحكومين بالهلاك الأبديّ سيكون جحيمًا،
ولمن يصطفون: الجنة.

في صفحات عديدة من أعمال بورخيس الشعرية، يتذكّر
الفراديس التي مُنِحَ إياها، والتي بسبب عماء خاصّة فقدّها فيما بعد.

الآخر هو ذاته

(١٩٦٤)

مقدمة

من بين العديد من الدواوين الشعرية التي كتبها وكان استسلامي وغفلي وأحياناً شغفي تحت وقع التشويش، ديوان الآخر، هو ذاته الذي أفضله. ثمّة «قصيدة أخرى للهبّات»، و«قصيدة حدسيّة»، و«وردة وميلتون»^(١)، و«خونين»، قصائد لا تجعلني، إذا لم يخدعني التحيّر، في حالة إحساس بأيّ نقص في قيمتي. ثمّة أيضاً عوائدي: بوينوس أيريس، طقوس الطاعنين في السنّ، الجرمانية، وتناقضات

(١) جون ميلتون John Milton (لندن، ١٦٠٨ - بكينغامشاير ١٦٧٤) شاعر وعالم إنجليزي من القرن ١٧، كتب العديد من المقالات والقصائد. تعتبر قصيدته المطولة «الفردوس المفقود» القصيدة الأكثر شهرة بين أعماله وأحد أعظم الأعمال الشعرية في اللغة الإنجليزية. تلقى جون ميلتون تعليمه في كامبردج بين ١٦٢٥ و ١٦٣٢، وهناك كتب قصيدة «في صباح يوم ميلاد المسيح». كان طيلة حياته شخصية نشطة في القضايا السياسية والدينية، وإبان الحرب الأهلية الإنجليزية أصبح في صف أوليفر كرومويل المعارض للحكم الملكي. استطاع الفرار من عقوبات حتمية بعد رجوع الحكم الملكي في عام ١٦٦٠. بعد إصابته بالعمى في عام ١٦٥٢، كرس نفسه لكتابة قصيدة «الفردوس المفقود» التي تحكي قصة الشيطان وهبوط آدم وحواء من الفردوس. بعد أربع سنوات، نشر قصة انتصار المسيح على إغراءات الشيطان في «استعادة الفردوس»، وفي الدراما له «عذابات شمشون». تشتمل أعماله المعروفة الأخرى على المسرحية القصيرة «كوس» (١٦٣٧)، و«أريوباجيتيكاز» (١٦٤٤).

الزمن الذي يمرّ والهوية التي تستمرّ، ودهشتي من كون الزمن،
جوهرنا، يمكن أن يتمّ تقاسمه.

هذا الكتاب ليس أكثر من تجميع. القطع كُتبت لأمزجة ولحظات
مختلفة، وليس لتبرير وجودها في كتاب. من هنا مصدر الرتابة
المتوقّعة، وتكرار الكلمات وربّما سطورٍ بكاملها. في ناديه بشارع
فيكتوريا، أشار الكاتب -فلنسمّه هكذا- ألبرتو هيدالغو^(١) إلى عاداتي
في كتابة الصفحة نفسها مرّتين، مع اختلافات طفيفة. يُؤسفني أن
أكون قد أجبته بأنّه ليس أقلّ منّي ثنية، باستثناء أنّه في حالته الخاصّة
كانت الصيغة الأولى لآخر. هكذا كانت الأخلاق المؤسفة لذلك
الوقت، التي ينظرُ إليها الكثيرون بنوع من الحنين إلى الماضي. كلّنا
كنا نرغب في أن نكون أبطالَ حكايات طريفة مُبتذلة. لقد كانت
ملاحظة هيدالغو صحيحة. لا تختلفُ قصيدة «ألكسندر سيلكيرك»^(٢)

(١) ألبرتو هيدالغو (أريكيبا، ١٨٩٧ - بوينوس أيريس، ١٩٦٧) شاعر وقاص
من البيرو. كان عمله فردياً بشكلٍ مثيرٍ للغاية. فقد كان من الشعراء
البيروفيين الأوائل ذوي الموهبة والإرادة الطليعية، بعد فيسينتي هويدوبرو
على مستوى أمريكا اللاتينية.

في عام ١٩١٩، لعب هيدالغو دوراً مهمّاً في البيئة الطليعية، جنباً إلى جنب
مع خورخي لويس بورخيس وفيسينتي هويدوبرو، وشارك معهما في وضع
ونشر دليل الشعر الأمريكي الجديد (١٩٢٦). التقى بالعديد من شعراء
عصره. وأنشأ مجلتي أورال و بولسو.

تنعكس أيديولوجية هيدالغو اليسارية والقتالية وارتباطه ببلده البيرو في قصائد
ديوانيه الشعريين «رسالة إلى البيرو» (١٩٥٧) و«الشعر المنيع» (١٩٦٢)،
وذلك خلال أيام الحرب.

(٢) ألكسندر سيلكيرك (١٦٧٦-١٧٢١) بحار اسكتلندي كانت حكاية حياته نبع
الإلهام الأول في قصة روبنسون كروزو. لا يعرف بالتدقيق مكان مولده لكن
من المرجح أن يكون لارغو في إقليم فايف الإسكتلندي، كان ابن إسكافي،

بشكل جليّ عن قصيدة «الأوديصة، الكتاب الثالث والعشرون»،
وقصيدة «الخنجر» تُصوّر بشكل قبليّ الميلونغا^(١) التي عنوانها «سكين
في الشمال» وربّما قصّة «اللقاء». الشيء الغريب، والذي لم أستوعبه
تمامًا، هو أن صيغى الثانية، بوصفها أصداء مُطفأة ولا إرادية، عادةً
ما تكون أقلّ قيمة من الصيغ الأولى. ففي لوبوك، على مشارف
الصحراء، سألتني فتاة فارعة القامة عمّا إذا كنت، عند كتابة قصيدة
«الغوليم»، لم أكن أجرب أن أقوم بتنويع على قصّة «الخرائب
الدائرية»، أجبتُها أنّه كان عليّ أن أعبر القارة بكاملها لكي أتلقّى تلك
المكاشفة، التي كانت حقيقة، وأنّ لكلا التاليفين، بالإضافة إلى
ذلك، اختلافاتهما؛ الحالم المحلوم به يوجد في واحد، وعلاقة
الألوهية بالإنسان وربّما علاقة الشاعر بالعمل الشعريّ الذي كتبه
لاحقًا.

وركب البحر عام ١٦٩٥ ورافق جماعة من القراصنة في المحيط الهادي عام
١٧٠٣ وأصبح بعدها قائد سفينة لمطاردة القراصنة في البحار الجنوبية. في
سبتمبر ١٧٠٤ وبعد خلاف مع الكابتن توماس سترادلينغ تم وضعه، عقابا له
وحسب طلبه، في جزيرة غير مأهولة مع بعض احتياجاته الضرورية القليلة،
وهي جزيرة ماس دي تيبيرا من جزر خوان فيرنانديث (وهي التي سميت
لاحقا عام ١٩٦٦ جزيرة روبنسون كروزو وسميت الجزيرة المقابلة لها
أليخاندرو سيلكيرك) على بعد ٦٥٠ كم تقريبا غرب ساحل تشيلي. وقبل أن
تذهب السفينة ترحى أن يعيدوه لكنهم رفضوا طلبه وبقي هناك وحيدا لأربع
سنوات وأربع شهور حتى فبراير ١٧٠٩ حيث تم اكتشافه وأخذه على متن
سفينة إنكليزية يقودها وودز روجرز قائد سفينة ديوك، وكان ربانها وليام
دامبير الذي جعله زميله وبعدها أعطاه قيادة إحدى سفنه.

(١) في الأرجنتين والأوروغواي والبرازيل يرقصون على إيقاع التانغو، بطريقة
حسية وإيقاعية، في أشكال وأنماط متنوعة للغاية من الخطوات. وتعد
الميلونغا أحد أشهر الخطوات في التانغو.

إن لغات الإنسان تقاليد تحمل معها شيئاً قدرياً. والتجارب الفردية هي، في الواقع، أدنى، إلا عندما يستسلم المبتكر لبلورة نموذج متحف، أو للعبة تختص بمناقشة مؤرخي الأدب أو للفضيحة في ذاتها، مثل «يقظة فينيغان»^(١) أو «الخلوات». في مرّات، جذبتني غواية نقل الموسيقى من الإنجليزية أو الألمانية إلى القشتالية. لو قدر لي أن أنفذ تلك المغامرة، التي ربّما هي مستحيلة، لكُتِبَ لي أن أكون شاعراً عظيماً، مثل غارثيلاسو^(٢) الذي منحنا موسيقى إيطاليا،

(١) يقظة فينيغان (Finnegans Wake)، عمل روائي للكاتب الأيرلندي جيمس جويس. تُعتبر هذه الرواية من الروايات الأكثر تعقيداً نظراً لأسلوب كتابتها التجريبي ونقدها الإيجابي باعتبارها واحدة من أهم الأعمال الروائية في اللغة الإنجليزية. هذه الرواية، التي كُتِبَت في باريس على مدار سبعة عشر عاماً ونُشِرَت عام ١٩٣٩ (قبل عامين من وفاة المؤلف)، تعتبر آخر أعمال جويس، وتتميز بلغة ومعانٍ غامضة إلى حد كبير، إذ تمزج بين المعجم الإنجليزي القياسي والكلمات المُستحدثة والجناس وتعابير لغوية متعددة مُحدثة تأثيراً فريداً من نوعه. يعتقد العديد من النقاد أن استخدام جويس لهذه التقنية كان بمثابة محاولة منه لاستعادة تجربة النوم والأحلام. نظراً للتجارب اللغوية في العمل واستخدام جويس لتقنيات مثل سيل الوعي والإشارات الضمنية والتداعي الحرّ وتخليه عن أسلوب السرد القصصي، هذه الرواية كانت من أقل روايات جويس، بل من أقل الروايات عامة من حيث الإقبال على القراءة بين الجمهور.

(٢) غارثيلاسو دي لا فيغا Garcilaso de la Vega (طليطلة، إسبانيا ١٤٩٨ - نيس، فرنسا ١٥٣٦) كاتب وشاعر وعسكري إسباني. أحد أبرز الكتاب في تاريخ إسبانيا، وأحد أدباء العصر الذهبي الإسباني. كان يعمل في إيطاليا في جيش كارلوس الخامس ملك إسبانيا كعضو دائم في الحرس الملكي. كان يتقن اللغة اليونانية واللاتينية والإيطالية والفرنسية، بالإضافة إلى الموسيقى والمبارزة. تقسم الأعمال الشعرية لغارثيلاسو تبعاً لإقامته في نابولي أو ما بعدها. قبل مجيئه إلى نابولي لم يحدد في شعره خصائص

أو مثل ذلك الإشبيلي المجهول الذي منحنا موسيقى روما، أو مثل داريو^(١)، الذي قدّم لنا موسيقى فرنسا. لكنني لم أتجاوز إحدى المسوّدات المُختطّة بكلمات من مقاطع لفظيّة قليلة، والتي دمّرتُها بحكمة.

غريبٌ قدّر الكاتب. في البداية، يكون باروكياً؛ باروكياً بشكل عبثيّ، وبعد انقضاء الأعوام يُمكن أن يتحقّق، إذا كانت النجوم هي الأنسب، وليس البساطة، التي ليست شيئاً سوى التعقيد المتواضع والسريّ.

لقد علّمتني المكتبة -مكتبة والدي- أقلّ من المدارس. وبالرغم

الأسلوب المتمي لفرانشيسكو بتراركا، ولكن في نابولي اكتشف وقرأ وتأثر كثيراً بالكتاب الإيطاليين. عندما غادر نابولي ترك معها خصائص الشعر الإيطالي المتأثر سواء بالكتاب القدامى مثل بتراركا أو المعاصرين مثل خاكوبو سانثرو (مؤلف لا أركاديا). أقام غارثيلاسو عالمه الخاص المليء بالمؤثرات التي انعكست على شعره، كما أثر فيه لودويكو أريوستو الذي أخذ عنه المواضيع المتعلقة بجنون الحب.

(١) روبين داريو: فيليكس روبين غارسيا سارميننتو Félix Rubén García Sarmiento ولد في ميتابا، التي تسمى الآن مدينة داريو، وتقع في إقليم ميتالالبان، ١٨٦٧، وتوفي في ليون ١٩١٦. شاعر نيكاراغوايي، كان المتزعم لتيار التحديث الشعري في اللغة الإسبانية. ظهر تأثير روبين داريو بقوة في كتابة الشعر الإسباني في القرن العشرين. ويُطلق عليه أمير الأدب الإسباني أو الأب الروحي للشعر الإسباني الحديث. له في الشعر: تدوينات أولى رسائل وقصائد (١٨٨٥)، قوافٍ (١٨٨٧)، أزرق (١٨٨٨)، غناء ملحمي لأمجاد الشيلي (١٨٨٧)، نثر مدنس وقصائد أخرى (١٨٩٦)، أغاني الحياة والأمل، طيور البجع وقصائد أخرى (١٩٠٥)، أودا إلى ميتري (١٩٠٦)، الغناء التائه (١٩٠٧)، قصيدة الخريف وقصائد أخرى (١٩١٠)، غناء للأرجنتين وقصائد أخرى (١٩١٤)، معزف ما بعد الموت (١٩١٩).

من تقلبات الزمن والجغرافيات، أعتقد أنني لم أقرأ تلك المجلدات المحببة عبثاً. في «قصيدة حدسيّة»، سيتمّ الانتباه إلى تأثير المونولوجات الدرامية لروبرت براوننغ^(١)؛ وفي قصائد أخرى، إلى تأثير لوغونيس^(٢)، وكذلك لويتمان، وهو ما أمّله. لما راجعتُ هذه الصفحات، شعرتُ بأنني أقرب إلى شعر الحدائث منه إلى الطوائف اللاحقة التي تولدت عن فسادها والتي تتنكر لها الآن.

(١) روبرت براوننغ Robert Browning (لندن ١٨١٢ . البندقية ١٨٨٩) شاعر وكاتب مسرحي إنجليزي، يعد من أهم شعراء العصر الفيكتوري. ظهرت موهبة براوننغ الشعرية في سن مبكرة رغم أن أعماله الأولى لم تحظ باهتمام النقاد والقراء بسبب غموضها وانغمارها في الذاتية، مثلما في مجموعته «باراسيلسوس» ١٨٣٥ وفي مسرحيته الشعرية «سورديلو» ١٨٤٠، أول قصيده نشرته لبراوننغ في عام ١٨٣٣ بعنوان «بولين».

(٢) ليوبولدو لوغونيس (بيا ماريا ديل ريو سيكو (قرطبة) ١٨٧٤- تيغري ١٩٣٨) شاعر أرجنتيني ينتمي إلى التيار التحديثي في أمريكا اللاتينية خلال بدايات القرن العشرين، بسبب تقلبات الأحوال الاجتماعية لأسرته انتقل وهو لا يزال بعد شاباً إلى بوينوس آيريس حيث عاش حياة حافلة بالتناقضات على المستوى الثقافي والسياسي، كما لعب دوراً مهماً في مجال الكتابة الصحفية، وشغل العديد من المهام وتحمل مسؤوليات كثيرة في بلاده وفي الخارج. انتقل للعيش في باريس، وهي المدينة التي شهدت تأسيسه لـ«المجلة الجنوب أمريكية»، من أعماله الشعرية: «العالم» ١٨٩٣، «جبال الذهب» ١٨٩٧، «أسحار البستان» ١٩٠٥، «روزنامة عاطفية» ١٩٠٩، «أغنيات دنيوية» ١٩١٠، «الكتاب الوفي» ١٩١٢، «الساعات الذهبية» ١٩٢٢، «الرومانسيرو» ١٩٢٤، وغيرها. بسبب حالات اكتئاب متواصلة ناتجة عن إنهائه علاقة عاطفية مع إحدى عشيقاته بضغط من ابنه، أنهى حياته منتحراً بشكل مأساوي بعد أن ابتلع مادة سيانيد البوتاسيوم ممزوجاً بالويسكي سنة ١٩٣٨.

كتب بيتر^(١) أنّ جميع الفنون تنزع إلى حالة الموسيقى، لربّما لأنّ الخلفيّة فيها هي الشكل، مادام لا يمكننا الرجوع إلى اللحن كما يمكننا الرجوع إلى الخطوط العامّة لحكاية ما. والشعر، بناءً على هذا الرأي، سيكون فنًا هجينًا: إخضاع نظام تجريديّ من الرموز واللغة للأغراض الموسيقية. إنّ المسؤولية في هذا المفهوم الخاطئ تتحمّلها القواميس. غالبًا ما يتمّ تناسي أن القواميس مجموعة أدوات مُصنّعة، متأخرة جدًا عن اللغات التي تنظّمها. فجدور اللغة لاعقلانية وذات طابع سحريّ. إن اللغة الدنماركية الذي تلتفّظ اسم «ثور»^(٢) Thor أو السكسونية التي تلتفّظ اسم «ثونور» Thunor لم تكن تعرف ما إذا كانت هذه الكلمات تعني إله الرعد أو الانهيار الذي يحدث للبرق. إنّ الشعر يريد أن يعود إلى ذلك السحر القديم. بدون قوانين ثابتة بشكل قبليّ، يعمل بطريقة مترددة وجريئة، كما لو كان يسير في الظلام. الشعر شطرنج غامض، تتغيّر رقعة وقطعه كما في حلم، وسوف أنحني له بعد أن يتحقّق موتي.

خ. ل. ب.

(١) والتر بيتر Walter Horatio Pater (لندن ١٨٣٩ - أكسفورد ١٨٩٤) ناقد أدبي وكاتب وروائي وأكاديمي بريطاني، اهتم بالكتابة في تاريخ الفن. له أعمال عديدة أهمها: ماريو الأبيقوري وبورتريهات متخيلة.

(٢) ثور Thor من النوردية القديمة هو إله الرعد والقوة في الأساطير النوردية والجرمانية، يتم تصويره محاربًا وهو يحمل مطرقة. ودوره حسب ما تصوره الأسطورة جد معقد، يرتبط بتأثيره في مجالات جد مختلفة مثل الطقس من خلال الرعود والبروق والعواصف والخصب ممثلاً في الحصاد وجني الثمار وتحرير البشر وإقامة العدل والمصارعات والمعارك والأسفار... عرف هذا الإله في الأساطير والوثنيات الجرمانية الأوسع بأسماء مختلفة لكن متشابهة، مثل ثونور في الإنجليزية القديمة وهي مشتقة من الكلمة الجرمانية المشتركة ثونراز وتعني الرعد.

سهاد

من حديد،

من روافد مقوِّسة من حديد هائل يجب أن يكون الليل،

حتى لا تفجّره ولا تخترقه

الأشياء الكثيرة التي رأتها عيناى المفعمتان،

الأشياء القاسية التي تسكُنها بشكل لا يطاق.

جسدي أتعبَ المناسيب، درجات الحرارة، الأضواء:

في عربات قطار طويل،

في وليمة رجالٍ يضجرون

في الحدِّ المثلوم للضواحي،

في بيت قرويّ شديد الحرِّ بتمائيل مبلّلة

في الليلة المكتظة حيث يكثرُ في فيض الحصان والإنسان.

كون هذه الليلة له شسوعُ

النسيان ودقّة الحمى.

أرغب في أن أتسلى عن الجسد
وعن سهاد مرآة مستديمة
تغمرك وترصدك
وعن البيت الذي يكرّر فناءاته
وعن العالم الذي يستمرّ حتى ربض منهدم
من دروب حيث تتعب الريح ومن وحل بذية
عبثاً أنتظر
الانشطارات والرموز التي تسبق الحلم.

يستمرّ التاريخ الكونيّ:
المسارات الدقيقة للموت في تسوّس الأسنان،
دورة دمي ودورة الكواكب.

(كرهتُ الماء الماجن لبركة ما،
وأضجرتُ غناء الطائر في المساء)

الفراسخ المُتعبة المستديمة لضاحية الجنوب،
فراسخُ البامبا من القمامة والبذاءة
فراسخ التدنيس، لا ترغب
في الرحيل عن الذكرى.
أراضٍ تنغمرُ في الفيضان، قرى في تكدّس

مثل كلاب وبرك من فضة نينة :
أنا الحارس الكرية لتلك الأوضاع الثابتة .

أسلاك ومتاريس من التراب المتراكم
وأوراق ميتة وفضلات بوينوس أيريس .

أبتدع هذه الليلة في الخلود المرعب
لا رجل قد مات في الزمن ، لا امرأة
لا ميت

لأن هذه الحقيقة الحتمية من حديد وطين
يجب أن تعبّر لامبالاة أولئك الذين هم نيام أو موتى
-وإن كانوا يتخفون في الفساد وفي القرون-
والحكم عليهم بسهر رهيب .

غيوم خشنة بلون ثمالة النيذ سوف تزدري السماء ،
بينما ينبلج الصبح في جفوني الضيقة .

أدروغي ، ١٩٣٦

TWO ENGLISH POEMS

To Beatriz Bibiloni Webster de Bullrich

I

The useless dawn finds me in a deserted streetcorner; I have
outlived the night.

Nights are proud waves: darkblue topheavy waves laden
with all hues of deep spoil, laden with things unlikely
and desirable.

Nights have a habit of mysterious gifts and refusals, of
things half given away, half withheld, of joys with a
dark hemisphere. Nights act that way, I tell you.

The surge, that night, left me the customary shreds and odd
ends: some hated friends to chat with, music for
dreams, and the smoking of bitter ashes. The things my
hungry heart has no use for.

The big wave brought you.

Words, any words, your laughter; and you so lazily and in-
cessantly beautiful. We talked and you have forgotten
the words.

The shattering dawn finds me in a deserted street of my
city.

Your profile turned away, the sounds that go to make your
name, the lilt of your laughter: these are illustrious toys
you have left me.

I turn them over in the dawn, I lose them, I find them; I tell them to the few stray dogs and to the few stray stars of the dawn.

Your dark rich life

I must get at you, somehow: I put away those illustrious toys you have left me, I want your hidden look, your real smile that lonely, mocking smile your cool mirror knows.

II

What can I hold you with?

I offer you lean streets, desperate sunsets, the moon of the jagged suburbs.

I offer you the bitterness of a man who has looked long and long at the lonely moon.

I offer you my ancestors, my dead men, the ghosts that living men have honoured in bronze: my father's father killed in the frontier of Buenos Aires, two bullets through his lungs, bearded and dead, wrapped by his soldiers in the hide of a cow; my mother's grandfather just twenty four heading a charge of three hundred men in Peru, now ghosts on vanished horses.

I offer you whatever insight my books may hold, whatever manliness or humour my life.

I offer you the loyalty of a man who has never been loyal.

I offer you that kernel of my self that I have saved, somehow the central heart that deals not in words, traffics not with dreams and is untouched by time, by joy, by adversities.

I offer you the memory of a yellow rose seen at sunset, years before you were born.

**I offer you explanations of yourself, theories about yourself,
authentic and surprising news of yourself.**

**I can give you my loneliness, my darkness, the hunger of
my heart; I am trying to bribe you with uncertainty,
with danger, with defeat.**

1934

قصيدتان إنجليزيتان

إلى بياتريس بيبيلوني وببستير دي بولريش

I

يُفاجئني الفجر اللامعدي في زاوية مهجورة من الشارع. قد بقيتُ
على قيد الحياة بعد الليل.

الليالي مثل أمواج شامخة: أمواج زرقاء قاتمة ذات غوارب ثقيلة
مليئة بتلاوين ذات أسلاب عميقة، مُحَمَّلة بأشياء لا محتملة
ومُشتهاة.

الليالي لها عادات الهباتِ الملتبسة والصُّدود، تمنح الأشياء
نصفها وتحجبُ النصف، لها الأفراح تحتضن نصف الكرة
المعتم. هكذا طريق اشتغال الليالي، أقول لك.

قد ترك لي المدُّ، في تلك الليلة المِرْزَق والقصاصات متفرقة
كالعادة: بعض الأصدقاء الذين أكره التحدُّث معهم، وموسيقى

للأحلام، ودخان الرماد المرّ. الأشياء التي لا يستطيع قلبي
الجائع أن يجد لها استعمالاً.

قد جلبتك الموجة الكبيرة.

كلمات أي كلمات، ضحكك. وأنت جدّ خاملة وفاتنة بشكل
مستديم. تحدّثنا، وأنت كنت قد نسيت الكلمات.

يجدني الفجر المُدمّر في شارع مهجور، في مدينتي.

وجهك الجانبي الذي يبتعد، والأصوات التي تشكّل اسمك،
وإيقاع ضحكك: تلك هي اللعب الرائعة التي تركتها لي.

أقلبها في الفجر، أضيعها، وأعثر عليها؛ أحكيها للكلاب الضالة
النادرة ولنجوم الفجر القليلة الشاردة.

حياتك الغنية المعتمة . . .

يجب أن أصل إليك بطريقة ما: أبعدُ تلك اللعب الرائعة التي
تركتها لي، أرغب في نظرتك الخفية، ابتسامتك الحقيقية، تلك
الابتسامة المتوحدة اللاذعة التي تعرفها برودة مرآتك.

II

بماذا يُمكنني أن أستبقيك؟

أهديك شوارع رشيقة، ومشاهد غروب يائسة، وقمر الضواحي
الخشنة.

أهديك مرارة رجلٍ نظر طويلاً إلى القمر المتوحّد.

أهديك أسلافي، موتاي، الأشباح التي كرمها الأحياء بالبرونز:
والد والدي الذي مات في تخوم بوينوس أيريس، برصاصتين
اخترقتا رثتيه، ملتحيًا وميتًا، كفنّه جنوده في جلد بقرة؛ وذاك
الجدّ الأعلى من جهة الأمّ - الذي قاد وهو فقط في سنّ الرابعة
والعشرين-هجومَ قوة من ثلاثمائة رجل في البيرو، هي الآن فقط
أشباح على خيول متلاشية.

أهديك، وليكن ما يكون، المعرفة التي تحتويها كُتبي، والرجولة
أو السخرية التي تحتويها حياتي.
أهديك وفاء رجل لم يكن قط وفيًا.

أهديك النواة الصلبة لذاتي التي احتفظت بها بطريقة ما، القلب
المركز الذي لا يتاجر بالكلمات ولا يساوم بالأحلام ولا يمسه
الزمن ولا المتعة ولا المحن.

أهديك ذكرى وردة صفراء شوهدت عند المساء، سنوات قليلة
قبل ولادتك.

أهديك شروحات عن ذاتك، ونظريّات عنك أنت بالذات، أخبارا
حقيقيّة ومدهشة عنك.

أستطيع أن أهديك عزلتي، وعمّتي، وجوع قلبي؛ أحاول أن
أرشيك بالريبة وبالخطر وبالهزيمة.

الليلة الموسميّة

إلى سيلفينا بولريش

قد عرف ذلك تلاميذ فيتاغوراس^(١) الأشدّاء.
النجوم والناسُ يعودون في شكلِ دورةٍ موسميّةٍ
الذراتُ القدريّة ستُعيدُ أفروديت^(٢)
الذهبيّة المستعجلة وسكان طيبة^(٣) ومجامع الأغورا^(٤).

(١) فيتاغوراس الساموسي (٥٧٠-٤٩٥ ق.م) هو فيلسوف وعالم رياضيات يوناني، مؤسس الحركة الفيثاغورية، عرف بمعادلته الشهيرة (نظرية فيثاغورس). ولد في جزيرة ساموس وسافر إلى بلاد عديدة منها اليونان ومصر وبلاد ما بين النهرين وربما الهند. بعد ٢٠ سنة من الترحال والدراسة تمكن فيثاغورس من تعلم كل ما عرف من مسائل وقضايا ترتبط بالرياضيات في مختلف الحضارات المعروفة آنذاك.

(٢) أفروديت في الأساطير اليونانية هي واحدة من آلهة الأولمب الإثني عشر، هي إلهة الحب والجمال والنشوة الجنسية، وربة الإخصاب. إلهة الحب ومسراته والزواج، مع قدرتها أيضا على نسف الحب وقتله في قلوب البشر. كانت الفتيات غير المتزوجات والأرامل يُصلين لها للحصول على حظهن في أزواج. وهي إلهة الجمال التي تهب البشر جمال الجسد وفتنته وفتوته، والقدرة على سبي العقل.

(٣) طيبة مدينة يونانية ارتبطت بشكل كبير بالتاريخ والأدب والأسطورة

في عصور آتية سوف يسحقُ القنطورسُ^(١)
بحافره الأوحـد صدر اللابيثي^(٢)،
وحيـنما تصيرُ روما غباراً سوف يثُنُّ المينوتورُ^(٣)
في الليلة اللامتناهية لقصره الممتن.

-
- الإغريقية، موطن الإله ديونيسوس، ومكان ولادة البطل الأسطوري هرقل.
- (٤) الأغورا Agora ساحة دائرية كان المزارعون بأثينا يلتقون بها منذ القديم، لكنها لم تكن حكرًا عليهم بل كانت أيضا موضع التقاء الفلاسفة أيضا. شكلت الأغورا مركزاً إدارياً ودينياً وتجارياً، إذ كانت تعتبر المكان العمومي الذي كانت تُتخذ فيه القرارات الأساسية في المجتمع الإغريقي القديم.
- (١) القنطورس Centaurus كائن أسطوري عند اليونان وفي الميثولوجيا الإغريقية، يعتبر والد سلالة الوحوش الأسطورية المعروفة، يصور في شكل نصف رجل الجذع والرأس ونصف حصان، مع امتداد الجذع حتى يصل إلى رقبة الحصان، كان يعيش في الغابات وعلى الجبال وعرف عنه حبه للنساء وإفراطه في شرب النبيذ.
- (٢) اللابيثيون Lapiths من سكان ثيساليا الأصليين. تجعلهم الأنساب أفراداً من عشيرة القنطورس، قيل إن لابيثيس والقنطورس توأمان من أبناء الإله أبولو والحوارية ستيلبانا إله النهر بينوس.
- (٣) المينوتور Minotaur في الميثولوجيا الإغريقية كائن نصفه رجل ونصفه الآخر ثور، وهو ابن باسيفاي زوجة مينوس وثور أبيض كالثلج يدعى الثور الكريتي، تم إرسال الثور الأبيض السابق ذكره إلى مينوس كتضحية من قبل بوسيدون. فأحبته باسيفاي ومارست الحب معه فكان طفلهما المينوتور، يقطن في قصر اللابرنـت-قصر التيه-، وهو عبارة عن منشأة شبيهة بالمتاهة بُنيت لملك كريت مينوس، وصممها المعماري دايدالوس لاحتجاز المينوتور كعقاب من بوسيدون. بعد قتل أندوغيوس بن مينوس من قبل ملك أثينا أيغيوس قام مينوس بمهاجمة أثينا ليفرض إتاوة بسبعة شبان وسبع عذارى ليأكلهم المينوتور كل تسع سنوات أو كل سنة حسب بعض المصادر الأخرى.

سوف تعودُ كلُّ ليلةٍ سُهادٍ: دقيقةُ التفاصيلِ .
واليدُ التي تكتبُ هذا ستولدُ من جديدٍ
من الرَّجَمِ ذاتِهِ . جيوشٌ شديدةٌ سوف تبني الوهدة .
(دافيد هيوم^(١) عن إدنبرغ قال الشيء نفسه .)

لست أدري ما إذا كنا سنعود في دورة ثانية
مثلما تعود أعداد كسرٍ عشريٍّ متكرّرٍ ،
لكنني أعلمُ أن دورة فيتاغوريةٍ مُعتمةٌ
ليلةً بعدَ أخرى ستتركني في مكانٍ ما من العالم

سيكون من الضواحي ، زاوية قصيةٍ
يمكن أن تكون من الشمال ، من الجنوبِ أو من الشرقِ ،
لكنها تمتلك دوماً سياجاً سماوياً عالياً ،
وشجرة تينٍ ظليلةٍ ومسلكٍ طريقٍ مقطوعٍ .

هنالك توجد بوينوس أيريس . الزمنُ الذي حمل
للرجال الحبَّ والذهبَ ، ترك لي بالكادِ هذه الوردة
الذابلة ، هذه الكبة المُتشابكة والمُقفرة
من الشوارع التي تكررُ الأسماء السالفة

(١) دافيد هيوم David Hume (إدنبرغ ١٧١١ - إدنبرغ ١٧٧٦) ، فيلسوف
واقتصادي ومؤرخ اسكتلندي وشخصية مهمة في الفلسفة الغربية وتاريخ
التنوير الاسكتلندي .

من سُلّالتي: لا بريدا، كابريرا، سولير وسواريث...
أسماء تدوّي فيها (وقد صارت سرّية) أصداء الغايات
والجمهوريّات، الخيول والصباحات،
الانتصارات السعيدة والاستشهادات في المعارك العسكريّة.

الساحات الخطرة إبان أوقات الليل بلا سيّد
أو رقيب فناءت عميقة لقصر مهجور
والشوارع الجامعة التي تخلق الفضاء
معابر لخوف شارد وأحلام.

تعودُ الليلة المقعّرة التي فكّ شيفرتها أناكساغوراس^(١)،
تعود إلى جسدي الإنسانيّ الأبدية المستمرة
والذكرى، والمشروع؟ مشروع قصيدة مُستديمة:
«قد عرف ذلك تلاميذ فيتاغوراسُ الأشداء...»

(١) أناكساغوراس Anaxágoras فيلسوف يوناني (٥٠٠ ق.م. - ٤٢٨ ق.م.)
أدخل مفهوم نيوس «العقل» كعنصر أساسي في الفكر الفلسفي اليوناني،
كان من الذين انشغلوا بالبحث في الطبيعة التي تتأسس على التجربة
والذاكرة والتقنية، وإليه تنسب التفسيرات العقلية بصدد الخسوف والكسوف
وتنفس الأسماك والحيتان مثلما البحوث المرتبطة بتشريح الدماغ.

عن الجحيم والجنة

لا يحتاج جحيمُ الربِّ
إلى بهاء النار. لَمَّا تدوي
في الأبواق القيامة الكونية
وتنشر الأرض أحشاءها
وتنبعث الأمم من الغبار
لتمثّل للصوت اللا محيد عنه،
لن ترى العيون الدوائر التسع
للجبل المعكوس ولا المرج
الشاحب من نبت الخشي المستديم
حيث يلاحق ظلّ رامي السهام
ظل الغزال إلى الأبد،
لا ذئبة النار التي وطئت الأرض الخفيضة
لجحيم المسلمين
سابقة عن آدم وعن القصاصِ
لا معادن عنيفة ولا حتى الظلمات
المرثية لجون ميلتون.

لن تضطهد متاهة كريمة
من حديد ثلاثي و نار مؤلمة
الأرواح الحائرة المحكوم عليها بالهلاك الأبدى

ولا عمق الأعوام سوف يحفظ أيضاً
حديقة قديمة . الربُّ لا يحتاج
لكي يُبهِجَ فضائل الأبرار
مدارات من الضوء، ولا نظريات لِعُرُوشِ
مُتَكَائِفَةٍ، قوّة مرهبة ولا طغمة ملائكة من حراس العرش،
ولا مِرآة خادعة من الموسيقى،
ولا أعماق الوردة،
ولا البهاء المشؤومَ لِنَمِرٍ واحدٍ
من نموره، ولا رقّة
غروبٍ أصفرَ في الصحراءِ
ولا الطعم المولديّ القديمَ للماءِ .
ليس ثمة في رحمته حدائق
ولا أضواء لأملٍ أو ذكرى .

في بلورٍ حلِمٍ قد لمحتُ
الجنةَ والجحيمَ الموعودين :
حين ستدوي ساعة القيامة في الأبواقِ

الأخيرة ويصيرُ الكوكبُ الألفيُّ
مختوماً، وتكفُّ فجأةً عن الوجودِ
أَوَاهُ أَيُّهَا الزمَنُ! أهراماتك الفانية،
ستحدِّدُ ألوانُ وخطوط الماضي
في الظلمةِ وجهًا نائمًا

ثابتًا ووفياً ولا متغيِّراً
(ربّما يكون وجه الحبيبة، ولربّما يكونُ وجهك).
وسوف يصيرُ تأملُ ذلك الوجه القريب
المستديم والخالص والمتعفِّفِ عن كلِّ فسادٍ
للمحكومين بالهلاك الأبدِيِّ جحيماً
ولأولئك الذين سوف يُصطفونَ في الجنَّةِ.

قصيدة حدسيّة

الدكتور فرانسيسكو لا بريدا^(١)، الذي قُتل في ٢٢
شتمبر من سنة ١٨٢٩ من قبل منظمة مونطونيروس
ألداو، يفكر قبل موته:

يُتْرُ الرصاصُ في المساء الأخير
ثمّة ريحٌ وثمّة رمادٌ في الريح،

(١) فرانسيسكو نارسيسو دي لا بريدا (سان خوان دي لا فرونتيرا، ١٧٨٦ - ميندوزا، ١٨٢٩) كان محامياً وسياسياً أرجنتينياً، ونائباً برلمانياً عن سان خوان في كونغرس توكومان الذي ترأسه حين تم إعلان استقلال البلاد في ٩ يوليو ١٨١٦. كان إعدام الزعيم الفيدرالي مانويل دوريجو رمياً بالرصاص بداية لحرب أهلية، ونتيجة لذلك انتقل لا بريدا إلى ميندوزا. وهناك دعم الثورة الوندوية التي قادها خوان أغوستين مويانو. وفي ٢٢ سبتمبر ١٨٢٩، هزمت القوات التي كان يقودها الراهب السابق خوسيه فيليكس ألدو القوات الوندوية التي كانت تحت أمره مويانو، وقُتل لا بريدا في المذبحة التي أعقبت تلك الهزيمة. ويحكي الشاب سارميتنو حينئذ روايته عن هذه الأحداث حيث كان لا بريدا يقود جماعة من الوندويين الذين كانوا قد تفرقوا بعد المعركة، ومن بينهم الرئيس اللاحق. بعد أن أصيب لا بريدا في المعركة وبعد مقاومة قصيرة سوف يسقط وسيذبح، ويروي سارميتنو أنه لم يستطع أحد بعد ذلك معرفة ما حدث بدقة. وهناك حكاية أخرى تحكي أن لا بريدا تم أسره دون مقاومة، ودُفن حياً حتى الرقبة، ومرت الخيول فوق

يتبدّد النهارُ والمعركة
الشوهاءُ والنصرُ للآخرين،
ينتصرُ البرابرة، ينتصرُ الغاوتشو.
أنا الذي درست القوانين والشرائع،
أنا فرانسيسكو نارسيسو دي لا بريدا
الذي أعلن صوته استقلالَ
هذه الأقاليم القاسية، مهزومًا
والوجه ملطّخ بالدم والعرق،
بلا أمل أو رهبة، تائهاً
أهرب نحو الجنوب عبر الضواحي الأخيرة
مثل قائد المطهر ذاك الذي وهو يهرب
مشيًا على الأقدام ملطّخًا السهل بالدماء
قد تخطّف الموتُ بصره وصرعه
هنالك حيث يضيع اسمه نهرٌ معتمٌ
هكذا كان يجب أن أسقط، اليومَ المنتهى والختم.
الليل الجانبيّ للمستنقعات
يترصّدني ويؤخّرني، أسمع حوافرَ

رأسه، ونقلت جثته إلى قاعة بلدية ميندوزا، حيث تعرف عليها القاضي
أورتيث. أقيم للابريدا في مدينة سان خوسيه دي ياتشال، في مقاطعة سان
خوان، تمثال عام ١٩٠٧. وقد كتب عنه خورخي لويس بورخيس هذه
المرثية تخليداً لذكراه باعتباره أحد أسلافه من جهة أمه ليونور أثيفيدو.

موتي الساخن يبحث عني
بفرسان وبجحافل خيول ورماح
أنا الذي كنت أتوق إلى أن أكون آخر، أن أكون رجل
أحكام وكتب وفتاوى،
سأرقد تحت سماء مفتوحة بين مُستنقعات،
لكن قلبي تولَّهه، بشكلٍ غامضٍ،
بهجة سرية، ألتقي أخيراً
مصيري الأمريكي الجنوبي.
كانت تقودني إلى هذا المساء المهلك
المتاهة المتعددة من خطوات
نسجتها أيامي منذ يومٍ ما من أيام
الصبا. أخيراً اكتشفتُ
المفتاح الخفي لأعوامي.
حظ فرانسيسكو دي لا بريدا،
الحرف الذي كان ينقصُ، الشكل
المُكتمل الذي عرفه الربُّ منذ البدء.
في مرآة هذه الليلة أصلُ إلى وجهي
الأبدِيّ اللا مُتوقَّع. سوف تنغلقُ
الدائرة. وأنا أنتظرُ أن تكون هكذا.

أقدامي تدعسُ ظلال الرماح
التي تبحثُ عني . سخریات موتي ،
والفرسان وهلب الخيول والخيول
تحدق بي . . . الضربة الأولى ،
طعنة السيف القاسية التي تشقّ الصدر ،
والنصل الحميم فوق النحر .

قصيدة العنصر الرابع

الإله الذي أسره رجُلٌ من سلالة أتريوس^(١)
على شاطئٍ يمزقه الحرّ الخانق،
تحوّل إلى أسدٍ، إلى تنينٍ، إلى فهدٍ،
إلى شجرة وإلى ماء. لأنّ الماء بروتيوس^(٢).

هي غيمة، الغيمة غيرُ القابلة للاستعادة، هي مجدُّ
الغروب الذي يتوغلُّ، أحمر، في الضواحي.

-
- (١) أتريوس Atreo شخصية في الميثولوجيا الإغريقية. وهو ملك موكناي في بيلوبونيز، هو ابن بيلوبس وهييوداميا، والد أغامنون ومينيلوس. وتعرف سلالته باسم الأرتيديون. تم نفي أتريوس وأخيه التوام ثيتيس من قبل والدهما بعد أن قتلا أخاهما غير الشقيق خريسيبوس وذلك طمعا في عرش أولمبيا. لجأ الأخوان إلى موكناي، حيث ارتقيا إلى العرش في غياب الملك يوريسثيوس، الذي كان يقاتل الهرقليين. كان يوريسثيوس ينوي جعل قيادتهم مؤقتة، ولكنها أصبحت دائمة بعد وفاته في المعركة، وحسب معظم المصادر القديمة، فإن أتريوس هو والد بليستينوس، ولكن بعض الشعراء الغنائيين (مثل إيبيكوس وبقليدس) فإن بليستينيدس (ابن بليستينوس) تم استخدامه كاسم بديل لأتريوس. يستعمل مصطلح «الأرتيديون» للإشارة إلى أبناء أغامنون ومينيلوس، ويستخدم أحيانا للإشارة لأحفاد أتريوس اللاحقين.
- (٢) بروتيوس في الأساطير الإغريقية، Proteo أو Proteus هو إله البحر.

إنها الدوامة التي تنسجها الأعاصير الجليدية،
والدمعة اللامجدية التي أهبها لذاكرتك.

قد كانت، في نظريات نشأة الكون، الأصل السريّ
للأرض التي تُغذي، من النار الملتهمّة،
الغروبَ والفجرَ الذي تتحكم فيه الآلهة.
(هذا ما يؤكّده سينيكا^(١) وطاليس الملطي^(٢))

البحر والجبل المتحرّك الذي يدمر
السفينة الحديدية ليس سوى تكرار،
والزمن اللامنعكس الذي يجرحنا ويهرب،
ماء، ليس سوى إحدى استعاراتك.

قد كنت، تحت الرياح المدمّرة، المتاهة
بلا جدران ولا نوافذ والتي طرّقتها الرمادية
لمدّة طويلة قد حرّفت مسارَ عوليس^(٣) المشتاق إليه،

(١) سينيكا، Seneca فيلسوف وخطيب وكاتب مسرحي روماني، كتب أعماله
باللغة اللاتينية.

(٢) طاليس الملطي (نحو ٦٢٤ - نحو ٥٤٦ ق.م) هو رياضي وعالم فلك
وفيلسوف يوناني من المدرسة الأيونية، وهو أحد «الحكماء السبعة» عند
اليونان.

(٣) عوليس أو أوليس باللاتينية Ulysses أو أوديسيوس بالإغريقية، هو ملك

من الموت المحقق والحظ الملتبس .

تلتمع مثل الحدّ القاسي للسيوف المقوسة،
تستضيف مثل الحلم وحوشًا وكوابيس .
تهبك لغات الإنسان أشياء عجيبة
وهروبك يسمى الفرات أو الغانج .

(يؤكدون أن ماء هذا الأخير مقدّس،
لكنه مثلما البحار يحوك مؤامرة تبادلات حالكة
والكوكب مسامي، وصحيح أيضًا
تأكيد أن كل إنسان قد استحم في نهر الغانج .)

الأكويني^(١)، في صخب الأحلام قد رأى
محيطك مرصوفًا بالوجوه بالأمم .
قد هدّأت قلق الأجيال،
قد غسلت جسد أبي وجسد المسيح .

إيثاكا الأسطوري، ترك بلده كي يكون من قادة حرب طروادة، وصاحب
فكرة الحصان الذي بواسطته انهزم الطرواديون .

(١) توماس الأكويني Tommaso d'Aquino (قلعة روكاسكا، قرب أكوين
١٢٢٥-دير فوسانوف، لاتسيو ١٢٧٤) راهب دومينيكاني قسيس وقديس
كاثوليكي إيطالي من الرهبانية الدومينيكانية، وفيلسوف ولاهوتي مؤثر ضمن
تقليد الفلسفة المدرسية .

ماء، أتوسل إليك . بهذه العقدة
الناعسة من كلمات عديدة أقولها لك ،
تذكر بورخيس ، ساردك وصديقك .
لا تتعاس عن الإصغاء لشفتيّ في اللحظة الأخيرة .

إلى شاعر الأنطولوجيا الصغير

أين ذاكرة الأيام
التي كانت أيامك في الأرض ونسجت
سعادةً وألمًا، وكانت هي الكون لديك؟

نهر الأعوام القابل للإحصاء
قد ضيَّعها، فأنت مُجرّد كلمة في فهرس،

قد منحتِ الآلهة آخرين مجداً لا ينتهي،
نقوشاً وكتاباتٍ على ميدالياتٍ وآثاراً ومؤرخين ملاثمين،
وعنك فقط نعرفُ، أيها الصديقُ المعتمُ،
أنك استمعتَ في مساءٍ ما إلى العندليب.

ما بين نباتِ الخنثى للظلِّ، سيُفكِّرُ ظلكُ
الزائلُ أنّ الآلهة كانت شحيحة.

لكنّ الأيام شبكة تعاسات مُبتذلة،
فهل ثمة حظّ أفضل في أن يكون النسيانُ
مصنوعًا من الرماد؟

فوق آخرين ألقِ الآلهة
الضوءَ الحتميَّ للمجد الذي ينظرُ إلى الأحشاء
ويُعدّدُ شقوقَ
المجدِ الذي ينتهي إلى إذبال الوردة التي يُبجّلُها،
معك يا أخي، كانت أرحم.

في نشوة المساء الذي لن يصير ليلاً
تُصغي إلى صوت عندليب ثيوقريطس^(١).

(١) ثيوقريطس (٢٣١٠ - ٢٥٠ ق.م) شاعر إغريقي. يُعتبر مُبدع ومؤسس الأدب
الرعوي أو الشعر الرّعوي.

صفحة لاستحضار العقيد سواريث^(١) المنتصر في معركة خُونين^(٢)

ماذا تهّم حالات العوز، المنفى،
إهانة أن تصير في شيخوخة، الظلّ المُتنامي
للدكتاتور فوق الوطن، البيت في الحيّ العلويّ
الذي باعه إخوته بينما كان هو يحارب الأيام اللامجدية
(الأيام التي ينتظرُ المرء أن ينساها، الأيام التي يعرفُ المرء
أنه سوف ينساها)،
أجل كانت له ساعة مَجده، مُمتطيًا صهوة حصانه،
في الامتداد المرثيِّ لبامبا خونين كما لو في مشهد لأجل الآتي،
كما لو كان مدرج الجبال هو الآتي.

(١) مانويل إيسيدورو سواريث (بوينوس آيريس، ١٧٩٩ - مونتيفيديو، ١٨٤٦)،
أو العقيد سواريث، قائد في الجيش الأرجنتيني، خاض حروب الاستقلال
الهسبانية الأمريكية، وكان قائدا لسلاح الفرسان البيروفي والكولومبي في
معركة خونين. في مرحلة لاحقة شارك في الحروب الأهلية الأرجنتينية.
(٢) معركة خونين: في ٦ أغسطس ١٨٢٤، تواجه جيوش التحرر والاستقلال
مع الجيوش الملكية في سهول بامبا خونين.

ماذا يهّمُ الزمن المُتعاقب إن كان في داخله
قد وُجِدَ كمال وانتشاء في مساء ما .

خدم ثلاث عشرة سنة في حروب أمريكا، وفي الختام
أخذَه الحظُّ إلى الدولة الشرقيّة، إلى حقول ريو نيغرو .
في المساءات سوف يُفكّر

أنّه بالنسبة له قد أزهرت تلك الوردة:

معركة خونين المجسّدة، اللحظة اللامتناهية
التي تتعانقُ فيها الرماح، الأمر الذي حرّك المعركة
هزيمة البدء وما بين صخب القتال
(ليست أقلّ مباغته له من الجيش)

صوته وهو يصرخ في البيروفين أن يهاجموا،
الضوء وقوّة الاندفاع وحتميّة الهجوم
المتاهة الحانقة للجيوش

معركة الرماح التي لم تُدوّ فيها طلقة واحدة،
القوطي الذي اخترقه بسيفه،

النصر والهناء والتعب وبداية حلم،

والناس وهم يموتون بين المستنقعات،

وبوليفار وهو يتلفّظ بكلمات تاريخيّة بلا ريب،

والشمس وقد صارت غربية والطعم المستعاد للماء والنيبذ

وذلك الميت بلا وجه لأنّ المعركة دعسته ومحته . . .

يكتب ابن حفيده هذه الأبيات الشعرية ويأتيه صوتٌ صامتٌ
من الدماء السحيقة الأقدم:

- ماذا تهتمُّ معركتي في خُونينَ إن تكن ذاكرةً مجيدةً،
تاريخاً يُتعلَّمُ لأجل امتحانٍ أو لتحديد مكان ما في الأطلس
المعركة خالدة ويمكنُ الاستغناء عن الموكبِ المرثيِّ لجيوشِ
بأبواقِ،

خونينُ رجلاَنِ مدنيانِ في زاوية ما يلعنان طاغيةً
أو رجلاً معتماً يموتُ في السُّجنِ.

ماثيو، XXV، ٣٠

الجسر الأوّل لشارع كونستيتسيون، وعند قدمي
هدير قطارات تنسج متاهات حديدية.
دخان وصفارات كانت ترتقي الليلة،
التي بغتة صارت دينونة الكون. من الأفق اللامرئي
ومن مركز كينونتي، قال صوت لا متناهٍ
هذه الأشياء (هذه الأشياء، وليس هذه الكلمات،
وهي ترجمتي المؤقتة السيئة لكلمة واحدة فقط):
نجمات، خبز، مكتبات شرقية وغربية،
أوراق اللعب، رُقْعُ الشطرنج، أروقة، مَناورٌ وأقية،
جسدٌ بشريٌّ للسَّيرِ عبرَ الأرض،
أظافرٌ تنمو في الليل، في الموت،
ظلٌّ ينسى، ومرايا مُتعبة تتكاثر،
منحدرات الموسيقى، وهي أكثر أشكال الزمن انقيادًا،
حدود البرازيل والأوروغواي، خيول وصباحات،
ثقلٌ من البرونزي ونسخة من كتاب ساغا دي غريتير،
الجَبْرُ والنَّارُ، عبء خنين في دمك،

أيامٌ أشدُّ ازدحامًا لبلزاك، وعبق رائحة زهر العسل،
حُبٌّ وعشية الحبِّ وذكريات لا تُحتمَلُ،
الحلم كنز مدفون، الحظُّ السخيِّ
والذاكرة، التي لا ينظر إليها الإنسان بلا دوار،
كل ذلك تم منحه، وأيضًا
الغذاء القديم للأبطال:
الزيف والهزيمة والإهانة.
عبثًا أغدقنا على المحيط هبة،
عبثًا الشمس التي رأتها عينا ويتمان الرائعتان؛
قد استنفدتِ الأعوام واستنفدتك،
وأنت بعدُ لم تكتب القصيدة.

بوصلة

إلى إستير ثيمبوراين دي طورًا

كلّ الأشياء كلماتٌ من
اللغة يكتبُ بها شخصٌ ما أو شيءٌ،
ليلاً ونهارًا، هذا الصخب اللامتناهي
الذي هو تاريخ العالم. وفي حشوده

تعبرُ قرطاج وروما، أنا وأنت وهو،
وحياتي التي لا أفهمها، هذا العذاب
في كونها لغزًا، صدفة، كتابة مشفرة
وكلّ مثار الشقاق في بابل.

خلف الاسم ثمة ما لا يُسمّى،
اليوم أحسستُ بجاذبيّة ظلّه
في هذه الإبرة الزرقاء الساطعة والخفيفة،

نحو تخوم البحر تمدد إصبرارها،
مع شيء من ساعة شوهدت في حلم
وشيء من طائر نائم يتحرك.

...
...
...
...

...
...
...
...

...
...
...

...
...

مفتاح في سالونيكَا

أباربانيل أو فارياس أو بينيدو،
طردوا من إسبانيا بسبب ملاحقة
بدعوى الكفر، ما زالوا بعد يحتفظون
بمفتاح بيت في طليطلة.

متحرّرون الآن من الأمل والخوف،
ينظرون إلى المفتاح مع أفول شمس النهار،
في البرونز ثمة أمس ويُعدُّ،
تألّق متعب ومكابدة هادئة.

اليوم بعد أن صار بابها غبارًا، غدت الآلة
شيفرة للشتات والريح،
مجاورة لذلك المفتاح الآخر للمكان المقدّس

الذي ألقاه شخصٌ ما إلى اللون الأزرق،
لما هاجم الروماني بنار متهوّرة،
فتلقّى من السماء يدًا.

شاعر من القرن الثالث عشر

يُعيد النظر في المسودات المُتعبة،
لتلك السوناتة الأولى اللا تُسمى،
الصفحة العشوائية التي دمج فيها
ثلاثيات ورباعيات آثمة.

يبرد بريشة متمهّلة تدقيقاته
ويتوقّف. هل وصلَ إليه
همس عنادل بعيدة
من الآتي ورعبه المقدّس.

هل أحسّ أنّه لم يكن وحيدًا
وأنّ الخفيّ، أبولو المذهل
قد كشف له عن نموذج أصليّ،

بلور شرّه سوف يأسر
لما ينغلق الليل أو يفتح النهار:
مكان الفقد، المتاهة، اللغز، وأوديب؟

جندِيُّ أوريبينا

مرتابًا من كونه جديرًا بمأثرة أخرى
مثل تلك التي كانت في البحر، هذا الجنديُّ،
قد أذعن لأعمالِ قدرة،
كان يتيهُ حالكًا في إسبانياه القاسية.

لكي يمحو أو يُخفِّفَ ضراوة
الواقعيِّ، كان يبحثُ عمَّا يُحلمُ به
فمنحوه ماضيًا سحريًا
في حلقات رولاند وبروتانيا.

سوف يتأمل، مغمورًا في الشمس، الحقل
الشاسع الذي يستمرُّ فيه تألُّقُ النحاس؛
كان يظنُّ أنه قد انتهى وحيدًا وفقيرًا،

دون أن يعرف أيَّ موسيقى كان يمتلك؛
وهو يعبر في أعماق حلم ما،
ذاك الذي كان يمضي فيه دون كيخوتي وسانشو.

حدود

من هذه الشوارع التي تعمق رياح الغرب،
شارع واحد (لا أعرفه) قد قطعته
للمرة الأخيرة، غير مُبال
وبلا تكهن، خاضعًا

لمن يفرض قواعد قهرية
وتعليمات سرية صارمة
على الظلال والأحلام والأشكال
التي تستلّ خيوط هذه الحياة وتنسجها.

لو كان ثمة لكل شيء مفهوم وثمة رسم
ومرة أخيرة ولا مرة أبدًا بعد ونسيان
من سيقول لنا من في هذا البيت
ودون معرفة، قد ودّعنا؟

خلف الزجاج الذي صار رماديًا يكفّ الليل
ومن أعلى الكتب التي يمددها ظلّ

ناقصٌ عبر الطاولة الملتبسة،
سيكون ثمة كتابٌ لم نقرأه أبدًا.

في الجنوب ثمة أكثر من بؤابة متهالكة
مع مزهرياتها المبنية بالحجر
والصبار التي تمنع خطوي التقدّم
كما لو كانت حاجزًا صخريًا.

إلى الأبد قد أغلقت بابًا ما
وثمة مرآة تنتظرك عبثًا.
تبدو لك تشعبات الطريق مفتوحة
ويراقبها يانوس^(١)، رباعيّ الوجّهات.

ثمة، من بين كلّ ذكرياتك، ذكرى
ضاعت بشكل غير قابل للاسترداد؛
لن تراك وأنت تنزل إلى ذلك النبع
لا الشمس البيضاء ولا القمر الأصفر.

(١) يانوس أو جانوس Jano أو Ianus هو إله البوابات والمداخل والانتقالات والطرق والممرات والمخارج في الميثولوجيا الرومانية، لهذا الإله وجهان، وجه ينظر للمستقبل ووجه ينظر للماضي.

لن يعود صوتك الى ما قاله الفارسي^(١)
على لسانه، لسان الطير والورد.
عند غروب الشمس، وأمام الضوء المبعثر،
لما ترغّب في أن تقول أشياء لا تُنسى.

والرون^(٢) المستديم والبحيرة،
أكلُ ذلك الأمس الذي أنحني أمامه اليوم؟
سيكون جدّ ضائع مثل قرطاج
التي بالنار وبالملح قد مَحَت اللاتيني.

أؤمن بالفجر يسمع جلبة
منشغلة للحشود التي تبتعدُ.
هي ما أحبّني ونسيّني؛
الفضاء والزمن وبورخيس ها قد تركوني.

(١) يقصد هنا فريد الدين العطار النيسابوري.

(٢) نهر الرون Rhône أو رودانوس Rhodanus هو واحد من الأنهار الرئيسية في أوروبا، ينبع من سويسرا ويصب في جنوب شرق فرنسا بطول إجمالي ٨١٢ كم، وقرب مصبه في البحر الأبيض المتوسط يتفرع إلى فرعين: الفرع الأول ويعرف بالرون العظيم والفرع الثاني يعرف بالرون الصغير، فهو بذلك يكون دلّتا نتيجة تفرع النهر في منطقة كامارغ.

بالتاسار غراثيان^(١)

متهات، جناسات وتوريات، شعارات،

تفاهة متجمّدة وشاقّة،

كان الشعر بالنسبة لهذا اليسوعيّ،

وصارَ مختزلاً عنده في خُدع،

في روحه لم تكن ثمّة أيّ موسيقى. كانت مجرد أعشاب

عبيّة من استعارات ونكت لغويّة فارغة

وتبجيل للحيل المُخادعة

وازدراء ما هو إنسانيّ وما فوق إنسانيّ.

(١) بالتاسار غراثيان Baltasar Gracián (بيلمونتي، قرب قلعة أيوب، ١٦٠١-
سرقسطة، ١٦٥٨) كاتب إسباني ينتمي للعصر الذهبي في إسبانيا، اختص
بالنشر التعليمي والفلسفي. من أبرز أعماله روايته الكريتيكون، والتي تقدّم
صورة رمزية عن حياة الإنسان والتي نشرت في ثلاثة أجزاء ١٦٥١ و ١٦٥٣ و
١٦٥٧، وهي من بين الأعمال الأدبية الإسبانية التي لا تقل في جودتها عن
رواية دون كيخوطي دي لا مانشا ولا ثلستينا ولالوثانا الأندلسية.

لم يحرك الصوت القديم لهوميروس
ولا ذاك الذي من فضة وقمر فيرجيل^(١).
لم ير أوديب المشؤوم في منفاه
ولا المسيح يموت فوق أخشاب الصليب.

ولا نجمات الشرق المضيئة

التي تشحب في الأسفار الشاسعة،

قد نعتها بكلمة آثمة

دجاجات الحقول السماوية.

جد جاهل بالعشق الإلهي

مثلما الآخر الذي يشتعل في الأفواه،

قد فاجأته الشاحبة في مساء ما

وهو يقرأ مقاطع شعرية من مارينو^(٢).

(١) فيرجيل أو بوبليوس فرجيليوس مارو Publius Vergilius Maro (فيرجيليو

٧٠ ق.م. - برونديسيوم ١٩ ق.م) شاعر روماني. كتب الإنياذة التي

اعتبرها الرومان إحدى القصائد الوطنية، وقد نشرت بعد وفاته بستين.

(٢) جيوفاني باتيستا مارينو Giambattista Marino (نابولي، ١٥٦٩ - نابولي،

١٦٢٥) أحد أبرز شعراء عصر الباروك في إيطاليا، لقب بالفارس مارينو.

مصيره اللاحق لا يُحكى في التاريخ؛
قد تحرّر لتحوّلات القبر
الدينسُ الذي كان الغبار بالأمس صورته،
قد ولجت روح غراثيان الجنة .

ما الذي كان سيحسّ به عند تأمله
النماذج وأشكال البهاء أمامه؟
لربّما قد بكى وقال لذاته : عبثاً
قد بحثت عن الغذاء في الظلال وفي الأخطاء .

ما الذي حدث لَمّا شمسُ الرّبِّ
القاسية، الحقيقة، أظهرت نارها؟
لربّما نور الرّبِّ جعله أعمى
في خضمّ المجد اللامتناهي .

أعرف خلاصة أخرى . نظراً لمواضيعها
الصغيرة، لم يرَ غراثيان المجد
وهو لا يزال يحلّ في الذاكرة
متاهات، جناسات وتوريات، وشعارات .

سكسوني (٤٤٩ م)

كان القمر المنحني قد غرق
متمهلاً في الفجر داس الرجل
الأشقر الخشن بقدمه الحافية
الوجلة الرمال الدقيقة للتلّ.

وما وراء الخليج الباهت
نظر إلى أراض بيضاء ورُبيّ سوداء،
في تلك الساعة الأساسية من اليوم
التي لم يبتدع فيها الرّبّ الألوان.

كان عنيداً . لقد صنعت ثروته
مجاديفه وشباكه ومحراثه وسيفه ودرعه؛
اليد القاسية التي كانت تقاتل استطاعت
أن تنحت بالحديد نقشاً عنيداً .

كان قد جاء من أرض مُستنقعات
تلك التي تقضمها البحار المزعجة.
وفوقه كان ينشر قبابه مثل النهار
القدر، وعلى حواشيه أيضًا،

أودين^(١) أو ثونور، بيدِ خرقاء
زيته بأسمالٍ ومساميرٍ
وعلى مذبحة قدم قربانًا للخبايا
خيولًا وكلابًا وطيورًا وعبيدًا.

ولكي يغني ذاكرات أو مدائح
كان يكوّم أسماء كادحة،
كانت الحرب لقاء الرجال
وكانت أيضًا لقاء الرّماح.

كان عالمه عالم سحرٍ في البحار،
لملوك وذئاب والقدرِ
الذي لا يغفر والرّعب المقدّس
الكامن في قلب غابات الصنوبر.

(١) أودين أو وودن بالنرويجية القديمة Óðinn كبير الآلهة في الميثولوجيا
النوردية، وزعيم آلهة الأسر. يُدعى بأبي الآلهة ويشق اسمه من كلمة تعني
الحماسة والغضب والشعر.

كان يجلب الكلمات الأساسية
للغة سوف يرفع شأنها الزمن
على موسيقى شكسبير: ليلٌ ونهار،
ماء ونازٌ وألوانٌ ومعادن،

جوعٌ وعطشٌ ومرارةٌ وحلمٌ وحربٌ،
وموتٌ وعادات إنسانيةٍ أخرى،
في جبالٍ وعرّةٍ وفي سهولٍ مفتوحة،
خلقَ أبناؤه إنجلترا.

الغوليم^(١)

أجل (مثلما يؤكّد الإغريقيّ في كراتيلوس^(٢))
الاسمُ نموذجٌ من الشيء،
في أحرف الوردِ ثمّة الوردِ،
وكلُّ النيل في كلمة النيل.

ومصوغًا من صوائت وصوامت،
سيكون ثمّة اسمٌ مرعبٌ سوف يُشفره
الجوهرُ بأنه إلهٌ وسوف تحفظه القدرة الكلية
الخارقة في حروفٍ ومقاطعٍ مُجسّدة

(١) الغوليم هو التجسيد، في فولكلور العصور الوسطى والأساطير اليهودية، وهو كائن حي مصنوع من مادة غير حية (عادة من الطين أو الصلصال أو مادة مماثلة).

(٢) كراتيلوس هو أحد محاورات أفلاطون كتبه حوالي عام ٣٦٠ ق.م. ويتفق معظم الباحثين أن معظمه كتب خلال ما عرف بفترة أفلاطون الوسطى ما بين مرحلة الشباب ومرحلة النضج. ويتقابل في الحوار رجلان هما كراتيلوس وهيرموجينيس، ويسألانه إذا كانت الأسماء «تقليدية» أو «طبيعية»، أي ما إذا كانت اللغة هي نظام من العلامات العشوائية أو ما إذا كانت الكلمات لها علاقة متأصلة بالأشياء ودلالاتها.

قد عرف ذلك آدمُ والنجومُ
في الحديدية . صدأ الخطيئة
(يقول القبالة) قد محاه
ثم أضاعته الأجيالُ .

المهاراتُ وسذاجة الإنسانِ
لا حدَّ لهما . نعرفُ أنه كان ثمّة يومٌ
كان شعبُ الرَّبِّ يبحثُ عن الاسمِ
في عشياتٍ ساهرة في الحي اليهودي .

ليس على طريقة أخرياتِ يومئذٍ
في الحكاية المُلتبسة إلى عتمة غامضة ،
بعد لا تزال نيئةً وحيّةً ذاكرةً
يهودا ليون الذي كان حبرًا في براغ .

متعظشًا لمعرفة ما يعرفه الرَّبُّ
انشغل يهودا ليون بمبادلة الحروفِ
وبإجراء تنويعاتٍ معقّدة
وفي الختام تلفظ بالاسم الذي كان هو المفتاح .

البابُ والصدى والضيفُ والقصرُ ،

بصدد دُمية صنعها بأيادِ خرقاء
لكي يعلمها خبايا الحروفِ
والزمان والفضاء.

رفعت الصورةُ الزائفة الجفنين
الناعسين ورأت أشكالاً وألواناً
تائهة لم تستوعبها في الجلبة
فجربت حركات متهيبة.

وبالتدريج وجدت نفسها (مثلنا)
سجينة هذه الشبكة المصوّتة
لقبلُ وبعدُ وأمس وبين والآن
يمين ويسار وأنا وأنت وأولئك وآخرون.

(القباليُّ الذي تولّى مهمة الإلهام
سمى الكائن الضخم بلقب غوليم.
وهذه الحقائق يُحيل عليها شوليم^(١)
في كتابه بموضع عليم.)

(١) يقصد بورخيس هنا غرشوم شوليم المؤرخ والباحث المختص في التصوف اليهودي، مؤسس الدراسة الأكاديمية الحديثة للقبالة.

كان الحبر يفسر له الكون
هذه قدمي، وهذه قدمك، وهذا هو الحبل
وقد تمكّن الشريّر على مدى أعوام
أن يكنس بشكل ما، جيّد أو سيّئ، الكنيس.

لربّما كان ثمة خطأ في حروف الكتابة
أو في تلفّظ الاسم المقدّس
ورغم قيمة السحر الرفيعة جدًّا
لم يتعلّم التلميذ المتدرّب أن يتحدّث مثل إنسان،

عيناه أقربُ إلى عينيّ كلبٍ منهُما إلى عينيّ إنسانٍ
وكان أقلّ ضجرًا من الكلب منه إلى شيءٍ آخر،
كانت عيناه تتابعان الحبر عبر الظليل
الملتبس لقطعات الأقفال.

حدث شيءٌ غريبٌ وفظّ للغوليم
إذ كان قط الحبر يتخفّى عند مروره.
(ذلك القط لا وجود له في كتاب شوليم
لكنّه أثناء تعاقب الزمن، سيتكهّن به.)

ورافعاً نحو ربّه يدَي البنوة
كان ينقل إلى الإله معاني الورع والتقوى
أو كان يتقعرُّ أبله وباسمًا
في مجاملاتٍ شرقية جوفاء.

وكان الحبر ينظر إليه بحنوٍ وبشيء
من الفظاعة (وقال لنفسه) كيف أمكنتني
أن أخلق هذا الابن المُحزن
وتركت اللاحركة التي هي الحكمة؟

لماذا منحت زيادة رمز أكثر إلى السلسلة
اللانهاية؟ لماذا منحت قضية أخرى
أثراً آخر وهماً آخر للكبة الفانية
التي تلتفت في الأبدى؟

في ساعة الغم والضوء الشارد
في غوليمه كان يوقف حركة العينين.
من ذا الذي سيقول لنا الأشياء التي كان يحسُّها
الرَّبُّ وهو ينظرُ إلى حبره في براغ؟

التانغو

أين سيكونون؟ تسأل مرثية
أولئك الذين لم يعودوا موجودين،
كما لو كان ثمة إقليمٌ حيث يمكن للأمس
أن يكون اليوم، وما بعدُ، والذي لا يزال.

أين ستكون؟ (أكرّر) الضغينة
التي أسسها في أزقة مغبرة
من الأرض أو في قرى ضائعة
طائفة السكين والبسالة؟

أين سيكون أولئك الذين عبروا،
وتركوا للملاحم حلقة،
حكاية للزمن، ودونما أحقاد،
أو ربح أو شغفٍ حبّ تبادلوا الطعنات؟

أبحث عنهم في أسطورتها، في الجمرة
الأخيرة مثل وردة غامضة،

فهل تحتفظ بشيء من أولئك الغوغاء الشجعان
للوس كوراليس ولبالفانيرا .

أيُّ أزقة معتمة أو أيُّ قفر
من عالم آخر سوف يسكنه الظلّ
القاسي لذاك الذي كان ظلًّا معتمًا ،
مورانيا ، ذلك السكين من باليرمو؟

وذلك الإيبيرا القاتل (الذي يترحم
عليه القديسون) والذي في جسر على الطريق ،
قتل شقيقه النياطو الذي على كاهله كان يتحمل
ميتات أكثر منه ، وهكذا تساويًا في عدد الضحايا؟

ميثولوجيا الخناجر
تختفي ببُطء في النسيان .
أغنية المفاخر ضاعت
بين أخبار الشرطة القذرة .

ثمّة جمرة أخرى ، وردة متوهّجة أخرى
من الرماد تحتفظ بها مُكتملة ؛
ثمّة مستعملو السكاكين المتشامخون
ووزن الخنجر الصامت .

ورغم أنّ الخنجر مُعادٍ أو ذلك الخنجر آخر،
فالوقتُ قد أضاعوه في الوحل،
واليوم، أبعد من الزمن ومن الموت
المشؤوم، أولئك الموتى يحيون في التانغو.

هُم يوجدون في الموسيقى، وفي أوتار
القيثارة العنيدة المُتعبة،
أيُّ حكاية محبوكة في الميلونغا السعيدة
الاحتفال وبراءة البسالة.

في الفتحة تدور العجلة الصّفراء
من خيول وأسودٍ، وأنا أسمعُ صدى
ذلك التانغو لأرولاس^(١) وغريكو^(٢)
اللذين رأيتهما يرقصان على الرّصيف،

(١) إدواردو أرولاس Eduardo Arolas (بوينوس آيريس، ١٨٩٢ - باريس، ١٩٢٤)، واسمه بحسب ولادته هو لورينثو أرولا، كان عازف باندونيون وموزع وقائد أوركسترا ومؤلف موسيقي للتانغو من الأرجنتين، لقب بـ: نمر الباندونيون، بدأ في عالم الموسيقى عازفا على القيثارة، لكن خطوته نحو الباندونيون كانت أساس ولادة أسطوره في عالم التانغو. رغم موته المبكر عن عمر يناهز ٣٢ عامًا، يُعد أرولاس أحد أعظم مؤلفي التانغو، بإبداعات حدائية غير متوقعة في ذلك الزمن الذي عاشه.

(٢) فيسينتي غريكو Vicente Greco (بوينوس آيريس ١٨٨٦ - بوينوس آيريس ١٩٢٤) موسيقي تانغو برز كمؤلف وقائد أوركسترا وعازف باندونيون.

في لحظة تطفو اليوم معزولة،
بلا قبلُ أو بعدُ، ضدّ النسيان
والتي لها طعم ما ضاع،
ما ضاع وما تمّ استرداده

في الأوتار ثمة أشياء قديمة:
الفناء الآخر والعريشة المواربة.
(خلف الجدران الريبة
يحتفظ الجنوب بخنجر وقيثارة.)

تلك الزخعة، تانغو، تلك الشيطنة،
الأعوام المزدهمة بالمشاغل تتحدّى.
صنعت من غبار وزمن، يستمرّ الإنسان
أقلّ من اللحن الخفيف،

إنه الزمن فقط. صحيح أن التانغو يبتدع
إلى حدّ ما ماضيًا غائمًا وغير حقيقيّ،
الذكرى المستحيلة لأن تكون قد مُتَّ
وأنت تقاثلُ في زاوية ما من الضاحية.

الأخرُ

في الألف الأولى من الآلاف المديدة من بحوره الشعرية
السداسية المقاطع من البرونز يبتهلُ الإغريقيّ
إلى ربة الشعر العسيرة أو إلى نار خبيثة
لكي يتغنى بغضب آخيل .
كان يعرفُ أن آخر -إله ما- هو الذي يجرح
بضوء مُباغت أعمالنا المُعتمة ،
بعد قرون ستقول الكتابات المقدسة
أنّ الروح تهبُّ حيثما ترغُبُ .
يمنح الإله القاسي الذي لا يُسمّى ذاته
العدّة المكتملة لمن يصطفيه :
لميلتون جدران العتمة ،
ولسيرفانتس المنفى والنسيان .
له ما يستمرّ في الذاكرة
من الزمن الدنيويّ ولنا النفايات .

وَرْدَةٌ وَمِيلُتُونَ

مِنَ أَجْيَالِ الْوُرُودِ
التي ضَاعَتْ فِي عُمُقِ الزَّمَنِ
أَوْدٌ لَوْ تَنَجَّوْا وَرْدَةً وَاحِدَةً مِنْ سَطْوَةِ النَّسْيَانِ،
وَرْدَةٌ بِلَا أَثَرٍ أَوْ عَلَامَةٍ مِنْ بَيْنِ الْأَشْيَاءِ
التي كَانَتْ مَوْجُودَةً، لَقَدْ مَنَحْتَنِي الْأَقْدَارُ
تِلْكَ الْهَبَةَ فِي أَنْ أُسَمِّيَ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى
تِلْكَ الْوَرْدَةَ الصَّامِتَةَ، الْوَرْدَةَ الْأَخِيرَةَ
التي أَدْنَاهَا مِيلُتُونَ مِنْ وَجْهِهِ
دُونَ أَنْ يَرَاهَا، أَنْتِ أَيُّهَا الْوَرْدَةُ الشَّقْرَاءُ أَوْ الصَّفْرَاءُ
أَوْ الْبَيْضَاءُ الَّتِي مِنْ بُسْتَانِ تَلَّاشِي،
إِبْرَاجِي مَاضِيكَ السَّحِيقِ فِي سِحْرِ
وَالْتَمِيعِي فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الشُّعْرِيَّةِ
مِنْ ذَهَبٍ أَوْ مِنْ دَمٍ أَوْ عَاجٍ أَوْ مِنْ عَتَمَةٍ
مِثْلَمَا كُنْتِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرْدَةً لَا مَرْتَبَةَ.

قارئان

عن ذلك الفارس النبيل
ذي البشرة الشاحبة الجافة
والحماس البطوليّ يتمّ التخمين
أنّه عشية مغامرته الأبدية،
لم يغادر قطّ مكتبته .
التأريخ الدقيق الذي يروي
أعماله المثابرة وجسارته المُحزنة المُضحكة
قد حلمَ بها هو، وليس سيرفانتس،
وذلك ليس أكثر من تأريخ لأحلام .
كذلك هو أيضا قدرِي . أعلم أنّ ثمة شيئًا
خالدًا وجوهريًا دفتُهُ
في مكتبة الماضي تلك
التي فيها قرأتُ حكاية الفارس النبيل .
يتصفّح الطفل الأوراق البطيئة وفي صرامة
يحلم بأشياء غامضة لا يعرفها .

يوحنا، I، ١٤

تُشير الحكايات الشرقية
حكاية ملك الزمن ذاك، الذي خاضعًا
للملل والبهاء يخرج متخفيًا
ووحيدًا كي يجوب الضواحي

ويضيع بين الغوغاء
ذوي الأيدي الخشنة والأسماء الحالكة؛
اليوم مثل أمير المؤمنين ذاك،
هارون، يرغبُ الإله أن يمشي بين العباد

فيولد من أمّ مثلما تولد
السلالات التي تذوب في التراب،
ويتمّ تسليمه العالم بكامله،

هواءٌ وماءٌ وخبزٌ وصباحاتٌ وحجرٌ وزنبق،
لكن فيما بعد دمُ الاستشهاد
الهنءُ والمساميرُ وأخشابُ الصليب.

اليقظة

يلجُ الضوء وبرعونة أصدُ
من الأحلام إلى الحلم المُشترك
فتستعيد الأشياء مكانها
المناسب والمتوقَّع وفي الحاضر
يتوارد الأمس فادحًا
وشاسعًا: الهجرات المُتعاقة
للطير والبشر، جحافل الجيوش
التي دمرها الحديد، روما وقرطاج.
تعود الحكاية اليوميَّة أيضًا:
صوتي، وجهي، خوفي، حظي.
آه، لو كانت تلك الصحوة الأخرى، الموت،
ستمدني بزمن بلا ذاكرة
لاسمي ولكلّ ما كتته!
آه، أجل في ذلك الصباح سيكون النسيان!

إلى الذي لم يعد شاباً

ها يُمكنك أن ترى المشهد المأساويّ
وكلّ شيء في المكان المناسب،
السيف والرّماد لأجل ديدو^(١)
والقطعة النقدية لأجل بيليساريوس^(٢).

أما زلت تبحث عن الأشعار ذات الوزن السداسيّ
في البرونز الضبابيّ للحرب

(١) ديدو أو عليسة وتعرف أيضاً باسم أليسا أو أليسا، هي ابنة ملك صور ومؤسسة قرطاج وملكتها الأولى. اشتهرت بعد ورود ذكرها في الإنيادة التي كتبها فيرجيل. عرفت بدهائها وحسن التدبير اللذين سمحا لها بتأسيس قرطاج في شمال أفريقية وحكمها، وصارت من الحواضر المعروفة بتجاريتها الواسعة وسيطرتها على البحر المتوسط. كما أن مصاهرتها لسكان شمال أفريقية أوجد الشعب البونيقي الذي استوطن سواحل المتوسط.

(٢) فلافيوس بيليساريوس (٥٠٠ - ٥٦٥ م) كان أحد أعظم الجنرالات الرومان الشرقيين. كان مفيداً لمشروع الامبراطور جوستنيان الطموح لإعادة احتلال جزء كبير من أراضي حوض البحر الأبيض المتوسط التي ملكتها الإمبراطورية الرومانية الغربية السابقة والتي تم فقدانها فيما بعد. ولد بيليساريوس حوالي العام ٥٠٥ ميلادي في منطقة على حدود بين تراقيا ومقدونيا.

وهل توجد هنا سبعة أقدامٍ من الأرض،
الدم المُباغت والقبر المفتوح؟

هنا تتربّص المرأة التي لا يُسبر غورها
التي ستحلّم وستنسى انعكاسات
عواقبك واحتضاراتك.

ها يُحاصرك الأخير. هو البيت
الذي يتبدّد فيه مساؤك البطيء والموجز
والشارع الذي تراه كلّ يوم.

ألكسندر سيلكيرك^(١)

أحلمُ أنّ البحر، ذلك البحر، ينغلقُ عليّ
والأجراس تُنقذني من الحلم
ومن الربّ الذي تقدّسهُ الصباحات
ومن هذه الحقول الحميمة لإنجلترا.

قاسيتُ خمسة أعوام وأنا أنظرُ إلى أشياء
مُتأبّدة من العزلة ومن اللانهائيّ،
والتي هي تلك الحكاية التي صرّتُ أكرّرها
الآن مثل هاجس في الخمّارات.

أعادني الربّ إلى عالم البشر،
إلى المرايا والأبواب والأرقام والأسماء،
لم أعد الآن ذاك الشخص الذي كان ينظرُ

(١) ألكسندر سيلكيرك (١٦٧٦-١٧٢١) هو بحار اسكتلندي كانت حكاية حياته
نبع الإلهام الأول في قصة روبنسون كروزو.

إلى الأبد إلى البحر وسُهو به العميقة

فكيف سأجعل ذلك الآخر يعرف

أني هنا ناج ما بين أهلي؟

بذلك لك، سيدي، وما

رغم أننا سنسأل ريتة عنه

ولكننا سنسألها أيضاً

عنه، ونسألها عنه، لأنه

مثلنا، وما نريد أن

نرى لغيره، بل إنه لنسأل

عنه، لأنه مثلنا، بل إنه لنسأل

عنه، لأنه مثلنا، بل إنه لنسأل

عنه، لأنه مثلنا، بل إنه لنسأل

لأننا سنسأل ريتة عنه، ونسألها

عنه، ونسألها عنه، لأنه مثلنا،

لأننا سنسأل ريتة عنه، ونسألها

1- (الخطبة 11) وفيها ما يهمله ويحوي هذا الحديث إلا لو كان في الحديث (11)

2- (الخطبة 11) وفيها ما يهمله ويحوي هذا الحديث إلا لو كان في الحديث (11)

3- (الخطبة 11) وفيها ما يهمله ويحوي هذا الحديث إلا لو كان في الحديث (11)

الأوديسة، الكتاب الثالث والعشرون

ها قد حَقَّقَ السيفُ الحديديَّ
العملَ الواجب للانتقام.
وها قد بددت السهامُ الخشان
والرمحُ دمَ التائه

غضبًا عن إلهٍ وعن بحَّارته
عاد عوليسُ إلى مملكته وإلى ملكته،
غضبًا عن إلهٍ وعن رياحه
الرمادية وعن جلبة آريس^(١).

وفي خضمِّ الحبِّ على السرير المُشترك
تنام الملكة البهية اللامعة على صدرِ
مَلِكها لكن أين هو ذلك الرجلُ

(١) آريس Ares في الميثولوجيا الإغريقية ابن زيوس وهيرا، رغم الإشارة إليه باعتبارِه إلهًا أولمبيًا للحرب، فإنه على وجه التحديد إله شهوة الدم والقتل الوحشي.

الذي في أيام المنفى ولياليه
كان يتيه عبْر العالم مثل كلب
وكان يقول إنَّ اسمه لا أحد؟

في يوم من الأيام كنت في

في بيتنا القديم في كورنثوس

في بيتنا القديم في كورنثوس

في بيتنا القديم في كورنثوس

في بيتنا القديم في كورنثوس

في بيتنا القديم في كورنثوس

في بيتنا القديم في كورنثوس

في بيتنا القديم في كورنثوس

في بيتنا القديم في كورنثوس

في بيتنا القديم في كورنثوس

في بيتنا القديم في كورنثوس

في بيتنا القديم في كورنثوس

في بيتنا القديم في كورنثوس

في بيتنا القديم في كورنثوس

في بيتنا القديم في كورنثوس

هو

عينا جسدك تريان لمعان
الشمس التي لا تُطاق، يُلامس جسدك
غبارًا متناثرًا أو صخرةً مضغوطة؛
هو الضوء، الأسود والأصفر.
هو ذاك ويراهما. من عينين مُستديمتين
ينظر إليك والعينان تستقصيان
انعكاسًا وعيون المرأة،
الأفاعي الخرافية السوداء والنمور الحمراء.
لا يكفيه أن يخلق. هو كلّ
مخلوقات عالمه الغريب:
الجذور العنيدة لشجرة
الأرز العميقة وتحولات القمر.
كانوا يسمّونني قابيل. يعرف الخالد
عندي طعم نار الجحيم.

سارميينتو^(١)

لا يُزعجه الرّخام والمجد .
بلاغتنا المثابرة لا توهنُ
واقعه القاسي . التواريخ
المحتفى بها في مثنويات وأبّهات
لا تجعل هذا الرّجل منعزلاً .
أقلّ من رُجل . ليس صدى قديماً
تُضاعفه الشهرة المقعّرة
أو مثل هذا أو ذاك ، رمزاً أبيض
يمكن للديكتاتوريات أن تحرّكه .
هذا هو . هو الشاهد على الوطن .
ذاك الذي يرى عارنا ومجدنا ،
أضواء مايو ورُعب روساس
والرّعب الآخر والأيام السّريّة

(١) دومينغو فاوستينو سارميينتو Domingo Faustino Sarmiento (سان خوان ١٨١١-أسونثيون ١٨٨٨) كان ناشطاً، ومفكراً، وكاتباً، ورجل دولة أرجنتينياً، كما كان الرئيس السابع للأرجنتين.

للمستقبل الدقيق . هو شخص
ما زال يكره ويحب ويقا تل .
أعلم أن في تلك الأسحار من سبتمبر
التي لن ينساها أحد ولا يستطيع أحد
أن يعدّها ، قد شعرنا به . حبّه
العنيد يريد أن ينقذنا . ليلاً ونهاراً
يمشي بين الرجال الذين يؤدّون له
(لأنه لم يمّت) أجره اليوميّ من الشتائم
أو التبجيلات . شاردًا
في رؤيته المدينة كما لو في بلور
ساحر ينغلق في لحظة ما على الوجوه الثلاثة
للزمن الذي هو البعد والقبل والآن ،
سارمييتو الحالم ما زال يحلم بنا .

إلى شاعر صغير من ١٨٩٩

أن أترك بيتًا شعريًا للحظة الحزينة
التي تترصدنا في تخوم النهار،
أن تربط اسمك بتاريخك الأليم
من ذهب وظلّ مُلتبس . هذا ما كنت تُريده .
بأيّ شغف، مع أفول النهار،
كنت ستشتغلُ بالبيت الشعريّ الغريب
الذي إلى حدود تناثر الكون،
سيؤكّد الوقت من زرقة غريبة!
لست أدري حتى إذا ما كنت قد حققت ذلك
أيها الأخ الأكبر المُلتبس، إن كنت موجودًا،
لكنتي وحيدٌ وأرغب أن يعيد
النسيان للأيام ظلّك
الخفيف لأجل هذا التباهي المُتعب حقًا
من كلمات تحتضنُ المساء .

تكساس

هنا أيضا . هنا كما في التخوم
الأخرى للقارة الحقلُ
اللانهائيّ حيث تموت الصرخة مُعزلة .
هنا أيضًا الهنديّ وأنشودة الحبل والمهر .
هنا أيضا الطائر السريّ
الذي يُغني للمساء وذاكرته
عن ضوضاء التاريخ ،
هنا أيضًا الأبجدية الصوفيّة
للنجوم التي تُملي اليوم على قلّمي
أسماء لا تسحبها المتاهة
المُستديمة للأيام : معركة سان خاسينتو^(١)

(١) معركة سان خاسينتو Batalla de San Jacinto معركة وقعت في ٢١ أبريل ١٨٣٦ حيث تقع مقاطعة هاريس بتكساس، وكانت معركة حاسمة في ثورة تكساس .

وتانك الأخریان لترموبييل^(١)، وإيل آلامو^(٢).
وهنا أيضًا تلك المجهولة والمتلهفة
وذلك الشيء المُختزل الذي هو الحياة.

-
- (١) معركة ترموبيل أو معركة ترموبيلاي (٤٩٢ - ٤٤٩ ق.م). وقعت بين الفرس بقيادة أحشويرش الأول والإغريق بقيادة ليونيداس ملك إسبرطة في عام ٤٨٠ ق.م. وأسفرت المعركة عن هزيمة الإغريق.
- (٢) معركة آلامو Batalla de El Álamo (٢٣ فبراير - ٦ مارس ١٨٣٦)، هي أحد الأحداث المحورية خلال ثورة تكساس، فبعد حصار دام ١٣ يوما، شنت القوات المكسيكية هجوما تحت قيادة الجنرال أنطونيو لوبيث دي سانتا آنا على بعثة آلامو قرب سان أنطونيو دي بيكسار، مما أسفر عن مقتل جميع المدافعين من التكساسيين. في ٢٣ فبراير، زحف الجيش المكسيكي على سان أنطونيو دي بيكسار في حملة تستهدف استعادة تكساس. وخلال عشرة أيام التالية قامت مناوشات بين الجيشين خلفت القليل من الضحايا.

تأليف مكتوب في نسخة من «ملحمة بيوولف»^(١)

أحياناً أتساءلُ عن الأسباب
التي تدفعني لكي أدرُسَ بلا أمل
في الدقة، اللغة الخشنة،
للسكسونيين بينما ليلي يتقدمُ.
متلاشياً بسبب الأعوام تركُّ
الذاكرةُ لكلمة مكرّرة أن تسقط
عبثاً وهكذا تنسج حياتي وتفكُّ
نسيج تاريخها المُتعبِ.
سيكون (أقول لنفسي حينئذ) بطريقة
سرّية وكافية أن الروح تعرف

(١) بيوولف، بيولف أو بياوولف Beowulf هي ملحمة شعرية وطنية أنجلو-سكسونية قديمة ألفها شاعر أنجلو-سكسوني مجهول، يشير إليه الدارسون للقصيدة باسم بيوولف، كتبت القصيدة باللغة الإنجليزية القديمة وفق الوزن الجرمانى، بتوظيف أسلوب الجناس، وتتكون من ٣١٨٢ بيت شعري، وهي أحد أهم أعمال الأدب الإنجليزي القديم.

أنّه خالد وأنّ دائرته الشاسعة
والخفيضة تشملُ الكلّ وقادرةٌ على الكلّ.
وما بعد هذا الحماس وهذه الأبيات الشعرية
ينتظرني الكون غير قابل للنفاد.

هينغيست سينينغ^(١)

شاهدة قبر الملك

تحت الحجر يضطجعُ جثمان هينغيست
الذي أسس في هذه الجزر أول مملكة
من سلالة أودين
وأشبع نهم النسور.

(١) هينغيست (؟٤٨٨) Hengist أو Hengest كان محاربًا من الفيكنج من الدنمارك في عصر فينديل (القرن الخامس)، كان ملازمًا للملك الدنماركي هنايف Hnæf. وتبرز صورة شخصيته المتشابكة بصورة عصور ما قبل التاريخ في القصيدة الملحمية بيولف في مقطع فينسبيرغ. في قصيدة بيولف يتم ذكر هيلديبرغ، أخت الملك هنايف وزوجة فين من فريسيا. لقد سقط كل من هنايف وابن هيلديبرغ وفيين في ساحة المعركة، جنبًا إلى جنب مع العديد من المحاربين من فريسيا... ليس واضحًا دور فين في الشجار الذي يقوده إلى عرض اتفاقية مضرّة وغير موثوقة، لكن هينغيست سيتنصل من الاتفاقية وسيقتل فين وسيأخذ هيلديبرغ وسيعيدها إلى الدنمارك.

الملك يتحدث

لست أدري ما الرونية التي رسمها الحديد على الحجر
لكن هذه كلماتي:

تحت السماوات كنتُ أنا هينغيست المرتزق.

بعت قوتي وشجاعتي لملوك

أقاليم الغسق التي تُحدُّ

بالبحر الذي يسمّى

المحارب المسلّح بالرمح،

لكن القوّة والشجاعة لا تكابد

أن يبيعها الرجال

هكذا، وبعد أن قاتلتُ في الشمال

أعداء الملك البروتاني،

أزحت عنه الضوء والحياة.

تعجّبني المملكة التي فُزت بها بالسيف،

ثمّة أنهارٌ للتجديف ولأجل الشباك

وأصياف طويلة

وأرض للمحراث وأرض للزراعة

وبروتانيون لخدمتها

ومُدُن من حجر نُسلمها

للخراب،

لأنّ الموتى يسكنونها .
أعرفُ أنّ من وراء ظهري
ثمّة بروتانيون ينعنونني بالخائن ،
لكنّي كنتُ وفياً لبساتي
ولم أعهد بمصيري للآخرين
ولم يجرؤ رجلٌ على خيانتني .

شذرة

سَيْفٌ،

سَيْفٌ مِنْ حَدِيدٍ تَمَّ صَوْغُهُ فِي بَرْدِ الْفَجْرِ،

سَيْفٌ نُقِشَ بِحُرُوفِ رُونِيَّةٍ

لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَصُمَّ الْأَسْمَاعَ عَنْهَا وَلَا أَنْ يَفُكَّ لُغْزَهَا

سَيْفٌ مِنَ الْبَلْطِيقِ سَوْفَ يُمْتَدِّحُ فِي نُورِ تُوْمَبْرِيَا

سَيْفٌ سَيِّمَاتِلُهُ الشُّعْرَاءُ

بِالْتَّلَجِ وَالنَّارِ

سَيْفٌ سَيُسَلِّمُهُ مَلِكٌ إِلَى مَلِكٍ آخَرَ

وَهَذَا الْمَلِكُ إِلَى حُلْمٍ مَا،

سَيْفٌ سَيَكُونُ وَفِيًّا

حَتَّى السَّاعَةِ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْقَدَرُ،

سَيْفٌ سَوْفَ يُضِيءُ الْمَعْرَكَةَ.

سَيْفٌ جَدِيرٌ بِكَفِّ

سُتْدِيرُ الْمَعْرَكَةِ الْجَمِيلَةَ وَجُمُوعَ الْبَشْرِ،

سَيْفٌ جَدِيرٌ بِكَفِّ

سوف تتضرَّجُ لها بالأحمرِ أنيابُ الذئبِ
والمُنقارُ القاسي للغرابِ،
سيفٌ جديرٌ بكفِّ
سوف تُغدِقُ الذهبَ الأحمرَ بلا حسابِ،
سيفٌ جديرٌ بكفِّ
ستهبُ الموتَ للأفعى في فراشها الذهبيِّ،
سيفٌ جديرٌ بكفِّ
ستفوزُ بمملكةٍ وستُخسرُ مملكةً،
سيفٌ جديرٌ بكفِّ
ستهدُّ غابةَ الرِّماحِ.
سيفٌ جديرٌ بكفِّ يُوولِّفُ.

إلى سيف في كاتدرائية يورك^(١)

في حديده يستمرُّ الرجل القويّ،
غبار الكوكب اليوم، ذاك الذي في حروبِ
بحار عنيفة وأراضٍ مدمّرة
قد أشهره، في النهاية، ضدّ الموت.

عبثٌ أيضًا هو الموت. هنا يوجد الرجلُ
الأبيض الوحشيّ الذي أتى من النرويج،
مُستعجلاً من قبل المصيرِ الملحميّ.
سيفه اليوم رمزه واسمه.

رغم موته الممتدّ ورغم منفاه،
تستمرُّ اليدُ القاسية وهي تضغطُ الحديد
وأنا ظلّ في الظلّ أمام المُحارب

(١) كاتدرائية يورك كاتدرائية قوطية توجد بمدينة يورك في شمال إنجلترا، وهي من أضخم الكاتدرائيات وأقدمها في شمال أوروبا.

الذي يوجد ظلّه هنا . أنا لحظة
واللحظة رمادٌ، وليست من ألماس،
ووحده ما هو في عداد الماضي هو الحقيقيّ .

إلى شاعر سكسوني^(١)

أنت الذي جسدك اليوم نُثارٌ وتراب،
يزنُ مثل وزننا على الأرض،
أنت الذي رأَت عيناك الشمسَ، ذلك النجمَ الشهير،
أنت الذي عشتَ في الأمس القاسي
بل في الحاضر المُستديم،
في النقطة الأخيرة للزمن وذروته الدوّارة،
أنت الذي في ديرك دُعيت
من قِبَل الصّوت القديم للملحمة،
أنت الذي نسجتَ الكلمات
أنت الذي تغنّيت بانتصار برونانبوره
ولم تنسبه إلى الربِّ
ولكن إلى سَيْف مَلِكِك .
أنت الذي تغنّيت ببهجة شرسة

(١) يوجه بورخيس قصيدته محتفياً بالشاعر السكسوني الذي تغنى بانتصار الإنجليز وملكهم أثيليسثان وشقيقه إدموند على الإسكوتلنديين والبحارة الإسكندينافيين للشمال والفايكنغ في معركة برونانبوره، وتوجد القصيدة في السجلات الشعرية الأنجلو سكسونية.

إذلالَ الفاكينغ،
وليمة الغراب والنسر
أنت الذي في الأغنية العسكرية جمعت
الاستعارات الطقوسية للسلالة،
أنت الذي في زمن بلا حكاية
رأيتَ الأمس في الحاضر
وفي عرقٍ ودمِ برونانوره
بلورَ أسحار قديمة،
أنت الذي كم كنتَ تحبُّ إنجلترا
ولم تُسمِّها،
لست اليوم سوى بضع كلمات
يكتبها الجرمانيون.
لستَ اليوم سوى صوتي
لما يستعيدُ كلماتك الحديدية.

أسأل آلهتي أو جماع الوقت
أن تستحقَّ أيامي النسيان،
أن يكون اسمي لا أحد مثل عوليس،
لكن أن يستديم بيت شعريّ ما
في الليلة السانحة للذاكرة
أو في صباحات البشر.

سنوري سترلسون (١١٧٩-١٢٤١)^(١)

أنت الذي أورثت أسطورةً
من جليد ونار لذاكرة البنوة،
أنت الذي ثبتت المجد العنيف
لسلالتك من فولاذ وجسارة،

شعرت بدهشة في مساءٍ
من سيوفٍ وأنّ جسدك جسد إنسانٍ
حزينٍ كان يرتعشُ. في ذلك المساءِ بلا غَدٍ
منحتُ إمكان أن تعرف أنّك جبانٌ.

في ليل إيسلندا، كانت العاصفة
الأجاجُ تحركُ البحرَ. بيتكُ
مُحاصرٌ. قد شربت حتى الثمالة

(١) سنوري سترلسون Snorri Sturluson (١١٧٩-١٢٤١) قائد سياسي، ومؤرخ، وشاعر، وناقد، وراوي قصص أيسلندي، يعد رمزاً في الأدب النوردي في القرون الوسطى.

العَارَ اللّٰهُ يُنْسِي . عَلَى رَأْسِكَ
الشَّاحِبَ يَهْوِي السَّيْفُ
كَمَا هَوَى فِي كِتَابِكَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً .

إلى كارل الثاني عشر^(١)

فايكنغ الشُّهوب، كارلوس الثاني عشر
للسويد، الذي قطعت ذلك الطريق
من الشمال إلى الجنوب لسلفك
الإلهي أودين، كانت مُتعتك
الأعمال التي تُحرِّك ذاكرة
الرّجال نحو الغناء، المعركة
القاتلة، الرّهبة القاسية للشظايا،
السيف القاطع والمجد الدامي.

(١) كارل الثاني عشر Karl XII أو تشارلز الثاني عشر (١٦٨٢ - ١٧١٨)، ملك السويد في الفترة الممتدة من ١٦٩٧ و١٧١٨. كان عبقرية عسكرية، لكنه كان أيضاً ذا طموحات متهورة جعلته كثير الحملات، فقد كرس شبابه للبطولات الحربية، ففي عام ١٧٠٠ هزم الجيش الروسي وكان قوامه ٥٠ ألف جندي، في نارفا، ثم بعد ذلك في غرودنو. وفي سنة ١٧٠٩ حاصر بولتوفا في أوكرانيا، ولكنه انهزم هزيمة منكرة على يد القيصر بطرس الأكبر، فلجأ إلى الدولة العثمانية، وهي عدوة تقليدية لروسيا، وبعد إقامته فيها فترة من الزمن، عاد إلى إسكندنافيا حيث جهّز نفسه عام ١٧١٦ م لغزو النرويج. وفي حصار هالدين صرعه رصاصة أحد جنود المشاة المسلحين بالبنادق القديمة الطراز المعروفة بالمسكيت. كلفت حملاته العسكرية ثروات طائلة للسويد التي لم تعد بعد وفاته معترفاً بها كدولة أوروبية كبرى.

كنت تعرف أنّ النصر أو الهزيمة
وجهان لحظّ واحد لا مُبالٍ،
إذ ليس ثمة فضيلةٌ سوى أن تكون شجاعاً
وأنّ هذا المرمر، في نهاية المطاف، سيكونُ النسيان.
أنت تحترق أيّها الجليديّ، أكثر عُزلة من الصحراء؛
لا أحد قد بلغ إلى رُوحك وها أنت الآن ميتٌ.

إمانويل سفيدنبوري^(١)

كان يمشي أكثر شموخًا من الآخرين
ذلك الإنسان البعيد بين البشر
بالكاد كان يُنادي الملائكة
بأسمائهم السريّة. كان يرى
ما لا تراه العيون الفانية:
الهندسة المُشتملة، بناء الربّ
البلوريّة والدوامة القدرة
لملذّات الجحيم.
كان يعرف أنّ الجنّة والجحيم
يوجدان في روحك مع أساطيرهما؛
كان يعرف، مثل الإغريقي، أنّ أيام
الزّمن مرايا للأبدية.
كان يُسجّل في اللغة اللاتينية المُجدبة
أشياء أخيرةً دون لماذا أو متى.

(١) إمانويل سفيدنبوري Emanuel Swedenborg (استكهولم ١٦٨٨ - لندن ١٧٧٢) عالم وفيلسوف سويدي، كان صوفيا وثنولوجيا مسيحيًا، كما عرف كعالم ومخترع.

جوناثان إدواردز^(١) (١٧٠٣-١٧٨٥)

بعيدًا عن المدينة، بعيدًا عن المُتدى
الصاحب والزمن الذي هو ارتحالٌ،
إدواردز، أبديّ الآن، يحلمُ ويتقدّم
في ظلال الأشجار الذهبية.
اليوم هو غدًا وأمس. ليس ثمّة شيءٍ
من الربِّ في المجال الهادئ
لا يُمجده بشكلٍ غامضٍ،
ذهبُ المساءِ أو القمرِ.
يفكّر سعيدًا أنّ العالم أداة
أبدية للغضبِ وأنّ الجنة
التي يُحنُّ إليها قد تمّ خلقها للقليلين

(١) جوناثان إدواردز (إيست ويندسور ١٧٠٣ - برينستون ١٧٥٨) مُبشر أمريكي وفيلسوف وثنولوجي بروتستانتي أبرشي. يُعتبر أحد أهم الثيولوجيين الفلاسفة في أمريكا، أعماله الثيولوجية لها أهميتها ومتأصلة في اللاهوت الإصلاحية، وفي ميتافيزيقا الحتمية اللاهوتية، والتراث البوريتاني التطهري.

والجحيم سيكون مآلاً للجميع تقريباً .
في المركز الدقيق للتشابك
ثمة سجين آخر، يا إلهي، العنكبوت .

ذلكما رأيتك تهتمون كما لو كنتم
وأنتم رهناء في سجن
لأننا نسبنا رزقنا أجمعنا
رأيتنا تلكم في بيتنا المسكين
والذي انقلبنا فيه قلوبنا
والمسكين في تلك بيتنا
والذي انقلبنا فيه قلوبنا
والذي انقلبنا فيه قلوبنا
والذي انقلبنا فيه قلوبنا
والذي انقلبنا فيه قلوبنا
والذي انقلبنا فيه قلوبنا
والذي انقلبنا فيه قلوبنا
والذي انقلبنا فيه قلوبنا

أنا في السجن
أنا في السجن
أنا في السجن
أنا في السجن
أنا في السجن
أنا في السجن
أنا في السجن
أنا في السجن
أنا في السجن
أنا في السجن

إيمرسون^(١)

ذلك السيّد الأمريكيّ طويل القامة
يغلق مجلّد مونتيني ويخرج
بحثاً عن مُتعة أخرى ليست أقلّ
قيمة، المساء الذي قد صَقَلَهُ السهل .
نحو رياح الغرب العميقة وانحدارها،
نحو التخوم التي تكسوها رياحُ الغرب تلك بلون الذهب،
يَمشي عبْر الحقول مثلما الآن
عبر ذاكرة من يكتُب هذه السطور .
كان يفكّر: قد قرأتُ الكُتب الأساسية
واللُفتُ أخرى لا يجبُ أن يمحوها
النسيانُ المُعتم . قد وهبني إلهٌ

(١) رالف والدو إيمرسون Ralph Waldo Emerson (بوسطن، ١٨٠٣ -
كونكورد، ١٨٨٢) كاتب مقالات ومحاضر وفيلسوف وشاعر أمريكي، قاد
الحركة المتعالية خلال القرن التاسع عشر، كان يُنظر إليه باعتباره بطل
الفردانية، نشر أفكاره في العديد من المقالات والمحاضرات في الولايات
المتحدة.

ما يجب أن تعرفه الكائنات الفانية .
يمضي اسمي عبر كل أرجاء القارة .
أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

أنا لم أعش . كنت أود أن أكون رجلاً آخر .

إدغار آلان بو^(١)

أبّهة المرمر، تشريحٌ أسودٌ
تحتقره ديدانُ القبور،
من انتصار الموتِ حشدَ
الرموزَ الجليديّة. لم يكن يتهيّبها.
كان يتهيّب العتمة الأخرى العاشقة،
الحظوظ المُشتركة للناس،
لم يبهزُ بصره المعدنُ الملمعُ
ولا مرمرُ القبرِ بل الوردةُ
مثلما في الجهة الأخرى للمرأة
استسلمَ مُنفرداً لقدره
المُعقّد، قدرِ مُبدعِ الكوابيسِ.

(١) إدغار آلان بو Edgar Allan Poe (بوسطن ١٨٠٩ - بالتيمور ١٨٤٩) كاتب وقاص وناقد أدبي، وشاعر أمريكي، يعتبر جزءاً من الحركة الرومانسية الأمريكية. اشتهرت حكاياته بأسلوبها المميز في البناء ويكونها مروعة، كان بو واحداً من أهم الممارسين الأمريكيين للقصة القصيرة، ويعتبر مبدعاً لشكل من الخيال الذي يعتمد التحريّ.

لرُبّما في الجهة الأخرى للموتِ

يستمرُّ، منفردًا وقويًا، في ابتداء

عجائب رائعة وفضيعة.

بعض النسخة

سكنتما اية يوكا ليمان

والسما شويشوا لينا كالا

مينا مثلك لينا ليمان ليمان ليمان

مونا ليمان ليمان ليمان ليمان ليمان

لومان ليمان ليمان ليمان ليمان

لومان ليمان ليمان ليمان ليمان

لومان ليمان ليمان ليمان ليمان

لومان ليمان ليمان ليمان ليمان

لومان ليمان ليمان ليمان ليمان

لومان ليمان ليمان ليمان ليمان

لومان ليمان ليمان ليمان ليمان

لومان ليمان ليمان ليمان ليمان

لومان ليمان ليمان ليمان ليمان

لومان ليمان ليمان ليمان ليمان

لومان ليمان ليمان ليمان ليمان

لومان ليمان ليمان

كامدن، ١٨٩٢^(١)

رائحة القهوة والصّحف .
الأحد وضجره . الصباح
وفي الصفحة الملمح إليها ذلك النشر
اللامجدي للأبيات الشعرية المجازية
لزميل مُبتهج . الرجل العجوز
جاثٍ وأبيض البشرة في بيته
المُرتبٍ بشكلٍ لائقٍ، بيتٍ الفقير . في خمول
ينظرُ إلى وجهه في المرأة المُتعبة .
يفكرُ، بلا دهشة الآن، هذا الوجه
إنه هو . تلمسُ اليدُ الشاردةُ
اللحية المضطربة والفم المنهوب .

(١) سنة ومكان وفاة الشاعر الأمريكي والت ويتمان .
والت ويتمان Walt Whitman (ويست هيلز ١٨١٩ - كامدن ١٨٩٢)، أحد
أهم شعراء أمريكا في كل العصور وأكثرهم تأثيراً، وهو صاحب المجموعة
الشعرية الشهيرة «أوراق العشب»، التي شكلت إحدى العلامات الفارقة في
الأدب الأمريكي .

باريس، ١٨٥٦^(١)

قد عودَه السجودُ الطويل
أن يستبقَ الموت. كان سيُحسُّ
بالرَّهبة لَمَّا يخرج إلى النهار الصاحب
ويَمْشي بين الناس. مُتهالِكًا،
يُفكِّر هاينرش هاينه في ذلك النهر،
الزَّمن، الذي يُبعده بمهلٍ
عن ذلك الظليل المُمتدِّ وعن المصير
المُوجع لأن تكون إنسانًا ولأن تكون يهوديًا.

(١) سنة ومكان وفاة الشاعر الألماني هاينرش هاينه.

هاينرش هاينه Heinrich Heine (دوسلدورف ١٨٥٦ - باريس ١٧٩٧)،
شاعر وناقد ألماني يعد من أهم الشعراء الألمان الرومانسيين. ألف العديد
من القصائد في شكل أغان، وظفها لاحقًا مؤلفون موسيقيون كبار في
أعمالهم مثل فرانز شوبرت ويوهانس برامس وروبرت شومان. ألف كلمات
النشيد الوطني الألماني الذي استعمله أيضا النازيون في عهد هتلر، وقد تم
إسقاط إحدى فقراته بعد الحرب العالمية الثانية لكي يتم تجنب ما يوحي
بالتفوق العرقي الألماني. غادر الشاعر هاينه ألمانيا بسبب الأوضاع السياسية
واستقر في باريس واشتغل مراسلا صحفيا. خالط هاينه فكتور هوغو وبلزاك
وصادق كارل ماركس. ومنذ سنة ١٨٣٥ مُنِع تداول كتاباته في ألمانيا. توفي
هاينه سنة ١٨٥٦ بباريس.

يفكر في الألحان الدقيقة
التي كان آلتها الموسيقية، لكنه يعلم جيدًا
أنّ التغريد ليس للشجرة ولا للطائر
بل تغريد الزمن وأيامه الملتبسة.
لن تخلصك، كلاً، لن تخلصك عنادك،
ولا لياليك الذهبية وأزهارك المغناة.

رافائيل كانسينوس آسيس^(١)

صورة تلك القرية التي رُجِمَت بالحجارة
وَدُنُسَتْ، خالدةٌ في احتضارها،
كانت تجذبُهُ في سَهَرها الأسود
بنوع من الرَّعب المقدّس.
شرب المزاميرَ ونشيدَ الكتاب المقدّس
مثل من يشرب نبيذًا عميقًا
وأحسَّ أن تلك العذوبة كانت ملكًا له
وشعر أنّ ذلك المصيرَ مصيرُهُ.
كان يُسمّيه إسرائيل . بشكل حميم

(١) رافائيل كانسينوس آسينس Rafael Cansinos Assens (إشبيلية، ١٨٨٢. مدريد، ١٩٦٤) شاعر وكاتب مقالات وناقد أدبي ومترجم إسباني كان ينتمي إلى حركة الماورائية أو الأولترايسمو التي كان يتزعمها، وقد تأثر به بورخيس في إحدى مراحل حياته الأدبية، بل عدّه في محاضرة ألقاها بجامعة هارفارد سنة ١٩٦٧ واحدًا من أساتذته، مبدئيًا دهشته من مصيره الذي آل إلى النسيان. كان كانسينوس يجيد العديد من اللغات، وقد ترجم إلى الإسبانية ألف ليلة وليلة، وأجزاء من القرآن ومن التلمود وأعمالا لديستوفسكي وغوته وشكسبير وأنطولوجيا للشعر الفارسي. ترك العديد من الدراسات والترجمات والأعمال الإبداعية شعرا وسردا.

استمعَ إليه كانسينوس مثلما سمعَ النبيَّ
في القمّة السريّة والصوتَ
السريّ للربّ من العوسجة المُشتعلة .
فلتُصاحبني دائماً ذاكرتك ؛
والأشياء الأخرى سوف يقولها المجد .

الألغاز

أنا الذي يُغني الآن
سوف أصيرُ غداً المُلغزَ والميتَ
والساكنَ لعالمِ سحريٍّ ومُففرٍ
بلا قَبْلُ ولا بَعْدُ ولا مَتَى .
هذا ما يُؤكِّدُهُ التَّصَوُّفُ، وأظنُّ
أني غيرُ جديرٍ لا بالجحيمِ ولا بالنَّعيمِ
لكنني لستُ أتكهنُ بشيءٍ، حكايتنا
تتغيرُ مثلَ أشكالِ بروتينوس .
أيُّ متاهةٍ شاردةٍ، وأيُّ بياضٍ
أعمى لِلَمَعَانِ الذي سيكونُ قَدْرِي،
حينما سيُسَلِّمُنِي آخِرُ هذه المُغامرةِ
التَّجربةَ الغريبةَ لِلَمَوْتِ؟
أودُّ أن أشربَ مِن نِسْيَانِهِ البَلُّورِيِّ،
أن أكونَ إلى الأبدِ، لكنْ أَلَا أكونَ قد وُجِدْتُ مِن قَبْلُ .

اللحظة

أين ستكون القرون؟ أين حُلْم سيوف
كان قد رآها التتر في المنام؟
وأين الأسوار المحصنة التي أخضعوها؟
وأين شجرة آدم والحطب الآخر؟
الحاضرُ وَحيدٌ. والذاكرة
تُشيّدُ الزمن. رتابة الساعة
تعاقبُ وخداعٌ. والسنةُ
ليست أقلّ بطلانا من التاريخ الباطل.
بين الفجر والليل ثمة وهدية
من الاحتضاراتِ والأضواء والمدن،
الوجه الذي ينظر إلى ذاته في المرايا
المُتهالكة لليل ليس هو ذاته.
اليوم الراهن الفاني تافهٌ ومتأبّدٌ،
لا تنتظرُ سماءَ جنةٍ أخرى ولا جحيماً آخر.

إلى النبيذ

يلتمعُ اسمُك في برونز هوميروس،
أيها النبيذ الأسود الذي تُفرحُ قلبَ الإنسان.

منذ قُرُونِ القرونِ تمضي مُتَقَلِّلاً من يدٍ إلى يدٍ
منذ قرنِ الشرابِ لليوناني إلى قرنِ الجرمانيّ.

في الفجرِ قد كنتِ. وللأجيالِ
وهبتهم في الطريقِ ناركِ وأسودك.

جنب ذلكِ النهرِ الآخرِ من ليالٍ وأيامٍ
يَجري نهرُك الذي يهتفُ باسمه أصدقاءً وأفراحُ،

أيها النبيذ الذي مثل قُرَاتِ بطيركيٍّ وعميقِ
تمضي منسكبًا على امتدادِ تاريخِ العالمِ.

في بلورك الذي يحيا قد رأته عيوننا
استعارة حمراء لدم المسيح.

في المقاطع الشعرية المفتونة للصوفي
أنت السيف المحدب والوردة والياقوت الأحمر.

فليشرب الآخرون في نهرك الليثي نسياناً حزيناً،
أنا أبحثُ فيك عن أعياد الحماس المشترك.

يا سمس الذي عبّره أفتح الليالي القديمة
وفي الظلمات القاسية هبة وشمعدان.

نيذ الحبّ المتبادل أو العراك الأحمر،
سأناديك مرة. وليكن الأمر كذلك.

سوناة النبذ

في أي مملكة؟ أي قرن؟ وتحت أي اقترانٍ
صامتٍ للنجوم؟ في أي يومٍ سريٍّ
لم يُنقذه الرخامُ انبثقتِ الفكرةُ
الباسلة المُتفرّدةُ لابتداعِ الفرح؟

بُفصولٍ خريفٍ من ذهبٍ ابتدَعوه، ينسكبُ
النبذُ أحمرَ على امتدادِ الأجيالِ
مثل نهر الزّمنِ وفي الطريقِ الشاقِّ
يُفيضُ علينا موسيقاه، نارهُ وأُسودُهُ.

في ليلة الابتهاجِ أو في اليومِ المُعاكسِ
يُمجّدُ الفرحَ أو يخفّفُ الرّهبةَ
والنشيدَ الباخوسيّ الجديد الذي أغنّيه لك اليوم.

في الزمنِ القديمِ تغنّى به العربُ والفرسُ.
أيها النبذُ، علّمني فنّ رؤية حكايتي الخاصّةِ
كما لو كانت قد صارتُ رمادًا في الذاكرة.

I

لم يعد العالم ساحراً، لقد تخلّوا عنك .
 لن تقاسم القمرَ المضيء
 ولا الحدائق المتمهّلة، ليس ثمة الآن قمرٌ
 لن يكونَ مرآةً للماضي،
 بلوراً للعزلة، شمساً للاحتضار .
 وداعاً أيّتها الأيدي المتبادلةُ والأصداعُ
 التي يُذنيها الحبُّ، أنت الآن تملكُ فقط
 الذّاكرةَ الوفيّةَ والأيّامَ المُقْفِرةَ .
 لا أحدَ يخسرُ (تُرَدُّدُ عبثاً)
 إلا ما لا يملكُهُ وما لم يملكهُ قطُّ،
 لكن لا يكفي فقط أن تكونَ سُجَاعًا
 لكي تتعلّمَ فنَّ النسيانِ .
 رمزٌ ما أو وردةٌ تُمزّقُك
 ويُمكنُ لقيثارةٍ ما أن تُقتلَكَ .

II

لن أكون بعد الآن سعيدًا. لربّما الأمر لا يهمّ.
ثمّة في العالم أشياء أخرى كثيرة،
هنيهة ما قد تكون أكثر عمقًا
وتنوّعًا من البحر. الحياة قصيرة
وإن كانت الساعات جدّ مديدة،
ثمّة أشياء رائعة تترصّدنا،
الموت ذلك البحر الآخر، ذلك السهم الآخر
الذي يُحرّرننا من الشمس ومن القمر
ومن الحبّ. السعادة التي منحّتي
وسلبّتي يجب أن تمّحي،
ما كان يجب لكلّ شيء أن يصير لا شيئًا.
تبقى لي فقط لذة أن أكون حزينًا،
هذه العادة العابثة التي جعلّثني أميل
إلى الجنوب، إلى باب ما، وإلى زاوية ما.

الجوع

أيتها الأم القديمة والقاسية لحرب غشيان المحارم،
ليكن اسمك ممحواً من على وجه الأرض.

أنت الذي ألقيت في دائرة الأفق المفتوح
المقدم العالي لسفينة الفاكينغ، رماح الصحراء.

في بُرج الجوع لأغولينو في بيزا^(١)
لديك نصب تذكاري وفي المقطع المُختصر

يُتيح لنا إلقاء نظرة خاطفة (لمحة فقط) على الأيام
الأخيرة والظلمة التي تهوي فيها الاحتضارات.

(١) تحليل القصيدة على النشيد الثالث والثلاثين من الكوميديا الإلهية لدانتي،
الذي يحكي فيه عن التعذيب الذي تعرّض له الكونت أوغولينو، الذي
سيرى ولديه وحفيديه يموتون في البرج الذي يسميه الراوي «برج الجوع».
أوغولينو هو ضحية قسوة رئيس الأساقفة روجييري الذي يحبسهم في ذلك
السجن المرتجل ويتخلى عنهم هناك ليلقوا حتفهم.

أنت الذي تجعل الذئب ينبثق من غابات الصنوبر
وقدّت يدَ جان فالجان^(١) إلى اقترافِ السرقة.

إحدى صُورِكَ تلك الصورة للرّب الصامت
يلتهمُ الكون دونما غضبٍ ودونما استراحة،

الزمن. ثمّة إلهة أخرى من ظلام وعظام.
سريُّها اليقظة وخُبزها الجوع.

أنت الذي منحت شاتيرتون^(٢) الموتَ في العلية
ما بين المخطوطات الزائفة والقمر الأصفر.

أنت الذي بين ولادة الإنسان واحتضاره
تستجدي في الصلاة خُبزَكَ اليوميّ.
أنت الذي يقضمُ سيفك المتمهلاً أجيالاً
وتُلقي الأسودَ على الجبهات.

(١) جان فالجان أحد أبطال رواية البؤساء لفكتور هوغو.

(٢) توماس شاتيرتون Thomas Chatterton (بريستول، ١٧٥٢-هولبورن، ١٧٧٠) شاعر إنجليزي موهوب، رغم أنه مات منتحراً عن عمر يناهز ١٧ عاماً، مفضلاً الانتحار بالزرنيخ بدل الموت جوعاً، وبذلك أصبح بالنسبة للرومانسيين رمزاً للرجل العبقرى.

أيتها الأمّ القديمة والقاسية لكلبة غشيان المحارم،
ليكن اسمك ممحواً من على وجه الأرض.

الغريب

قد بُعثتِ الرسائل والبرقية
ها يمشي في الشوارع اللا محددة
وينتبه إلى اختلافات طفيفة لا تهمة
ويفكر في أبردين أو في ليدن
اللذين عاشهما أكثر من هذه المتاهة
بخطوطها المُستقيمة، ليس من التعقيد،
حيث يأخذه زمن رجل
حياته الحقّة توجدُ بعيدة.
في غرفة مرقّمة
سوف يحلّق وجهه فيما بعد أمام مرآة
لن تعود إلى عكس صورته
وسوف يبدو له أنّ هذا الوجه
أشدّ التباسًا وأكثر ثباتًا
من تلك الروح التي تسكنه
وأنّه على مدى الأعوام سوف تُشكّله.
سوف يُصادفك في شارع ما

فهل ستُلاحظ أنه طويلٌ ورماديٌّ
وينظر إلى الأشياء؟
امرأة غير مُبالية
سوف تقدّم له المساء وما يحدث
على الجانب الآخر من أبواب محددة. يفكر
الرجل أنه سوف ينسى وجهه وسوف يتذكّر،
سنوات بعد ذلك، قرب بحر الشمال،
شمسيّة النافذة أو المصباح.
تلك الليلة سوف تتأمّل عيناه
في مُستطيل من الأشكال التي كانت،
للفارس ولسهله الملحميّ،
لأن الغرب الأقصى الأمريكي يغطّي الكوكب
وينعكس في أحلام الرجال
الذين لم يطوّوه أبدًا.
في الظليل المتعدّد، سوف يعتقد
المجهولُ أنه في مدينته
وسوف يفاجئه أن يخرجَ إلى مدينة أخرى،
ذات لغة أخرى وذات سماء أخرى.

قبل الاحتضار

سوف نكون قد مُنحنا الجحيمَ والجنة،

هما الآن يجوبان هذه المدينة ، بوينوس آيريس ،
التي هي بالنسبة للغريب الذي في حلمي
(الغريب الذي كتته تحت نُجوم أخرى)
سلسلة صور غير مُحدّدة بدقّة
صُنعت لأجل النسيان .

إلى قارئ

أنت غير قابل للتجريح . ألم يهْبُوك
الأرقام التي تتحكّم في مصيرك ،
يقين الغبار؟ ألا يكون زمنك
اللايقبل الانعكاس زمنَ ذلك النهر
الذي في مرآته رأى هيراقليديس رمزَ
زواله؟ ينتظرك المرمر
الذي لن تقرأه . فيه تمّت كتابةُ
التاريخ والمدينة وشاهدة القبر .
أحلام الزمن أيضًا هم الآخرون ،
لا من البرونز الصّلب أو الذهب الخالص ،
الكونُ مثلك في صورة بروتيوس :
سوف تمضي كظلّ إلى الظلّ الحتميّ
الذي ينتظرك في تُخوم رحلتك ؛
فكّر بشكلٍ ما أنّك فعلاً ميتٌ .

الخيمائي

شابّ متمهّلٌ عند الفجر قد استنزفه
التأملُ الطويل ولحظاتُ السهر
الشحيحة يعتبر المجامرَ والأنايق
المسهّدة انغماسًا في الذات.

يعرف أنّ الذهب، بروتيوس ذاك، يتربّص
خلف أيّ فرصة، مثل القدر،
يعلم أنه يوجد في عُبار الطريق،
وفي القوس والذراع وفي السهام.

في رؤيته الحالكة لكائن سرّي
يتخفّى في النجمة وفي الوحل،
يخفق ذلك الحلم الآخر بأنّ كلّ شيء
مائه قد رآه طاليس الملطي.

سوف تكون ثمّة رؤيةٌ أخرى، رؤيةٌ إله
أبديةٌ وجهه كليُّ الوجود في كلّ شيء،
والذي سوف يفسّره سبينوزا الهندسيّ
في كتاب أشدّ صرامة من الجحيم . . .

في التخوم الشرقية الشاسعة
للأزرق تشحبُ الكواكب،
يفكّر الكيميائيّ في القوانين
السريّة التي توحدُ الكواكب والمعادن.

ومُتهيجًا يظنُّ أنّه يلمسُ ذلك الذهبَ
الذي سوف يقتلُ الموت.
يحوّله الرّبُّ الذي خبّر الخيمياءَ
إلى غبار، إلى لا أحد، إلى عدمٍ وإلى نسيان.

شخص ما

رَجُلٌ طَوَّعَهُ الْوَقْتُ
رَجُلٌ لَا يَنْتَظِرُ حَتَّى الْمَوْتِ
(دلائل الموت إحصاءات
وليس ثمة من لا يركض عند انبلاج الفجر
ليكون أول مخلص)،
رَجُلٌ تَعَلَّمَ أَنْ يَشْكُرَ
الصدقات المتواضعة للأيام:
الحلم والرتابة وطعم الماء،
علم اشتقاق ألفاظ ليس مُريبًا،
بيت شعر لاتينيا أو سكسونيا،
ذاكرة امرأة هجرته
مُنذ سنوات عديدة
والتي يُمكن اليوم أن يتذكَّرها بلا مرارة،
رَجُلٌ لَا يَجْهَلُ أَنَّ الْحَاضِرَ
صار الآن المُستقبل والنسيان،
رَجُلٌ كَانَ غَيْرَ وَفِيَّ

والذي معه كانوا غير أوفياء،
يمكن أن يشعرَ بغتة، عند عبوره الشارع،
بسعادة غامضة
لا تأتي من جهة الأمل
لكنها براءة قديمة،
من جذور ذاتية أو من إله مُشْتَت.

يعلم أنه لا ينبغي أن ينظر إليها عن قُرب،
لأنّ ثمة أسبابًا أكثر فظاعة من النّمر
سوف تُبرز له واجبه
في أن يكون شقيًّا،
لكنّه بتواضع يستقبل
تلك السعادة، تلك العصفة.

ربّما في الموت سوف نكونُ إلى الأبد،
لما يصيرُ الغبارُ غبارًا،
ذلك الجذر غير قابل لأن تُفكَّ شيفرته،
والتي ستكبرُ منه إلى الأبد،
مُترنة أو فظيعة،
جنتنا أو جحيمنا المتوحّد.

(١)Everness

شيءٌ واحد فقط لا يوجد. النسيان.
الإله الذي يُنقذ المعدن، يُنقذ خبث المعادن
وفي ذاكرته النبوية يضع شيفرة
الأقمار التي ستكونُ والتي كانت.

كلّ شيء موجود. آلاف الانعكاسات
التي كان وجهك يتركها في المرايا
وتلك التي بعد سيستمّر في تركها
بين شفق اليوم وغسقه.

كلّ شيء جزءٌ من البلّور
المتنوّع لتلك الذاكرة، الكون؛
الممرّات العسيرة لا مُتناهية

(١) أبدية

والأبواب تنغلقُ أمام عبورك .
فقط على الجانب الآخر للغروب
سوف ترى النماذج الأولى وتجليات البهاء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين

(١) Ewigkeit

يعود إلى لساني البيت الشعري القشتالي
ليقول ما كان يقوله دائماً
عبر لاتينية سينيكا: الرأي
الرّهب بآن كلّ شيء ملك للّديدان.

يعود للغناء الرّماد الباهت،
أبهات الموت والنصر
لتلك المَلِكَة البلاغية المُزخرفة
التي تطأ رايات الزّهو والكبرياء.

وليس الأمر كذلك. ما باركة ترابي
لن أتنگر له مثل أيّ جبان.
أعلم أنّ شيئاً واحداً لا وجود له. هو النسيان.

(١) أبدية

أعلم أنه في الأبدية يستمر ويشعل
الشيء الأنفس والأعلى الذي ضيعة:
ذلك المصهر وذلك القمر وذلك المساء.

أعلم أنه في الأبدية يستمر ويشعل
الشيء الأنفس والأعلى الذي ضيعة:
ذلك المصهر وذلك القمر وذلك المساء.

أعلم أنه في الأبدية يستمر ويشعل
الشيء الأنفس والأعلى الذي ضيعة:
ذلك المصهر وذلك القمر وذلك المساء.

أعلم أنه في الأبدية يستمر ويشعل
الشيء الأنفس والأعلى الذي ضيعة:
ذلك المصهر وذلك القمر وذلك المساء.

أعلم أنه في الأبدية يستمر ويشعل

الشيء الأنفس والأعلى الذي ضيعة:

ذلك المصهر وذلك القمر وذلك المساء.

أوديب واللغز

رباعيَّ الأرجل في الفجر، شامخًا في النهار
وبثلاثة أقدام يتسكع في فضاءاتِ
المساء العبيّية، هكذا كان يرى
أبو الهول الأبدِيّ أخاه المتغيّر،

الإنسان، ومع حلول المساء
جاء رجل ليفكّ مروعًا شيفرة
الصورة الوحشيّة في المرأة،
كانعكاس لانحداره ومصيره.

نحنُ أوديب وبشكلٍ أبدِيّ
نحن الوحش الثلاثيّ الشامخ، كلّ
ما سوف نكوّنه وكلّ ما كنّاه.

سيُفنيّا أن نرى الشكلَ
الهائل لكينونتنا . وبطريقة رحيمة
يهبُّنا الرُّبُّ تعاقبَ الخلفِ، ويهبُّنا النسيان.

سبينوزا

اليدان الشفافتان لليهودي
تلمعان الزجاج في الغسق
والمساء المحتضر خوف وبرد
(المساءات مع المساءات تماثل)

اليدان وفضاء الياقوت
الذي يشحب في تخوم الغيثو
تكاد لا توجد بالنسبة لرجل هادي
كان يحلم بمتاهة جليّة.

لا الشهرة تكدر صفوه، ذلك الانعكاس
لأحلام في حلم مرآة أخرى،
ولا حبّ الفتيات المتهيب.

متحرر من الاستعارة ومن الأسطورة
يلمع البلور العنيد: الخريطة
اللامتناهية لذاك الذي هو كلُّ نجماته.

إسبانيا

ما وراء الرّموز
ما وراء الأبهة ورّماد عيد الميلاد،
ما وراء شذوذ عالم النّحو
إذ رأى في حكاية الفارس النّيل
الذي كان يحلمُ بأن يصيرَ دون كيخوطي^(١) وفي النهاية صارَ
كذلك،

ليس صداقة وفرحًا
بل معشبة من أساليب الأقدمين وكتابًا جامعا للأمثال،
أنت، يا إسبانيا الصامته، فينا .
إسبانيا اليبسون الذي سوف يموت
بالحديد أو بنار البندقية،
في مروج الغروب، في مونتانا،
إسبانيا حيث نزل عوليس إلى بيت هاديس^(٢)،

(١) رائعة ميغيل دي سرفانتيس .

(٢) هاديس أو هيدز Hades في الميثولوجيا الإغريقية ابن كرونوس وريا، وأخ
لكبير الآلهة زيوس ولهيرا وبوسيدون أصبح ملك العالم السفلي عالم
الموتى، وسمي هاديس أي «مانح الثروة» كناية عما تحمله الأرض في
باطنها من كنوز هي جزء من مملكته .

إسبانيا الإيبيري^(١) والسلتية^(٢)
والقرطاجني^(٣) وإسبانيا روما^(٤)،
إسبانيا القوطيين الأشداء،
من السلالة الاسكندنافية،
الذين تهجّوا ونسوا كتابة أولفيلا^(٥)،
راعية الشعوب،
إسبانيا الإسلام، والقبالة
والليلة المُعتمة للروح،
إسبانيا رجال محاكم التفتيش،

-
- (١) الإيبيريون Hiberi جماعة بشرية أطلقت عليهم مصادر إغريقية ورومانية من بين مصادر أخرى، مثل هكتيوس الملطي وهيرودوت وسترابو وأفينيوس هذا الاسم في السواحل الشرقية والجنوبية لشبه الجزيرة الإيبيرية، منذ القرن VI ق م على الأقل.
- (٢) السلتيون أو الكلتيون أو القلطيون أو السلت Celtae، من اليونانية وبالإنجليزية: Celts، هم جماعة بشرية أوروبية تستخدم اللغة السلتية التي تعتبر فرعاً من اللغات الهندية-أوروبية.
- (٢) هسبانيا القرطاجية كانت تمثل فترة من التاريخ القديم لشبه الجزيرة الإيبيرية بدأت بانتقال المستعمرات الفينيقية إلى قرطاج تزامناً مع سقوط المدن الفينيقية القديمة في شرق البحر الأبيض المتوسط.
- (٤) هسبانيا الرومانية اسم أطلق على أراضي شبه الجزيرة الإيبيرية أثناء الفترة التاريخية لحكم الرومان. امتدت هذه الفترة من ٢١٨ ق. م. وهو تاريخ استقرار الرومان في أمبوراس حتى بدايات القرن الخامس، عندما دخلت قبائل القوط شبه الجزيرة الإيبيرية وسيطروا على السلطة في روما.
- (٥) أولفيلاس أو وولفيلا باللغة القوطية تعني Ulfilas أو Wulfila «الذئب الصغير» (٣١١ - ٣٨٨) كان أسقفاً قوطياً ومبشراً و مترجماً قضي وقتاً طويلاً في الإمبراطورية الرومانية عندما كانت الآريوسية هي التيار الديني السائد.

الذين كابدوا قدرَ أن يكونوا جلادين
وكان يمكن أن يكونوا شهداء،
إسبانيا المغامرة الطويلة
التي فكّت شيفرة بحار وقلّصت إمبراطوريات قاسية
والتي تستمرُّ هنا، في بوينوس أيريس،
في مساء هذا اليوم من شهر تموز ١٩٦٤،
إسبانيا القيثارة الأخرى، الممزّقة،
لا المتواضعة، التي عندنا،
إسبانيا الفناءات،
إسبانيا الحجر الرّحيم للكاتدرائيات والمعابد،
إسبانيا المروءة الطيبة والصدّاقة السخية،
إسبانيا البسالة اللامجدية،
نستطيع أن نبوح بأشكال أخرى للحبّ،
يُمكننا أن نساك
مثلما ننسى ماضينا الخاصّ،
لأنك في أعماقنا لا مُنفضلة،
في عادات الدّم الأليفة،
في آل أسيفيدو وسواريث من سلّاتي،
إسبانيا،
أمّ الأنهار والسيوف والأجيال المتعدّدة،
مُستديمة وحتمية.

مرثية

أواه يا له من قدر، قدر بورخيس،
أن يكون قد أبحر عبر بحار العالم المتعدّدة
أو عبر البحر الوحيد والمتوحد ذي الأسماء المتعدّدة،
أن يكون جزءًا من إدنبرة وزوريخ والقرطبتين،
جزءًا من كولومبيا ومن تكساس،
أن يكون قد عاد، بعد نهاية أجيال مُتغيّرة،
إلى الأراضي القديمة لأسلافه،
إلى الأندلس وإلى البرتغال وإلى تلك المُقاطعات
حيث حارب السكسوني مع الدنماركي واختلطت دماؤهما،
أن يكون قد تسكّع في متاهة لندن الحمراء الهادئة،
أن يكون قد شاخ في مَرايا عديدة،
أن يكون قد بحثَ عبثًا عن النظرة المرميّة للتماثيل،
أن يكون قد تفحص مطبوعات حجزيّة وموسوعات وأطالس،
أن يكون قد رأى الأشياء التي يراها الرجال،
الموتَ والفجرَ الأخرق والسّهل
والنجومَ الدقيقة،

وألا يكون قد رأى شيئًا أو بالكاد لا شيئًا
عدا وجه فتاة من بوينوس أيريس،
وجه لا يرغب أن أتذكره.
يا لقدّر بورخيس،
لعله ليس بأغرب من قدرك.

بوغوتا، ١٩٦٣

(١) Adam cast forth

أكانت ثمّة حديقة أم كانت الحديقة حُلماً؟
تساءلتُ مُتمهلاً في الضوء الشارد
الذي يكاد يكون عزاءً، إن كان هذا الماضي
لآدم، البائس اليوم، قد كان هو فعلاً سيِّدُهُ،

ولم يكن مجردّ خدعة سحرية
من ذلك الإله الذي حلمت به. فالجنة المُضيئة
ليست مُحدّدة بدقّة في الذاكرة،
لكني أعلمُ أنّها موجودةٌ وأنّها مُستديمة،

وإن لم تُكن كذلك لديّ. فالأرض العنيدة
هي عقابي وحربُ غِشيان المحارم
لقايل وهايبيل وسُلالتيهما.

(١) آدم مطروداً

ومع ذلك كم هو جديرٌ أن أكون قد أحببتُ،
أن أكون عرفتُ السعادة، أن أكون لمسْتُ
الحديقة الحَيَّة، ولو يوماً واحداً.

إلى قطعة نقدية

باردة وعاصفة هي الليلة التي أبحرتُ فيها من مونتيفيديو.
عند الانعطاف حول الرّبوّة،
ألقيتُ من على سطح السفينة
قطعةً نقديةً لمعت وغرقتُ في المياه الموحلة،
شيءٌ من الضوء قد اختطفهُ الزمنُ والظلام.
أحسستُ أنّي قمتُ بفعلٍ قابلٍ للتراجع عنه،
بالحاق سلسلتين متواصلتين ومتوازيتين
وربّما لا متناهيتين إلى تاريخ الكوكب:
مصيري المصنوع من إخفاقٍ ومن حُبٍّ وتقلّبات أحوال الدهر
العبيّة،

وحال ذلك القرص المعدنيّ
الذي ستمنحه المياه للهوّة اللينة
أو إلى البحار البعيدة التي بعدُ لا تزال تقضمُ
أسلاب السكسونيّ والفينيقيّ.
مع كلّ لحظة من حلمي أو يقظتي
تتوافقُ قطعة نقدية أخرى عمياء.

أحياناً كنتُ أحسُّ بتأنيبٍ
وفي أخرى بالحسدِ
نحوك أنتَ الذي توجدُ، مثلنا، في الزمن وفي متهته
وأنتَ لا تعرفُ ذلك.

قصيدة أخرى للهبات

أودُّ أن أقدمَ الشُّكْرَ للمتاهة
الإلهيةِ للأسبابِ والآثارِ المترتبةِ
على تنوعِ الكائناتِ
التي تُشكِّلُ هذا الكونَ المُتفرِّدَ،
على العَقلِ الَّذِي لِن يَكْفَى عَنِ الحُلْمِ
بِدليلِ للمتاهةِ،
على وَجهِ إيلينا ودأبِ عُوليسَ،
على الحُبِّ الَّذِي يَجْعَلُنَا نَرَى الآخِرِينَ
مِثْلَمَا يَرَاهُمُ الإلهُ.
على الألماسِ المتصَلِّبِ والماءِ المُتدفِّقِ،
على الجَبْرِ، قَصْرٍ مِنَ البَلُورِ الدَّقِيقِ،
على القِطْعِ التَّقْدِيَةِ الصُّوفِيَّةِ لِأَنجِليوسِ سِيلِيسِيُوسِ^(١)،

(١) أنجليوس سيلسيوس Angelius Silesius، واسمه الحقيقي يوهان شلايفر (بريسلاو، ١٦٢٤ - بريسلاو ١٦٧٧). شاعر وطبيب ورجل لاهوت وراهب فرانسيسكاني وصوفي ألماني، درس الطب في مدن ستراسبورغ ولايدن وبادوا.

على شوبنهاور،
الذي ربّما قد فكَّ رُموزَ الكونِ،
على لهبِ النَّارِ
الذي لا يستطيعُ أيُّ كائنٍ بشريٍّ أن يراهُ دونما دهشةٍ قديمةٍ.
على شَجَرِ المَاهُونِ والأرزِ والصَّنَدَلِ،
على الخُبْزِ والملحِ،
على لُغْزِ الوردِ
التي بدَّدتْ لونها ولا تراهُ،
على بعضِ أمسيّاتِ ونهاراتِ ١٩٥٥،
على رُعاةِ البَقَرِ الأشدّاءِ الذينَ يَسْتَحِثُّونَ
في السَّهْلِ قطعانَ الحيواناتِ والفَجَرَ،
على الصَّبَاحِ في مُونْتِفِيدِيُو،
على فنِّ الصَّدَاقَةِ،
على آخِرِ يومٍ من أيّامِ سُقْرَاطِ،
على الكلماتِ التي قيلتْ في الغَسَقِ
من أولِّها إلى آخِرِها،
على حُلْمِ الإسلامِ ذاكِ، الذي احتَضَنَ
ألفَ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ،
على ذلكِ الحُلْمِ الآخِرِ للجحيمِ،
لِبُرْجِ النَّارِ المُطَهَّرَةِ،
وللمرآبِ المُمَجَّدَةِ،

على سفيدنبوري
الذي كان يُحاوِرُ الملائكةَ في شوارعِ لُنْدُنِ،
على الأنهارِ السُّرِّيَّةِ والعَرِيقَةِ
التي تُلْتَقِي في ذاتي،
على اللُّغَةِ التي تَحَدِّثُهَا منذُ قُرُونٍ في نُورثُومْبِرِيَّا^(١)،
على السَّيْفِ وَمِعْزَفِ السَّاكْسُونِيِّينَ،
على البحرِ الذي هُوَ فَلَائَةٌ وَضَاءَةٌ
وَشَيْفَرَةٌ أَشْيَاءٌ لَا نَعْرِفُهَا،
على مُوسِيقَى الكَلِمَاتِ في إنْجِلْتْرَا،
وعلى مُوسِيقَى الكَلِمَاتِ في أَلْمَانِيَا،
على الذَّهَبِ الذي يَلْتَمِعُ في الأيَاتِ الشُّعْرِيَّةِ،
على الشُّتَاءِ المَلْحَمِيِّ،
على عُنْوَانِ كِتَابٍ لَمْ أَقْرَأْهُ:
مَأْتَرَةُ الرَّبِّ مِنْ زَاوِيَةِ نَظَرِ الفِرَنْجَةِ^(٢)

(١) نورثمبريا Northumbria مملكة إنجليزية وهي إحدى ممالك
الأنجلوساكسونية السبعة، امتدت خلال أوجها من البحر الإيرلندي إلى بحر
الشمال، ويعني اسمها (مكان) شمال نهر همبر.

(٢) مَأْتَرَةُ الرَّبِّ مِنْ زَاوِيَةِ نَظَرِ الفِرَنْجَةِ Dei gesta per Francos هي صياغة
لاتينية للمؤرخ واللاهوتي والكاتب الفرنسي في العصور الوسطى غيبيرت دو
نوجون Guibert de Nogent (كليرمون، ١٠٥٣-كوسي لوشاتو أوفريك
١١٢٥) حول الحملة الصليبية الأولى. هذه الصيغة هي أيضا عنوان لأحد
كتب التاريخ، تقدم فيه قراءة من وجهة نظر فرنسية لهذا الحدث التاريخي.

على فرلين^(١) البريء مثل العصافير،
 على مؤشور من البلور ومثقال من البرونز،
 على خطوط النمر،
 على الأبراج الشاهقة لسان فرانسيسكو وجزيرة مانهاتن،
 على الصبح في تكساس،
 على الإشيلي الذي كتب الرسائل الأخلاقية
 والذي نجهل اسمه كما رغبت هو في ذلك،
 على سينيكا ولوكانو^(٢) من قرطبة
 اللذين كتبا كل الآداب الإسبانية
 قبل حلول اللغة الإسبانية،
 على الشطرنج متناهي الهندسة وفائق الشهامة،
 على سلحفاة زينون^(٣) وخريطة رويس^(٤)،

-
- (١) بول فرلين Paul Verlaine (ميتز ١٨٤٤ - باريس ١٨٩٦) شاعر فرنسي ارتبط اسمه بالتيار الرمزي في الشعر الفرنسي.
- (١) ماركوس أنايوس لوكانوس Marcus Annaeus Lucanus شاعر روماني لاتيني (قرطبة، ٣٩-) جد والده هو الشاعر سينيكا الأكبر الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، وعمه هو الشاعر سينيكا الأصغر، مع أنه عاش حياة قصيرة إلا أنه صار واحدا من أفضل الشعراء اللاتين.
- (٣) زينون الإيلي أو زينون من إيليا (٤٩٠ ق.م - ٤٣٠ ق.م) أحد الفلاسفة اليونان ما قبل سقراط، عاش زينون في القرن V ق.م. وهو من مدينة إيليا اليونانية على ساحل إيطاليا الجنوبي.
- (٢) جوزيه رويس Josiah Royce (غراس فالي، ١٨٥٥ - هارفارد، ١٩١٦) الفيلسوف الأمريكي الأكثر تأثيرا خلال الفترة الكلاسيكية للفلسفة

على الرَّائِحَةِ الطَّبِيَّةِ لِلأوكَالِيْتُوسِ ،
على اللُّغَةِ التي تَسْتَطِيعُ أن تَتَظَاهَرَ بِالحُكْمَةِ ،
على النُّسِيَانِ الذي يُلْغِي المَاضِي أو يُعَدِّلُهُ ،
على العَادَةِ
التي تُكْرِرُنَا وَتُثَبِّتُنَا مِثْلَ مِرْآةٍ ،
على الصَّبَاحِ الذي يَمُدُّنَا بِوَهْمِ البَدَايَةِ ،
على اللَّيْلِ وَظُلُمَاتِهِ وَأَفْلَاحِهِ ،
على شَجَاعَةِ الآخَرِينَ وَسَعَادَتِهِمْ ،
على الوَطَنِ مَحْسُوسًا فِي اليَاسَمِينِ
أو فِي سَيْفِ عَتِيقٍ ،
على وَيْتِمَانِ وَفَرَانْسِيْسُكُو دِي أُسَيْسِ اللَّذِينَ كَتَبَا القَصِيدَةَ ،
على قَضِيَّةِ أَنَّ القَصِيدَةَ لَا يُسْتَنْفَدُ مَعِينُهَا
وَأَنَّهَا تَلْتَبِسُ بِمَجْمُوعِ الكَائِنَاتِ
وَلَنْ تَبْلُغَ أَبَدًا بَيْتَهَا الشُّعْرِيَّ الأَخِيرَ
وَأَنَّهَا تَخْتَلِفُ بِاِخْتِلَافِ البَشَرِ ،
على فَرَانْسِيْسِ هَاسَلَامِ^(١) التي التَّمَسَّتِ الصَّفْحَ مِن أبنَائِهَا
لأنَّهَا مَاتَتْ مَيِّتَةً جَدًّا بِطَيِّئَةٍ ،

الأمريكية ، بل يعتبر مؤسس الفلسفة المثالية القريبة من مثالية برادلي ومن
مثالية هيغيل ، سيطلق عليها هو نفسه المثالية الموضوعية .

(١) هي جدة بورخيس من جهة أبيه وهي أرجنتينية من أصول إنجليزية ، حسب
شجرة نسب بورخيس .

على الدقائق التي تسبق النوم،
على النوم والموت
ذئب الكنز الحفيين،
على الهبات الحميمة التي لم أعددها،
على الموسيقى، ذلك الشكل الغريب للزمن.

أودا كتبت عام ١٩٦٦

لا أحد هو الوطن . ولا حتى الفارس
الذي مُتصببًا في فجر ساحة مُقفرة،
يُروض حصانًا من البرونز عبر الزمن،
ولا الآخرين الذين ينظرون من فوق المرمر،
ولا أولئك الذين بددوا رمادهم الحربيّ
عبر ميادين أمريكا
أو تركوا أبياتًا شعريّة أو مآثره
أو ذاكرة حياة كاملة
في الممارسة العادلة للأيام.
لا أحد هو الوطن . ولا حتى الرموز.

لا أحد هو الوطن . ولا حتى الزمن
المحمّل بالمعارك والسيوف والهجرات
والتعمير البطيء للمناطق
التي تُتأخّم الفجر والغروب،

وبالوجوه التي تمضي نحو شيخوختها
في المرايا التي تتضّيب بالبخار
والعذاب المجهول المكابّد
الذي يستمرّ حتى الفجر
وخيوط العنكبوت من مطر
فوق حدائق سوداء.

الوطن، أيها الأصدقاء، فعلٌ مُتأبّد
مثل العالم المُستديم. (لو كان المتفرّج
الأبدّي سيتوقّف عن أن يحلمنا
للحظة واحدة، سوف يقصفنا،
برقٌ أبيضٌ وحادٌ نسيانه)
لا أحد هو الوطن ولكن علينا جميعاً
أن نكون جديرين بالقسم القديم
الذي أذاه أولئك السادة
بأن يصيروا ما كانوا يجهلونه، أرجنتينيين،
بأن يصيروا ما سيكونونه بسبب
أنهم أقسموا في ذلك البيت القديم.
نحن مُستقبل أولئك الرجال،
تبرير أولئك الميئين.

واجبنا هو الجمّلُ المعجيد
الذي أورثتُه تلك الظلال لظلالنا
والذي علينا حفظه .

لا أحد هو الوطن، لكن الوطن جميعُنا .
تشتعلُ في قلبي وفي قلوبكم، بشكل مُستديم،
تلك النارُ الغامضة والشفيفة .

الحلم

لو كان الحلم (كما يقولون)
هُدنةً، راحةً خالصةً للذهن،
فَلِمَ تشعرُ لَمَّا يوقظونك بغتة،
أنهم قد سرقوا منك ثروة؟
لِمَ مُحزنٌ جدًّا الاستيقاظ مُبكرًا؟ تسلبنا
الساعة من هبة لا تُتصوَّرُ،
هبةً جدَّ حميمةً حدَّ أنها قابلة لأن تُترجم فقط
في وَسَنٍ أن اليقظة تطلّيها بذهبِ
الأحلام التي قد تكون انعكاسات
أجزاء من كنوز العتمة،
من كوكبٍ سماويٍّ لازمني لا يُسمّى
يُشوّه النهارُ في مراياه.
من ستكون هذه الليلة في الحلم
الحالك في الجانب الآخر من جداره؟

خونين

أنا الميت، لكنني أيضًا الآخر،
آخر دمي وآخر اسمي .
أنا سيّد مُلتبسٌ وأنا الرّجل
الذي أوقف جرّاب الصحراء .
أعود إلى خونين، حيث لم أكن أبدًا،
إلى خونينك، يا جدّي بورخيس . أتسمّعني،
ظلاً أو رمادًا أخيرًا، أم تتجاهلُ
في حلمك البرونزيّ سماعَ هذا الصوت الناقص؟
هل تُراك تبحث عبر عينيّ الفارغتين
عن خونين الملحمة لجنودك؟
الشجرة التي زرعتها، والسيارات
وفي التخوم العشيرة والأسلاب
أتخيّلك صارمًا، وحزينًا قليلًا .
من سيقول لي كيف كنتَ ومن كنت .

خونين، ١٩٦٦

جندِيّ من جنود لي^(١) (١٨٦٢)

أصابته رصاصةٌ على ضفة نهرٍ
تيارُ مياهه صافٍ وهو يجهلُ
اسمه . يسقط على الفم . (الحكاية
حقيقيةّة وأكثر من رجل كان ذلك الرجل).
الهواء الذهبيّ يُحرّك الأوراق
الخاملة لغابات الصنوبر . والنملة
العليلة تتسلّق الوجه اللامبالي .

(١) روبرت إدوارد لي Robert Edward Lee (ستراتفورد هول، ١٨٠٧-
كسينغتون ١٨٧٠) قائد عسكري كبير أمريكي، قاد جيش القوات
الكونفدرالية في الحرب الأهلية الأمريكية، وهو واحد من مشاهير
العسكريين في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. عندما اندلعت الحرب
بين الولايات المتحدة والمكسيك عام ١٨٤٦ قام الجيش بإرسال لي إلى
تكساس ليساعد في الهندسة العسكرية تحت قيادة الجنرال جون إي. وول.
وعلى عكس الكثير من الجنوبيين لم يكن لي يؤمن بالاسترقاق ويعتبر أن له
تأثيراً سلبياً على السادة وعلى المستعبدين، كما لم يكن يميل إلى الأفكار
الانفصالية، خدم لي بلاده في العديد من الحروب بما فيها الحرب الأهلية
الأمريكية وكان شديد الإعجاب بجورج واشنطن، كما كان يكره رؤية وطنه
مقسماً.

تُشرق الشمس . ها قد تغيّرت أشياء كثيرةٌ
وسوف تتغيّر بشكل لا نهائيّ حتى يوم ما
محدّد من الآتي لما أغنيّ لك
أنت الذي بدون هبة البكاء ،
سقطت مثل رجل ميت .
ليس ثمّة مرمرٌ يحفظ ذاكرتك .
ست أقدام من الأرض هي مجدك المُعتم .

البحر

قبل أن ينسج الحُلم (أو الرّعب)
أساطير أو نظريّاتٍ عن نشأة الكون،
قبل أن يُسكَّ الزمنُ في أيّامٍ،
البحرُ، دائماً البحرُ، كان موجوداً وكائناً .
من يكونُ البحرُ؟ من يكونُ ذلك الكائنُ
العنيفُ والقديمُ الذي يقضمُ أعمدةَ
الأرضِ وهو بحرٌ واحدٌ وبحورٌ متعدّدةٌ
وهوّةٌ وسُطوعٌ وصدفةٌ وريحٌ؟
من ينظرُ إليه يراه لأوّلِ مرّةٍ،
دائماً . بالدهشة التي تتركها الأشياءُ
الأولى، المساءات البهيّة،
القمرُ ونارُ الحرائقِ .
مَن يكون البحرُ؟ مَن أكونُ أنا؟ سأعرفُ ذلك
في اليومِ اللاحقِ الذي يعقُبُ احتضاري .

صباح من عام ١٦٤٩^(١)

يتقدّم كارلوس بين قومه . ينظرُ
يسارًا ويمينًا . رفضَ
ذراعي الحرس المُرافق . لقد تحرّر
من الحاجة إلى الكذب ،

يعلمُ أنّه اليوم سيمضي إلى الموت ، لا إلى النسيان ،
وأنّه ملكٌ . تنفيذ الإعدام ينتظره .
الصباح فظيغٌ وحقيقيّ .
لا رهبة في جسده . لقد كان دائمًا ،

ومثل أيّ مُقامر جيّد ، لا مُباليًا .
قد استنفد حظه من الحياة حتّى الثمالة .
هو الآن وحيدٌ بين أناس مُسلّحين .

(١) حادثة إعدام ملك إنجلترا تشارلز الأول .

المشقة لا تشينُ سُمعته . والقضاة
ليسوا القاضي العادل . يُحيي بخفة
ويبتسم . قد قام بذلك مرّات عديدة .

إلى شاعر سكسوني

قد عرف ثلج نورتمبريا
ونسي آثارَ خطواتك
ومغرب الشمس التي كانت بيننا
أيها الأخ الرمادي لا تُحصى.
مُتمهلاً في الظلّ المُتمهّل كنت تصنع
استعارات من سيوف في البحار
ومن الرّعب الذي يسكنُ غابات الصنوبر
ومن العزلة التي تجلبُها الأيام.
أين أبحث عن ملامحك واسمك؟
تلك أشياء يحفظها النسيان القديم.
لن أعرف أبداً كيف آلت إليه الأمور
لما على الأرض صيرت رجلاً.
قد واصلت دروب المنفى.
واليوم أنت فقط نشيدك من حديد.

بوينوس آيريس

من قبل كنتُ أبحثُ عنك في تُخومك
التي تتجاوزُ مع المساء والسهول
وفي السياج الذي يحفظ طراوة
قديمة لأشجارِ أرز شامخة وياسمين.
في ذاكرة باليرمو كنتِ،
وفي أسطورتها، أسطورةٍ ماضي.
أوراقٍ لعبٍ وخنجر وفي البرونز
المُذهَّبِ لمقارعِ الأبوابِ اللامُجدية،
بيدها وخاتمها. كنتِ أتَحسَّسك
في فناءات الجنوبِ وفي الظلِّ
المُتنامي الذي يجعلُ خطه المُستقيم المُمتدَّ
يتلاشى حينَ يميلُ النهارُ نحو الأفول.
أنتِ الآن في. أنتِ حظِّي المُلبسُ،
تلك الأشياءُ التي يُظفئها الموتُ.

بوينوس آيريس

والمدينة الآن، مثل خارطة
لإهاناتي وإخفاقاتي،
من ذلك الباب رأيتُ مشاهدَ الغروبِ
وأمام ذلك المرمر انتظرتُ عبثًا.
هنا الأمسُ الغامضُ والحاضرُ المُختلفُ
قد أمدّاني بالحالاتِ المألوفةِ
لكلِّ مصيرِ إنسانيٍّ، هنا تحوُّكُ
خطواتي متاهتها اللا تُحدُّ.
هنا يترقُّ المساءُ الرماديُّ
الثمرة التي يدينُ بها للصباح،
هنا سيضيعُ ظلي خفيًا في الظلِّ
النهائي الذي ليس أقلَّ منه عبثيةً.
ليس الحبُّ ما يوحدنا بل الرُّعبُ،
وربَّما بسبِّ ذلك أحبُّك كثيرًا.

إلى الابن

أنا لستُ ذاك الذي يخلقك . هُم المَوتى .
هُم أبى ووالدُهُ وأسلافه الكبار .
هُم الذين رسموا متاهة طويلة
من حكايات الحُبِّ مُنذ آدم وصحارى
قبايل وهاويل في فجر
جدِّ قديم حدَّ أنه صارَ أسطورة ،
يَصِلون دَمًا ونُخاعًا إلى هذا اليوم
من الآتى ، الذي أخلَقك فيه الآن .
أحسُّ حشوده . ها نحن
وبيننا ، أنت والأبناء
الآتون الذين يجب أن تلدهم . الأخيرون
وأولئك الذين من آدم الأحمر . أنا أولئك الآخرون ،
أيضاً . الأبدية توجدُ في أشياء
الزمن التي هي أشكال مُستعجلة .

الخنجر

إلى مارغاريتا بونخي

في الدرج ثمة خنجرٌ .
تمّ صوغه في طليطلة، في نهاية القرن الماضي، أعطاه لويس
ميليان لافينور لوالدي الذي أحضره من الأوروغواي؛ وحمله
إيفاريسكو كاريغو^(١) في يده مرّةً .

(١) إيفاريسكو كاريغو Evaristo Carriego (بارانا، ١٨٨٣-بوينوس آيريس،
١٩١٢)، شاعر أرجنتيني. سليل عائلة عريقة في منطقة إنثري ريوس، أثناء
طفولته انتقل مع عائلته إلى بوينوس آيريس في حي باليرمو... عاش
كاريغو في مدينة بوينوس آيريس بثقة بالغة في كونه شاعرًا وبضرورة نيل
الاعتراف المستحق بشكل عاجل: لقد كان يفرض، أشعاره حسب خورخي
لويس بورخيس، في المقهى، كان يحول مجرى الأحاديث إلى
الموضوعات المجاورة لما يريد أن يتحدث عنه. ساهم في النقاشات التي
ميزت العقد الأول للقرن العشرين وكان يجالس الكتاب في بعض المقاهي
الشهيرة، ويظل ساهرا في اجتماعات معهم حتى الفجر، لكنه شيئا فشيئا
مضى مبتعدا كما لو كان عائدا إلى مركز اهتمام وحيد: «بدل توسيع مجال
الملاحظة أكثر كل يوم» يضيف خورخي لويس بورخيس، «يبدو أن كاريغو
يستمتع بتقليصه. قال ذات يوم في خضم جدال، يكفيني «قلب الفتاة
تعاني». هكذا تشكلت حياته وكذلك شعره، بعناصر أولية وبسيطة وكانت
حياة قصيرة: مات الشاعر، في سن ٢٩.

أولئك الذين يرونه يجب أن يلعبوا به للحظة؛ يُنبّهون إلى أنهم كانوا يبحثون عنه منذ مدة طويلة. تستعجل اليد في إمساك القبضة التي تنتظرها؛ والنصل الطيّع والصارم يلهو بدقّة في غمده. الخنجر يرغب في شيء آخر.

هو أكثر من مُجرّد هيكل صُنِعَ من معادن. فكّر فيه الرّجال وشكّلوه لغرض محدّد بدقّة؛ هو، إلى حدّ ما، خالد، الخنجر الذي قتل ليلة الأمس رجلاً في تاكواريمبو والخناجر التي قتلت قيصر ترغب أن تقتل، ترغب أن تسفك الدمّ بغتة.

في درج المكتب، بين المُسوّدات والرسائل، يحلم الخنجرُ بشكل لا ينتهي، حُلمه البسيط حُلم نمر، وتنبعث حركة اليد حين تقوده لأنّ المعدن انبعثت حركته، المعدن الذي يحسُّ عند كلّ اتصال بالقاتل الذي من أجله صنعه الرّجال.

أحياناً أشفق عليه. كلّ هذه القسوة وكلّ هذا الإيمان كلّ هذا التّسامح اللامتسامح جدّاً أو البريء، والأعوام تمضي بدون جدوى.

الأصدقاء الأموات

فلتستمرّوا في إسناد السّقف الحجريّ
لمُتّزه يوليو، ظلال مُلتبسة
في شجّارٍ أبديّ مع ظلال
أخوات أو مع الجوع، ذلك الذئب الآخر.
حين تكون الشمسُ الأخيرة صفراء
على نُخوم الضواحي،
يعودون إلى غسّتهم، مشؤومين
وموتى إلى عاهرتهم وسكّينهم.
يستديمون في حكايات مُلققة،
في طريقة ما في المشي، في صرير
جبل، في وجه، وفي صفير،
في أشياء بائسة وفي أمجاد حالكة.
في الباحة الحميمة للعريشة
حينما تدوزنُ اليدُ القيثارة.

لأجل الأوتار الستة

(١٩٦٥)

مقدمة

تفترضُ كلُّ قراءةٍ تعاونًا وتواطؤًا تقريبًا. في فاوستو، يجب أن نعرف أنه كان بإمكان الغاوتشو أن يُتابع حبكة أوبرا تُغنى بلغة لا يعرفها؛ في مارتن فييرو، ترَجِّحُ بين القول والفعل الدالّين على التَّبُحُّ وبين تقعُّراتِ الشكوى، المبرّرة بالغاية السياسيّة للعمل، لكنّها غريبة كليًا عن الطبائع التي يُعاني منها مُواطنو البلد وأصول اللياقة المحترسة للمغنيّ الشعبيّ الجوّال.

في الحالة المتواضعة للميلونغات الخاصّة بي، يجبُ على القارئ أن يستبدل بالموسيقى الغائبة صورة رجلٍ يُدندن، على عتبة رواق أو في مستودع، تُصاحبه القيثارة. اليد تمكث في مهل على الأوتار لكن الكلمات تهّم بشكل أقلّ من الأنغام.

لقد رغبتُ أن أتجنّب التظاهر بإفراط في رقّة عاطفة «أغنية التانغو» التي لا عزاء لها والتعامل المنهجيّ مع اللهجة الأرجنتينية، التي تبثّ جوًّا مُصطنعًا في التوشّيات البسيطة.

هذه الميلونغات التي تمّ تأليفها في حوالي ألف وثمان مائة وتسعين وبضع سنوات كان يُمكن أن تكون ساذجة وجامحة، الآن صارت مجرد مرآثٍ.

على حدّ معرفتي، هذه الأشعارُ لا تتطلّبُ أيّ توضيحٍ آخر.

خ. ل. ب.

بوينوس أيريس، يونيو ١٩٦٥.

ميلونغا الأخوين

تحملُ القيثارة حكايات
من زمن كان فيه الفييرو مشرقاً،
حكايات الخُدعة ولعبة الكعاب،
من المربّعات والأقداح،
حكايات كوستا برافا
وطريق الجنود.

تعال، ثمّة حكاية من الأمس
سوف تروقُ أكثركم ثقافلاً.
القدر لا يصنع توافقات
ولا أحد يُعاتبه.
ها أنا ذا أرى أنّ في هذه الليلة
تأتي الذكريات من الجنوب.

انظروا، أيّها السادة، حكاية
الأخوين إيبيرا،

رُجُلِي حَبَّ وَحَرْبٍ
وَأَوَائِلَ فِي الْمُخَاطَرَةِ،
زَهْرَةَ حَلْقَةِ السَّكَاكِينِينَ
وَالآنَ يُعْطِيهِمْ تَرَابَ الْأَرْضِ.

الْكَبْرِيَاءَ أَوْ الْجَشْعَ يَجْعَلُ
الرِّجَالَ يَنْحَدِرُونَ نَحْوَ الْخَسَارَةِ
وَالشَّجَاعَةَ تُغْرِي أَيْضًا مِنْ يَهْبُهَا
لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ بِالسَّقُوطِ نَحْوَ الرِّذِيلَةِ
لَقَدْ كَانَ الْأَصْغَرَ مَدِينًا
لِلْعَدَالَةِ بِمَزِيدٍ مِنَ الْأَرْوَاحِ.

لَمَّا رَأَى خَوَانَ إِيْبِيرَا
أَنَّ الْأَصْغَرَ كَانَ يَتَقَدَّمُهُ،
صَارَ نَافِدَ الصَّبْرِ
قَامَ بِتَجْمِيعِ مَا لَسْتُ أَدْرِي مِنْ رَابِطَةٍ
وَأَرْدَاهُ قَتِيلًا بِرِصَاصَةٍ،
هِنَاكَ فِي كُوسْتَا بَرَا فَا.

بَلَا تَأْخِيرٍ وَبَلَا اسْتَعْجَالٍ
مَضَى يُمَدِّدُهُ عَلَى مَسَارِ

للقطار كي يدوسه .
وكان أن تركه القطار بلا وجه
وذاك ما كان ينشده الأكبر .

هكذا وبشكلٍ وفيّ
رويْتُ لك الحكاية حتى النهاية .
هي حكاية قابيل
الذي لا يزال يُواصلُ قتلَ هايل .

أين مضوا؟

حسب عادته، الشمس
تلمع وتموت، تموت وتلمع
وفي الفناء، مثلما بالأمس،
ثمة قمرٌ أصفر،
لكنّ الزمن الذي لا يتراجع
يدنّس كلّ الأشياء.
انتهى الشجعان
ولم يتركوا بذرة.

أين هم الذين خرجوا
لتحرير الأمم
أو واجهوا في الجنوب
رماح الخيانات؟
أين أولئك الذين كانوا يمضون
إلى الحرب في كتائب؟
أين أولئك الذين كانوا يموتون
في ثورات أخرى؟

- لا تحزن. ففي ذاكرة

الأزمة الآتية

نحن أيضًا سنكون

الفتيان الشجعان والأوائل.

سيكون السافل كريمًا

ويكون المتكاسل باسلاً.

ليس ثمة شيء مثل الموت

لتحسين أحوال الناس.

أين هم الرّعاع الشجعان

الذين وطّثوا هذه الأرض،

والتي لم يتمكّنوا من طيّها

الحياة كلبة والموت كلب،

أولئك الذين في الضاحية القاسية

عاشوا مثلما في حرب،

آل مورانيا في الشمال

وفي الجنوب آل إيبيرا؟

ما الذي آل إليه الحماسُ الشديد؟

ما الذي صار عليه الكرمُ الكبير؟

الجميعُ أفناهم الزمن،

والجميع يُغَطِّيه التراب .
نسيَ خوان مورانيا
سلسلة القفل والعربة
ولست أدري ما إذا كان موريرا
قد مات في لوبوس أو في نافارو .

- لا تحزن . ففي ذاكرة ...

ميلونغا خايننتو شيكلانا

أتذكّر . كان ذلك في بالفانيرا ،
في ليلة نائية
إذ ألقى شخصٌ ما اسم
خايننتو شيكلانا .

قيل أيضًا شيءٌ ما
عن زاوية وعن سكين .
وتترك لنا السنون أن نرى
الشجار الملبس واللمعان .

من يعلم لأيّ سبب يمضي
هذا الاسمُ باحثًا عني .
كنتُ أودّ لو أنّي أعرف
كيف كان ذلك الرجل .

أراه شامخَ القامة، مكتملَ الهيئة،
بروح مُستعدّة لخدمة الآخرين،
قادرًا على ألا يرفع الصوت
وأن يُراهن بحياته .

لا أحد يمتلك خطوات أشدّ ثباتًا
قد داست أقدامه الأرض .
ولا أحد سيكونُ مثيلا له
في الحبّ وفي الحرب .

حول الحديقة والفناء
وأبراج بالفانيرا
وذلك الموت العبثي
في أيّ مكان أو زاوية

لستُ أرى الملامح . أرى،
تحت الفانوس الأصفر،
تصادم رجال أو ظلال
وتلك الأفعى، السكّين .

ربّما في تلك اللحظة
الذي كان الجرحُ يشخنه ،
فكّر أنّ رجلاً سوف يُلائمه
ألا يتأخّر في المُبارزة .

وحده الربُّ يُمكن أن يعرف
السلالة الوفيّة لذلك الرجل .
يا سادتي ، أنا الآن أغني
ما هو مشفّرٌ في الاسم .

من بين الأشياء ثمّة شيءٌ
سوف لن يندم عليه
أحد على وجه الأرض .
هذا الشيء هو أن تكون شجاعاً .

الشجاعة دائماً شيمةٌ فضلى
والأملُ لا يذهب أبداً سدى .
فهذه الميلونغا مُهداةٌ
لأجل خائيتو شيكلانا .

ميلونغا دون نيكانور بارديس

فلتأت مُداعِبَةُ الأوتار والآن،
ألتمسُ منكم الإذن،
أيها السادة، أن أغني
لدون نيكانور بارديس.

لم أراه متييسًا وميتًا
ولا رأيتَه حتى عليلاً.
أراه بخطواته الحازمة
يدوسُ أرضَ إقطاعه، باليرمو.

الشارب رماديّ قليلاً
ولكن في العيون التماعُ
وقريبًا من القلب
ينكشفُ مخبأ السكين.

سكّين ذلك الموت
الذي لم يثكن يروق
الحديث عنه، حادثة شؤم ما
سباقات الخيل القصيرة أو لعبة الكعاب.

في الفناء، بالأحرى. كان الزعيم،
إن لم يُخطئ معي في الحساب،
ثمة في الأزمنة الشرسة
لعام ثمانمائة وتسعين.

شعر ذاو ومتجعّد
وذاك الجموح من الثور،
والوشاح على الكتف
والخاتم الذهبي المتباهي.

من بين رجاله كان ثمة
كثيرون ذوو بسالة هادئة،
خوان مورانيا وسواريث.
ذاك الملقّب بالشيليّ.

لَمَّا يَأْتِي أَوْلَئِكَ النَّاسِ الْأَشْرَارَ
فَوْضَى مَا كَانَتْ تَنْدَلَعُ
وَكَانَ يَوْقِفُهَا هُوَ بَغْتَةً،
بَصْرَخَةً أَوْ بِالسِّيَاطِ.

رَجُلٌ ذُو نَفْسٍ مُنْصَفَةٍ
فِي الْخَيْرِ أَوْ فِي السُّوءِ
«فِي بَيْتِ صَانِعِ الصَّابُونِ
مَنْ لَا يَسْقُطُ يُزَاحُ».

كَانَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَتَوَقَّعُ الْأَحْدَاثَ
عَلَى إِقَاعَاتِ الْفَيُولَا،
لِبُيُوتِ خُونِينَ
وَخِيَامِ أَدِيَلَا.

الآن قد مات
كم من ذاكرة معه تنطفئ
من باليرمو ذاك، التائه
للأرض البوار وللخنجر.

الآن قد مات وأنا أقول لنفسي:

ما الذي ستفعله، يا دون نيكاتور،

في سماء بلا خيول

ولا رهان، بلا مضاعفة المقامرة ولا زهرة؟

يا دون نيكاتور،

يا دون نيكاتور،

يا دون نيكاتور،

يا دون نيكاتور،

يا دون نيكاتور،

يا دون نيكاتور،

يا دون نيكاتور،

يا دون نيكاتور،

يا دون نيكاتور،

يا دون نيكاتور،

يا دون نيكاتور،

يا دون نيكاتور،

سكين في الشمال

هنالك في مالدونادو،
حيث يركضُ اليوم متخفياً وأعمى،
هنالك في الحيّ الرماديّ
الذي تغنى به كاريغو المسكين،

خلف باب مواربٍ
يُطلّ على باحة العريشة،
حيثُ استمعتِ الليالي
لعشق القيثارة

سيكون ثمّة درجٌ وفي أعماقه
سوف ينام مع لمعانٍ قويّ،
بين تلك الأشياء التي يعرف
الزمنُ كيف ينساها، سكينٌ.

سافيريو سواريث ذاك،
الذي يُطلق عليه كثيرون اسمَ الشيلي،
والذي في أوكار القمار والاختيارات
أثبتَ دائماً أنه كان طيبًا.

الأولاد الذين هم الشيطان بعينه
سوف يبحثون عنه خلصة
وسوف يتذوّقون في صفار البيض
إن لم يكن قد انفلَّ حذّه.

كم مرّة سيكونُ قد ولجَ
في جسد مسيحيّ
وهو الآن مُلقى بعيدًا وحيدًا
في انتظار يد،

هي غبار. خلف الزجاج
الذي تُذهبه شمسٌ صفراء،
عبر سنين وبيوت،
ها أنا أراك أيّها السكّين؟.

الدمية

أغني لصديق
كان الوليِّ والزخرفَ
للبوت الأقلِّ قداسة
في حيِّ تريونفيراتو.

مُتزيِّناً في الهندام،
ونصفَ متسلِّط في المُعاملة،
القُبعة والملابس سوداء،
وأسودُ جلدُ الحذاءِ اللامع.

ومثل ضوء مصباح للقيادة
كان يُوقِّعُ بخرَبَشَاتِ
في الوجهِ ذي المنظرِ الحَسَنِ،
بوَثبةٍ واحدةٍ، على طريقة القطط.

راقصٌ ولاعبٌ
لستُ أدري إنْ كانَ صينيًّا أو خِلاسيًّا،
قد كانَ الدَّيْرُ الصَّغِيرُ مُدَلِّلاً له،
وهو اليوم يُسمَّى بيت الإيجار.

لساكنات الدهاليز الخلاسيات
لم يُبدَ لهنَّ جُحودًا
حبَّ ذاك الرُّجُل الباسل،
الذي منحهنَّ أوقاتًا جدَّ مُمتعة.

الرُّجُل، حسبما هو معروف
قد وقَّعَ عقدًا
مع الموت. عند كلِّ مُنعطف
ملاحقًا له يمضي الوقت السيِّئ.

قد أصابته رصاصةٌ أسقطته أرضًا
في الثايمز وفي تريونفيراتو،
قد انتقل إلى حيِّ مجاور،
إلى حيِّ كينتا ديل نياتو.

ميلونغا السُّمُر

الصوتُ عالٍ ومتحمّسٌ
كما لو كان يغني زهرة،
اليوم، أيّها السادة، أغني
للناس الملونين.

بالعاج الأسود سمّاهم
الإنجليز والهولنديون
الذين حطّوا المرساة هنا
بعد إبحار شهوٍٍ طويلة.

في حيّ الريترو
كان ثمة سوقٌ للعبيد.
كان ذا معاملات جيّدة
ومنه خرج شجعان كثيرون.

قد نسوا أرضهم
أرضَ الأسودِ مثل الأطفال
وهنا تعلقُ بهم
العوائدُ والعواطف.

لَمَّا وُلِدَ الوَطَنُ الأم
ذات صباح من شهر أيار،
كان الغاوتشو وحده يعرفُ
شَنَّ الحرب على متن الخيل.

شخص ما كان يعتقدُ أنَّ بين السود
ليس ثمةُ أعسر ولا غرباء
وتمَّ تشكيل الفوج
من الخلاسيين ومن السُّمر.

الفوج الذي طالت مُعاناته
الذي كان يحملُ من الأرقام ستّة
الذي عنه قال أسكاسوبي:
«أكثر بسالة من الديك الإنجليزي».

وهذا ما حدث في الضفة الأخرى
تلك الضفة السمراء، مع صرخة
سولير، على الأرض
ألقى حمولة سيريتو.

قتل مارتن فييرو رجلاً أسود
وكاد أن يكون ذلك كما لو أنه قتلهم
جميعهم. أنا أعرفُ واحدًا
مات من أجل العلم.

من مساء لآخر في الجنوب
ينظر إليّ وجهٌ أسمرٌ،
قد شكّلته الأعوامُ
وهو في آنٍ حزينٌ وساكن.

إلى أيّ سماء من طبول
وقيلولات طويلة قد مضوا؟
قد مضى بهم الزمن.
الزمن الذي هو النسيان.

ميلونغا لأجل الشرقيين

ميلونغا من هذا البونارينسي
مُهداة منه للشرقيين ،
ممتناً عن ذكرياتِ
مساءات وأغيال من القابوق

طعم ما هو شرقيّ
بهذه الكلمات أرسم .
هو طعم ما يكون عليه
الشيء مماثلاً ومختلفاً قليلاً .

ميلونغا أشياء كثيرة
تبقى بعيدة .
دائرة بمنظرة
وافريز الحائط بالزليج .

في ضفتك تُشرق الشمس
وتطفئ الفوانيس
الربوة وهي تمنحُ الفرح
للرّمال وللّموجة .

ميلونغا لرُعاة الأبقار
الذين قد سئموا الأرضَ والطرقَات
يدخّنون لفافات التبغ الأسود
في حيّ باسو ديل مولينو .

على شواطئ أوروغواي،
أتذكّر ذلك المُحتال
الذي مرّ بها مُمسكًا
بطرفِ حبلِهِ .

ميلونغا للتانغو الأوّل
الذي انكسر، لا يهَمّنا،
في بيوت خونين
أو في بيوت يربال .

مثل ملامس أنشودة
ستشباك حكايتنا،
تلك الحكاية على متن الخيل
والتي تفوح برائحة الدّم والمجد.

ميلونغا لأسرة الغاوتشو تلك
التي قاتلت ببسالة
قد كانا زوجين، في البامبا،
أو في لا كوشيا دي هايدو.

من سيقول لمن هي
تلك الرّماح المعادية
التي ستمضي لتفني الزّمن،
أهي لراميريث أم لأرتيغاس؟

لكي نُقاتل مثل الإخوة
كان كلُّ ميدانٍ للقتالِ جيداً،
فليشهد بذلك من رأى
شمسه الأخيرة في كاغانشا.

كتفًا لكتف أو صدرًا لصدر،
كم مرّة قاتلنا
كم مرّة هرعوا إلينا،
وكم مرّة طاردناهم!

ميلونغا المنسيّ
الذي يموت والذي لا يشتكي.
ميلونغا الحلق
المقطوع من الأذن إلى الأذن.

ميلونغا مروّض
الأمهار ذات الحوافر الصلبة
والفضّة التي تبهجُ
طقم الحصان المُعتم.

ميلونغا الميلونغا
تحت ظلالِ أشجارِ اللّكّيّاتِ،
ميلونغا هيرنانديث الآخر
الذي حارب في بايساندو.

ميلونغا لكي يمضي الزمن

باتجاه محو الحدود،

فلسب ما للعلمين

اللون ذاته.

بور راذهب من مداره

من انحنوية

السكر مستر

ليس سائيا واملنا بل

خل سلاح فخر

رحمنا بانحناءه

ومافع اثر شل عن

سابق نسل

بالمسك لثمة ووجهه

عالم الحسم

بأن الامر لم يكن

العلم الشك

من قول

من

ولم لا الله

فعلنا

منه

ببذل

بمحو

منه

منه

ولسما

وبها

منه

ببذرها

بالسنة

بالسنة

ببذلها

ميلونغا ألبورنوٲ

شخصٌ ما قد عدّ الأيام
شخصٌ ما يعرف الساعة،
شخصٌ ليس ثمة عنده
لا استعجال ولا تأخير.

ألبورنوٲ يمرُّ وهو يُصفرُّ
ميلونغا ما بين النهرين،
تحت حافة القبعة
ترى عيناهُ الصباح،

صباح هذا اليوم
لثمان مئة وتسعين
في الجزء السفليّ من الريتيرو
قد فقدوا معه حساب

حكايات الحبِّ والتحايل
حتى الفجر والاشتباكات

بالحديد مع الرقباء،
مع الأقرباء والغُرباء.

أقسم الأيمان
أكثر من جُسور وأكثر من مكار،
في مُنعطف من الجنوب
كان السكّين ينتظره.

ليس سكّينًا واحدًا بل ثلاثة
قبل انبلاج فجر النهار،
زحفوا باتّجاهه
ودافع الرُّجل عن نفسه.

اخترق نصلٌ صدره
ولم يلتفت إليه وجهه.
مات أليخو ألبورنووث
كأنّ الأمر لم يكن يهمّه.

أظنّ أنّك ترغبُ اليوم
في أن تعرف أنّ حكايته تُروى
في ميلونغا. فالزّمن
نسيانٌ وهو ذاكرة.

ميلونغا مانويل فلوريس

مانويل فلوريس سوف يموت .
تلك عملة رائجة ،
فالموت عادة
يعرف كيف يجتذب البشر إليه .

ورغم ذلك يؤلمني
أن أقول للحياة وداعاً ،
وذلك الشيء المعتاد جداً ،
العذب جداً والمعروف جداً .

أنظر إلى يدي في الفجر ،
وأنظر في يدي إلى عروقي .
أنظر إليها في غرابة
كما لو أنها كانت لغيري .

سوف تأتي الرصاصات الأربع
ومع الأربعة يأتي النسيان
قد قال ذلك الحكيم ميرلين^(١):
أن تموت معناه أنك قد وُلدتَ.

كم من الأشياء في الطريق
قد رأتها هذه العيون!
من يدري ما الذي ستريانه
بعد أن يحاكمني على أفعالي المسيح!

مانويل فلوريس سوف يموت.
هذه عملة رائجة،
فالموت عادة
يعرف كيف يجتذبُ البشر إليه.

(١) مرلين أو ميرلين Merlin شخصية خيالية من الأسطورة الأثرية لساحر أبيض جبار، ارتبط بميلاد الملك آرثر، ونشأة كاميلوت.

ميلونغا كالاندريا

الاسم سيرفاندو كاردوسو
واللقب نيو كالاندريا
سوف لن تعرف الأعوام
التي تنسى كل شيء كيف تنساه.

لم يكن عالما من أولئك
الذين يستعملون سلاحا بزناد،
كان يروق له أن يلهو
مع رقصة السكين.

كم مرة في مونتييل
سيكون قد رآه الفجر
بين ذراعي امرأة
قد تملكها وللتو قد نسيها.

كان سلاح مهوى القلب عنده
مطواة الغاوتشو المديدة
كان المسيحي والنصل
عنده شيئا واحدا.

تحت رفرِفِ ظِلِّ
أو في زاوية من العريشة
تعرف اليدان اللتان تزرعان الموت
كيف تداعبان أوتار القيثارة.

النظرة في العينين ثابتة
كانت تستطيع أن توقف
ضربة الفأس الأشد مكرًا.
كم يسعد من يراه مقاتلا!

وليسوا سعداء جدا أولئك
الذين ذكراهم الأخيرة
الهجمة المباغثة
وطعنة بحدّ الحسام.

الغاب والمبارزة دائماً،
صدرًا لصدر ووجهها لوجه.
عاش يقتل ويهرب.
عاش كما لو كان يحلم.

يقال إن امرأة مضت
وأسلمته للعصاة.
كلنا، عاجلاً أم آجلاً،
سوف تسلمنا الحياة.

مدیح العتمة

(١٩٦٩)

مقدمة

دون أن أنوي القيام بذلك في البداية، فقد كرّستُ حياتي الطويلة بالفعل للآداب، ولأستاذية كرسي الآداب، ولأوقات الفراغ، وللمغامرات الهادئة للحوار، وللفيولوجيا، التي أجهلها، وللعادة المُلغزة لبوينوس أيريس، ولحالات الجيرة التي لا تخلو من بعض الشموخ المترفع التي يُطلق عليها ميتافيزيقا. لم تكن حياتي تفتقرُ إلى صداقة قلة قليلة، وهذا ما يهمّ. لا أظنّ أنّ لديّ عدوًا واحدًا، أو إذا كان ثمة أعداء، فهم لم يُخبروني بذلك أبدًا. الحقيقة أنّه لا أحد يستطيع أن يجرّحنا إلاّ الناس الذين نُحبّهم. الآن، في السبعين من عمري (والعبارة لويتمان)، أهبُ هذا الديوان الخامس للصحافة.

إقترح عليّ كارلوس فرياس أنّ أستغلّ مقدمة الديوان لأجل إعلان تصوّري الجمالي. إن فقري وإرادتي، تتعارضان مع تلك النصيحة. أنا لستُ مالك جماليّة. علّمني الزمن بعض الاحتمالات: تجنّب المترادفات، التي لها مساوي الإيحاء باختلافات خياليّة، وتجنّب العبارات ذات الأصول الإسبانيّة والأرجنتينيّة والعبارات القديمة المهجورة والعبارات المُستحدثة؛ وتفضيل الكلمات المُعتادة على الكلمات المُدهشة؛ إدخال الملامح الظرفيّة في قصّة، يُطالب بها الآن القارئ؛ اصطناع ريبات صغيرة، ما دامت الحقيقة إنّ كانت دقيقة، فالذاكرة ليست كذلك، سرّد الأحداث (هذا تعلّمته من كيلينغ

ومن الملاحم الأيسلندية) كما لو أنني لم أستوعبها تمامًا، تذكر أنّ القواعد المذكورة سالفًا ليست واجبات وأنّ الزمن كفيلٌ بالغائها. مثل هذه الاحتمالات أو العادات لا تُشكّل بالتأكيد جماليّة. وبالنسبة إلى الباقي، أنا لا أوّمنُ بالجماليّات. بشكل عامّ، هي ليست أكثر من كونها تجريدات عديمة الجدوى، تختلفُ بالنسبة إلى كلّ كاتب وحتى بالنسبة إلى كلّ نصّ، ولا يُمكن أن تكون شيئًا آخر عدا أنّها مُحفّزات أو أدوات عرضيّة.

هذا هو ديواني الخامس. ومن المعقول أن نفترض أنّه لن يكون أفضل أو أسوأ من الدواوين الأخرى. تمّت إضافةُ تيمتين جديدتين إلى المرايا والمناجات والسيوف التي يعرفها قارئها المُثابر قبلًا، هما: الشيخوخة والأخلاق. هذا، وكما هو معلوم، لم يتوقّف أبدًا عن أن يشغلَ صديقًا عزيزًا منحني إياه الأدب، هو روبرت لويس ستيفنسون. إنّ إحدى الفضائل التي جعلتني أفضل الأمم البروتستانتية على تلك التي تسيّرُ على نهج التقاليد الكاثوليكية هي عناية هذه الأمم بالأخلاق. لقد رغب ميلتون أن يُربّي أطفال أكاديميته على معرفة علوم الفيزياء، والرياضيات، وعلم الفلك والعلوم الطبيعيّة. وكان الدكتور جونسون يُلاحظ في مُنتصف القرن الثامن عشر أنّ «الحصافة والعدالة رفعةٌ مقام وفضائلُ تتطابق مع كلّ الأزمنة وكلّ الأمكنة، نحن أخلاقيّون بشكلٍ أبديّ وأحيانًا فقط نكون هندسيّين».

في هذه الصفحات تتعاش، اعتقد دونما نزاع، أشكالٌ من النثر والشعر. يُمكنها أن تستدعيَ نصوصًا أسلافًا لامعةً - «عزاء الفلسفة» لبوثيوس، وحكايات تشوسر، وكتاب «ألف ليلة وليلة»-، أفضل أن أعلن أنّ تلك الاختلافات تبدو لي عرضيّة وأنني كنتُ سأتمنى لو أنّ هذا الكتاب يُقرأ كديوان شعريّ. أليس الكتاب، في حدّ ذاته، حقيقةً

جمالية، إنه كائن فيزيائي من بين أشياء أخرى، الحدث الجمالي
يُمكن أن يقع فقط عندما يُكتب أو يُقرأ. من الشائع التأكيد على أن
الشعر الحُرّ ليس أكثر من صورة محاكاة مطبعية زائفة، وأظنّ أنّ ثمة
في ذلك التأكيد خطأ كامناً. وأبعد من إيقاعه، فإنّ الشكل المطبعي
للمقطع الشعري يصلح لإعلان العواطف والأحاسيس الشعريّة
للقارئ، وليس المعلومات أو الاستدلالات، هي ما ينتظره. ذات
مرة كنت أحنُّ إلى التنفّس الواسع لمزامير والت ويتمان، سنوات بعد
ذلك، وليس بدون كآبة، أثبتت أنني اقتصرْتُ على إجراء التناوب بين
بعض البحور الشعريّة الكلاسيكية: البحر الشعري الإسكندري،
والبحر ذي الأحد عشر مقطعاً، والبحر الثماني المقاطع.

الشعر ليس أقلّ التباساً من العناصر الأخرى في العالم. هذا
البيت الشعري المحفوظ أو ذاك لا يُمكن أن يجعلنا نزدهي، لأنّه هبة
من الحظّ أو من الروح، الأخطاء وحدّها ملكٌ لنا. أمّلُ أن يكتشف
القارئ في صفحتي شيئاً يُمكن أن يكون جديراً بذاكرته، فالجمال،
في هذا العالم، مشاع.

خ. ل. ب.

بوينوس أيريس ٢٤ يونيو ١٩٦٩.

يوحنا، I، ١٤

لن تكون هذه الورقة أقلّ إلغازًا
من صفحات كُتبي المقدّسة
ولا من تلك الأخرى التي تُردّها
الأفواهُ الجاهلة،
اعتقادًا بأنّها لرُجل وليست مرآيا
مُعتمة للروح.

أنا الذي هو الكائن، وما كان وما سيكون،
أعودُ إلى تكثيف اللغة
التي هي زمنٌ مُتعاقب وشعار.
مَن يلهو مع طفل يلهو بشيء
قريب وغامض،
قد رغبتُ أن ألهو مع أبنائي.
كنتُ بينهم في دهشة وحنوّ.
بفعلٍ سحريّ
وُلدت بشكل غريب من رحمٍ.
عشتُ مسحورًا وسجينًا في جسد

وفي تواضع روح .
عرفتُ الذاكرة
تلك القطعة النقدية التي ليست أبدًا هي ذاتها .
عرفتُ الأمل والرغبة
ذينك الوجهين من الآتي الملتبس .
عرفتُ السهر والنوم والأحلام
الجهالة والجسد ،
مناجات العقل الخرقاء ،
وصداقة الرجال ،
والتفاني الغامض للكلاب .
كنتُ محبوبًا ومفهومًا وممدوحًا ومعلقًا على صليب .
شربتُ الكأس حتى الثمالة .
رأيتُ بعيني ما لم أكن رأيتُه قط من قبل :
الليلَ ونجومه .
كنتُ أعرفُ الصقيلَ والرملِيَّ والمُتفاوتَ والخشنَ ،
طعمَ العسل وطعمَ التفاح ،
الماءَ في حنجرة العطش ،
ثقلَ المعدن في راحة الكف ،
الصوتَ الإنسانيَّ ، حفيفَ الخُطى فوق العشب ،
رائحةَ المطر في الجليل .
الصرخةَ العالية للطير .

وعرفت المرارة أيضًا .
عهدتُ بهذه الكتابة إلى إنسانٍ ما ،
لن تكون أبدًا ما أرغبُ في قوله
فهي لن تكفَّ عن أن تكونَ انعكاسًا له .
منذ أباديتي تسقط هذه العلامات .
أن يكتبَ آخرُ هذه القصيدة ، لا ذاك الذي هو الآن مُدوّنُها .
غداً سأكون نمرًا بين النمرور
وسأعلنُ شريعتي على غابها ،
وعلى شجرة عظيمة في آسيا .
أحيانًا أفكر بنوستالجيا
في رائحة تلك الورشة للنجارة .

هيراقليديس

الغسقُ الثاني .
الليل الذي يغرقُ في نومه .
التطهُرُ والنسيان .
الغسقُ الأوّل .
الصبح الذي كان فجرًا .
النهار الذي كان صُبْحًا .
النهار المتعدّد الذي سيغدو مساءً متلاشيًا ،
الغسقُ الثاني .
تلك العادة الأخرى للزّمن ، الليل .
التطهُرُ والنسيان .
الغسقُ الأوّل .
الفجر المتكتمُ وفي الفجر
بليّة الإغريقيّ .
أيُّ مؤامرة هذه
لِما سيكون وللکائن ولِما كان؟
أيُّ نهر هذا

الذي يجري فيه الغانج؟
أيّ نهر هذا الذي نبُعُه غير قابل لأن يُحدَّد؟
أيّ نهر هذا
الذي يسحبُ أساطيرَ وسيوفًا؟
غير مُجدٍ أن ينام.
يجري في الحُلم، في الصحراء، في سرداب.
يختطفني النهر بعيدًا فأنا ذلك النهر.
من مادّةٍ حقيرةٍ صُنِعَ، من زمنٍ مُلغزٍ.
لربّما يوجدُ النَّبْعُ في داخلي.
لربّما من ظلي
تنبئُ الأيامُ عبثيةً ومُخادعةً.

كمبريدج

نيو إنغلاند والصبح .
أنعطفُ بشارع كريجى .
أفكرُ (ها قد فكرت)
أن اسم كريجى إسكتلندي
وأن كلمة كراج من أصل سلتى .
أفكر (ها قد فكرت)
أن في هذا الشتاء توجدُ الشتاءات القديمة
لأولئك الذين خلفوا كتابة
أن الطريق يوجدُ بشكل قبليّ
وأننا إما أن نكون من الحُبّ أو من النار .
الثلج والصبح والأسوار الحمراء
يُمكن أن تكون أشكالا من السعادة ،
لكنني أتيتُ من مُدن أخرى
حيث الألوانُ شاحبة
وحيث تسقي امرأة
عند حلول المساء نباتاتِ الفناء .

أرفعُ عيني وأفتقدها في الأزرق المُهمين .
وفي البعيد أشجارٌ لونغفيلو
والنهر النائم المُستديم .
لا أحد في الشارع ، لكن ليس اليوم أحدا
وليس يوم الإثنين
اليوم الذي يُمَدُّنا بوهَم البداية .
وليس يوم الثلاثاء
اليوم الذي يترأس فيه الكوكب الأحمر .
وليس يوم الأربعاء
يوم ذلك الإله ، إله المتاهات
الذي في الشمال كان أودين .
وليس الخميس
اليوم الذي يستسلم للأحد .
وليس يوم الجمعة
اليوم الذي تسودُ فيه الألوهية التي تنسجُ
في الغابات أجسادَ العاشقين .
وليس يوم السبت .
لا يوجد في الزمن المُتعاقب
بل في الممالك الطيفية للذاكرة .
مثلما في الأحلام
خلف البوابات العالية ليس ثمة شيء ،

ولا حتى الفراغ.
مثلما في الأحلام
خلف الوجه الذي ينظرُ إلينا ليس ثمة أحد.
الوجه بلا ظهر،
قطعة نقدية بوجه واحد، الأشياء،
تلك الحكايات البئسة هي العطايا المَتملِّكة
التي يخلفها لنا الزمن المستعجل.
نحن ذاكرتنا
نحن ذلك المتحف الوهمي من أشكال مُتقلِّبة،
تلك الأكوام من المرايا المكسورة.

نيو إنغلاند، ١٩٦٧

تغيّرت أشكالُ حلمي .
هي الآن بيوتٌ مائلة حمراءُ
واللون البرونزيُّ الدقيق للأوراق
والشتاء المتعفّف والحطب الرّحيم .
ومثلما في اليوم السابع ، الأرض
طيّبة . في الغسق يُلحّ
شيءٌ يكاد ألا يكون همساً قديماً ،
جرّيناً وحزيناً ،
للكتاب المقدّس والحرب .
بغثة (يقولون لنا) سيأتي الثلج
وأمریکا تنتظرني في كلّ مُنعطفٍ ،
لكني أحسُّ في المساء المُتلاشي
الحاضرَ جدّ بطيء والأمس جدّ قصير .
بوينوس أيريس ، أنا ما زلتُ أمشي
في زواياك دونما لماذا ودونما متى .

كمبريدج ، ١٩٦٧

جيمس جويس^(١)

ثمة في يوم إنسان توجد أيام
الزمن، منذ ذلك اليوم البدئي
اللامتخيل للزمن، الذي فيه حدّد سلفاً
إله مرعب الأيام والاحتضارات
حتى ذلك الآخر الذي يصير فيه النهْرُ
نهرُ الزمن الدنيويّ كلّهُ الوجود إلى نبعه،
الذي هو الأبديّ، وينطفئ في الحاضر،
والآتي وفي الأمس، الذي هو الآن لي.
ما بين الفجر والليل يوجد التاريخُ
الكوني. من الليل أرى
عند قدميّ طرقات العبريّ،
وقرطاج أيبث، جحيمٌ وجنّة.

(١) جيمس جويس James Joyce (دبلن ١٨٨٢ - زيوريخ ١٩٤١) كاتب وشاعر إيرلندي من القرن ٢٠، من أشهر أعماله «عوليس»، و«صورة الفنان في شبابه» و«أهالي دبلن»، و«بقطة فينيغان».

امنّحنى، إلهي، الشجاعة والفرح
كي أتسلّق قمّة هذا اليوم.

كمبريدج، ١٩٦٨

أنا، أستاذة في جامعة
كامبريدج، أكتب إليك
هذه الرسالة في
الوقت الذي
أستعدّ لزيارة
الولايات المتحدة
في شهر أيلول
العام المقبل.
أنا سعيدة جداً
بأنني سأتمكن
من زيارة
الولايات المتحدة
في شهر أيلول
العام المقبل.
أنا سعيدة جداً
بأنني سأتمكن
من زيارة
الولايات المتحدة
في شهر أيلول
العام المقبل.

(١) The Unending Gift

وعدنا رسّام بلوحة .
الآن، في نيو إنغلاند، أعلمُ أنه مات . شعرتُ، مثلما في مرّات
أخرى، بأسى أن أستوعبَ أننا مثل حُلْم .
فكّرتُ في الرُّجُل وفي اللوحة المفقودين .
(وحدها الآلهة تستطيع أن تُعَدَّ، لأنها خالدة)
فكّرت في مكان محدّد سلفاً لن يشغله القماش .
فكّرت لاحقاً : إذا كنتُ هناك، فسوف أكون في النهاية شيئاً
زائداً، شيئاً، شيئاً يُتْبَاهَى به أو ممّا يُعتادُ في البيت، الآن
هو لا مُتْنَاه، ومستديم، قادر بأيّ شكلٍ وبأيّ لونٍ
وغير مشدود إلى أيّ شيء .
هو موجودٌ بشكلٍ ما . وسوف يعيشُ وينمو مثل موسيقى
وسيقى معي حتى النهاية . شكراً لك يا خورخي لاركو .
(الناسُ أيضاً يُمكنهم أن يَعِدُوا، ففي الوعد
نعمّة شيءٌ خالد .)

(١) الهدية اللامتناهية

٢٠ مايو ١٩٢٨ (١)

الآن هو محصنٌ مثل الآلهة.
لا شيء على وجه الأرض يُمكن أن يجرحه، ولا حتى صدّ امرأة،
لا السّل ولا هُموم الشعر ولا ذلك الشيء الأبيض،
القمر الذي لم يعد مُلزمًا بتثبيت الكلمات.
يسيرُ في مهل تحت أشجار الزيزفون ينظرُ إلى الدرازينات
والأبواب، لا ليتذكّرها.
يعرف كم من ليلة وكم من صباح تبقى له
فرضت عليه إرادته انضباطًا دقيقًا. سوف يقوم
بأعمال محدّدة، سوف يعبرُ زوايا متوقّعة، سيلمسُ شجرة
أو سياجًا، لكي يكون الآتي بلا رجعة مثل الماضي.
يعملُ على هذا المحو حتى لا يكون فعلٌ أن يشتهي أو يخاف
شيئًا آخر غير الفصل الأخير من سلسلة.
يسيرُ في الشارع ٤٩: ويعتقد أنه لن يعبرُ أبدًا مثل هذا
أو ذاك الدهليز الجانبي.

(١) فرانسيسكو لوبيث ميرينو الملقب بيانشيتو Francisco López Merino (لا بلاتا، ١٩٠٤، لا بلاتا، ١٩٢٨) شاعر أرجنتيني.

دون أن يشتبه به أحد، ودَعَّ العديد من الأصدقاء.
يفكر فيما لن تعرفه أبدًا، إن كان اليوم الموالي سيكون يومًا
مُمطرًا.

يلتقي مع أحد معارفه ويُمازحه.
يعلم أن ذلك الفصل سيصيرُ، خلال وقت ما، حكايةً طريفة.
هو، الآن، مُحصّن من الطعن مثل الموتى.
في الساعة المحددة، سوف يصعدُ درجات من المرمر.
(هذا سوف يبقى في ذاكرة الآخرين.)
سوف ينزلُ إلى المغسل. في الشقّة سوف يمحو الماء
الدمَ بشكلٍ سريعٍ جدًّا. المرأة تنتظرُهُ.
سوف يمسد شعره، ويعدل عقدة ربطة العنق
(كان دائمًا مُتأنقًا، مثلما يتناسبُ مع شاعر شاب) سوف يحاولُ
أن يتخيّل أن الآخر، ذاك الذي في المرأة، يُنفذ الأفعال وأنه هو،
نُدُهُ، يكرّرُها. لن ترتعش يده عند حدوث الفعل الأخير.
بشكلٍ سلس وبطريقة ساحرة، سيكون قد أسندَ السلاح فوق
صدغه.
هكذا، أظنّ، حدثت الأشياء.

ريكاردو غويرالديس^(١)

لا أحد يستطيعُ أن ينسى تهذبته،
كان الشكل الأول، اللا مفتعل
لطيبته، الشيفرة الحقيقية
لروح ناصعة مثل وُضوح النهار.

لا يجب أن أنسى أيضًا الوداعة
السخية، الوجة الرقيق القوي،
أضواء المجد والموت،
اليد وهي تسأل القيثارة.

مثلما في الحلم النقي لمرآة
(أنت الحقيقة وأنا انعكاسها)
أراك تتحدّث إلينا

(١) ريكاردو غويرالديس (بوينوس آيريس، ١٨٨٦-باريس، ١٨٢٧) كاتب روائي وشاعر أرجنتيني، هو ابن مانويل غويرالديس، رئيس بلدية بوينوس آيريس.

في كيتانا . هنالك كنت ، ساحرًا وميتًا .
لك الآن ، يا ريكاردو ، الحقل
المفتوح للأمس وفجر الأمهار .

الْمَتَاهَةُ

زُيُوسٌ^(١) لَنْ يَسْتَطِيعَ فَكَّ شَرِكِ
الأَحْجَارِ التي تُحَاصِرُنِي، قَدْ نَسِيتُ
الرُّجَالَ الذينَ كُنْتُهُمْ؛ أَوَاصِلُ
الطَّرِيقِ المَقِيمَتِ مِنْ جُدْرَانِ رَتِيبَةٍ
فَذَاكَ قَدْرِي. أَرْوَقَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ
تَتَقَوَّسُ فِي دَوَائِرِ سِرِّيَّةٍ
عَلَى آخِرِ أَعْوَامِ العُمُرِ. مَتَارِيسُ
قَدْ شَقَّهَا رَبًّا الأَيَّامِ.
وَفِي الغُبَارِ الشَّاحِبِ فَكَّكْتُ شِيفرَةَ
وُجُوهِ أَخَافُهَا، الهَوَاءُ حَمَلَ إِلَيَّ

(١) زيوس يُلقَّب عند الإغريق بـ«أب الآلهة والبشر» وفي معتقدات الإغريق الدينية القديمة هو أب الآلهة والبشر. فهو الذي يحكُم آلهة جبل الأوليمب باعتباره الأب الوريث. زيوس هو إله السماء والصاعقة في الميثولوجيا الإغريقية. نظيره في الميثولوجيا الرومانية هو جوبيتر، تكمن قوة زيوس في حكمه لِقُوَى الطبيعة الرهيبة التي كان الإغريق يخشونها كالبرق والرعد والسماء الواسعة. وهو حاضر بقوة في كل الحكايات والأساطير التي تروى في الميثولوجيا الإغريقية.

في المَسَاءِ المُقَعَّرَةِ خُوَارًا
أَوْ صَدَى خُوَارٍ مُوَحِّشٍ .
أَعْرَفُ أَنَّ فِي الظُّلِّ الآخَرَ الَّذِي قَدَرُهُ
أَنْ يُضَجِرَ الخُلُوتِ المَدِيدَةَ
الَّتِي تَنْسُجُ وَتَفُكُّ خُيُوطَ هَادِيسَ هَذَا ،
وَيَتَلَهَّفُ طَمَعًا بَدَمِي وَيَفْتَرِسَ مَوْتِي .
كَأَنَّا يَبْحَثُ عَنِ الآخِرِ . لَيْتَ هَذَا اليَوْمَ
كَانَ يَوْمَ الانتظارِ الأَخِيرِ .

مَتَاهَةٌ

أبدًا لن يكون هنالك بابٌ. أنت في الداخلِ
والقَصْرُ يَحْتَضِنُ الكونَ
لا ظاهِرَ له ولا باطنَ
لا جِدَارَ خارجيًا ولا مَرَكزَ سِرِّيًّا
لا تَتَنظَرُ مِنْ قَسْوَةِ طَرِيقِكَ
الذي يَتَشَعَّبُ فِي عِنَادِ نَحْوِ آخَرَ
أَنْ تَكُونَ لَهُ نَهَائَةٌ. مَصِيرُكَ مِنْ حديدِ
مِثْلَمَا هُوَ قَاضِيكَ. لا تَتَنظَرُ هُجُومَ الثَّوْرِ
الذي هُوَ رَجُلٌ، وَشَكْلُهُ الغَرِيبُ
المُتَعَدِّدُ يُعْطِي إِحْسَاسًا بِفِظَاعَةِ الوَرْطَةِ
مِنْ حَجَرِ مُتَشَابِكٍ لا مُتَنَاهٍ.
مُنْعَدِمِ الوُجُودِ. لا تَتَنظَرُ شَيْئًا،
ولا حَتَّى الوَحْشِ فِي العَسَقِ الأَسْوَدِ.

في عتمة ما، ١٩٤٠ (١)

ألا لن يُدنس أرضك المقدّسة، يا إنجلترا،
لا الرثُ الألمانيّ ولا الضبع الإيطاليّ.
يا جزيرة شكسبير، سوف يُخلّصك أبناؤك
وأيضاً ظلالك المجيدة.
على هذه الضفّة القصيّة من البحار
أستحضرها فتُلبّي النداء
من الماضي اللامتناهي،
مع أكاليل الأسقف العالية وتيجان من حديد،
بالأناجيل وبالسيوف وبالمجاديف،
بالمراسي وبالأقواس.
تحومُ حولي في الليلة الليلاء
الجديرة بالبلاغة وبالسّحر
أبحثُ عن أكثرها خفّة، الهشّة،
وأحذرُها: آه، يا صديقي،

(١) يحيل بورخيس على بداية الحرب العالمية الأولى وتعرض إنجلترا لهجمات الألمان والإيطاليين كما يبرز تعاطفه مع الإنجليز.

القارّة المعادية تستعدّ بالسلاح
لغزو إنجلترا التي لك،
مثلما في الأيام التي تألمت فيها وغنيت .
عبر البحر وعبر البرّ وعبر الجوّ تتلاقى الجيوشُ .
قد عاد الأكوينيّ إلى الحُلم مرّة أخرى .
ينسج لأجل حصن جزيرتك
شبكات من كوابيس .
فلْيَضِع في متاهاته من الزمن
أولئك الذين يَحَقِدُونَ بلا نهاية .
ولتُقَس ليْلته بالقرون وبالعُصور وبالأهرامات،
ولتُكُن الأسلحة غبارًا، والوجوه غبارًا،
ولتُنقِذنا الآن الأبنية المعماريّة اللاتُفكّ شيفرتها
التي وهبت أحلامك رُعبًا .
يا أخ الليل، يا شارب الأفيون،
يا أب المراحل المُتعرّجة التي صارت حقًا متاهات وأبراجًا،
ويا أب الكلمات التي لا تُنسى،
هل تسمعني، يا صديقي اللامرثي، هل تسمعني
من خلال تلك الأشياء اللا يُسبر غورها
والتي هي البحار والموت؟

الأشياء

العكّازة، القطع النقدية، حلقة المفاتيح،
القفل الطيع، التدوينات المتأخرة
التي لن تقرأها الأيام القليلة المتبقية لي،
أوراق اللعب، الرقعة، كتاب
وبين صفحاته البنفسجة الذابلة،
أثر مساء لا يُنسى بلا شك
وقد صار منسياً، مرآة الغرب
الحمراء التي يحترق فيها فجر
مُخادع، عدد من الأشياء، مبارد
وعتبات وأطلس وأقداح ومسامير،
لا تصلح مثل عينيّ مستترين،
أشياء عمياء وصامتة في غرابة!
سوف تُعمّر أبعد من نسياننا
ولن تعرف أبداً أننا رحلنا.

رباعيات

رَدَّدَ عبر صوتي إيقاعَ الفارسيِّ^(١)
ليذكرني بأنَّ الزمنَ هو شبكة الأحلام
الجشعة والمتنوعة التي هي نحن
وأنَّ الحالمَ السريُّ يُبعثرها.

عُد لتؤكد أنَّ النار هي الرماد،
والجسد هو الغبار والنهر هو الصورة
الهاربة من حياتك ومن حياتي
التي في مهلٍ تمضي منّا على عجلٍ.

عُد لتؤكد أنَّ النصب الشاقُّ
الذي يُشيِّده الكبرياء مثل الريح
التي تعبر، وأنَّ في الضوء اللائيخيلُ
لمن كان يتأبَّد، يصيرُ القرنُ مُجرَّد هُنية.

(١) يقصد بالفارسي عمر الخيام ورباعياته الشهيرة التي نسج هذه القصيدة على
منوالها في توزيع المقاطع إلى رباعيات.

عُدُّ لثَنَبَهُ أَنَّ العندليبَ الذهبيَّ
يُغْنِي مَرَّةً واحدةً في الطرفِ
المُصَوِّتِ لليلِ وَأَنَّ النجومِ
البخيلةِ لا تُبَدِّدُ ثرواتها.

أعدِ القمرَ إلى الشعرِ الذي تخطّه
يداكِ مثلما تعودُ الزرقةُ المُبَكِّرةُ
لبُستانكِ . القمرُ ذاتهُ لذلكِ البُستانِ
يجبُ أن يبحثَ عنكِ سُدىً .

فلتكنِ الصهاريجُ تحتِ قمرِ
العشياتِ العذبةِ مثالكِ المُتواضعِ ،
يتكرّرُ في مِرآتها المائيّةِ
قليلٌ من الصوَرِ الأبديةِ .

فلْيعدِ قمرُ الفارسيِّ والذهبِ
المجهولِ للأسحارِ المُقفرةِ .
فاليومِ صارَ أمّسًا . وأنتِ الآخرونِ
الذينِ وُجوههم غبارٌ . فأنتِ الأمواتِ .

إلى إسرائيل^(١)

مَنْ سيقولُ لي إذا كنتِ في المتاهة
الضائعة لأنهار دمي الدنيوية
يا إسرائيل؟ مَنْ جاب الأماكن
التي قطعها دمي ودمك؟
لا يهم. أعرف أنك في الكتاب
المقدس الذي يُغطي الزمن والذي يستعيدُه
تاريخُ آدم الأحمر وذاكرةُ
المصلوب وتباريحُه.
أنت في ذلك الكتاب، الذي هو مرآةُ

(١) كتب بورخيس ثلاث قصائد عن إسرائيل، وقد كان دائما يجهر بتعاطفه معها من حيث موقفه السياسي، ومواقف بورخيس السياسية سواء بالنسبة للقضية الفلسطينية التي نعتبرها قضيتنا الأولى كشعوب عربية أو لقضايا أخرى مثل علاقته ببعض الأنظمة الدكتاتورية في أمريكا اللاتينية لا تعني المترجم ولا الدار، إذ أن ترجمة الأعمال الشعرية الكاملة لا ينبغي أن تكون مبتورة ويجب أن تعكس الصورة الحقيقية للكاتب الأرجنتيني بكل تناقضاتها. علما أن المترجم أعلن دائما عن تبنيه للقضية الفلسطينية وللکفاح المشروع للشعب الفلسطيني العادل من أجل تحقيق التحرر وإنشاء دولته المستقلة.

كلّ وجه يميلُ عليه.
ووجه الربّ الذي في بلوره
المُعقّد الصّعب، يتكهّنُ به رهيبًا.
سلام عليك، يا إسرائيل، أنت تحرّسين جدار
الربّ في شغفٍ معاركك.

إسرائيل

رَجُلٌ مَسْجُونٌ وَمَسْحُورٌ،
رَجُلٌ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ أَفْعَى
تَحْفَظُ ذَهَبًا حَقِيرًا،
رَجُلٌ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ شِيلُوكٌ^(١)،
رَجُلٌ يَنْحِنِي عَلَى الْأَرْضِ
وَيَعْرِفُ أَنَّهُ كَانَ فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ،
رَجُلٌ عَجُوزٌ وَأَعْمَى يَجِبُ أَنْ يَهْدَمَ
أَعْمَدَةُ الْمَعْبَدِ.
وَجْهٌ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ قَنَاعًا،
رَجُلٌ بِالرَّغْمِ مِنَ الرِّجَالِ
هُوَ سِينُوزَا وَبَعْلُ شِيمٍ^(٢) وَالْقَبَالِيُونَ^(٣)،

(١) شيلوك هو أحد أبرز الشخصيات في مسرحية ويليام شكسبير، وهو تاجر البندقية.

(٢) يسرويل بن اليعازر المعروف ببعل شيم طوف أو بيشنت، (أو كوبي أوكرانيا ١٦٩٨-مدجيبج، أوكرانيا، ١٧٦٠) هو حاخام يهودي مؤسس الطائفة اليهودية الحسيدية.

(٣) القبالة أو كابالا هي معتقدات وشروحات روحانية فلسفية تفسر الحياة

رجلٌ هو الكتاب،
فمٌ يمتدحُ من الهوة
عدالة السماء،
وكيلٌ أو طبيبُ أسنان
من تحاور مع الربِّ في جبل،
رجلٌ محكومٌ عليه أن يكون السخرية،
الشناعة، اليهودي،
رجلٌ مرجومٌ ومحروقٌ
ومغرقٌ في عُرفِ قاتلة،
رجلٌ يُصرُّ أن يكون خالداً
وقد عاد الآن إلى معركته،
إلى الضوء العنيف للنصر،
بهياً مثل أسد في الظهيرة.

والكون والربانيات عند اليهود، ظلت مقصورة على اليهود لقرون طويلة
حتى أتى فلاسفة غربيون وأخرجوها من عتمة الاحتكار وجعلوها تتحاور مع
الثقافة الغربية.

يونيو، ١٩٦٨

في المساء الذهبي
أو في سكينه يمكن أن يكون
رمزها هو المساء الذهبي،
يرتب الرجل الكتب
على الرفوف التي تنتظر
وتحس الرق والجلد والقماش
والاستحسان الذي يهبه
توقع عادة
وتحقق تنفيذ أمر ما.

ستيفنسون^(١) والإسكتلندي الآخر، أندرو لانغ^(٢).
سوف يُستأنف هنا، بطريقة سحرية،

(١) روبرت لويس ستيفنسون Robert Louis Stevenson (ادبره ١٨٥٠ - ٣
فاليما ١٨٩٤) روائي وشاعر وكاتب مقالات وكاتب اسكتلندي، تخصص في
أدب الرحلات.

(٢) أندرو لانغ Andrew Lang (سيلكيرك ١٨٤٤ - بانشوري ١٩١٢) شاعر،
صحفي، وعالم أنثروبولوجي ومترجم وكاتب ومؤرخ وناقد أدبي من
المملكة المتحدة.

النقاش المتمهّل الذي أوقفته
البحار والموت
وبخصوص ريس^(٣) بالتأكيد لن يُزعجه
قرب فيرجيل .
(ترتيب المكتبات هو أن تُمارس،
بطريقة صامته مُتواضعة،
فنّ النقد)
الرجل الأعمى
يعلم أنه لن يستطيع فكّ شيفرة
المُجلّدات الجميلة التي يتعامل معها
التي لن تُساعده على أن يضع
الكتاب الذي يُبرّر به ذاته أمام الآخرين،
لكنّ المساء الذي قد يكون ذهبياً
يتسم أمام المصير الغريب
ويُحسُّ تلك السعادة المُميّزة
للأشياء القديمة العزيزة.

(٣) ألفونسو ريس (مونتيري، نويفو ليون، ١٨٨٩-مكسيكو سيتي، ١٩٥٩)،
كان شاعراً وكاتب مقالات وسارداً و مترجماً ودبلوماسياً ومفكراً مكسيكياً .
وكان معروفاً أيضاً باسم «المونتيري العالمي» .

حارس الكُتُب

ثمة توجدُ الحدائقُ والمعابدُ وتبريرات
المعابد،
الموسيقى القويمة والكلمات السديدة،
الأشكال السداسية الأربعة والستون،
الطقوسُ التي هي الحكمة الوحيدة
التي تهبُّها السَّماء للرجال،
مهابة ذلك الإمبراطور
الذي انعكس هُدوؤه عبْر العالم، مرآته،
من حظّ والتي وهبت ثمارها الحقول
والسيول كانت تحترم ضفافها،
وحيد القرن الجريح الذي يعودُ ليضع علاماتِ النهاية،
القوانين الأبدية السريّة،
كونشيرتو الكون
تلك الأشياء أو ذاكرتها توجدُ في الكُتُب
التي أعطني بها في البرج.

جاء التّار من الشمال
على أمهار صغيرة ذات أعراف كثيفة،
أبادوا الجُيوش
التي بعثها ابنُ السماء لعقاب عصيانهم،
شيّدوا أهرامات من نار وقطعوا النحور،
قتلوا الضّال والعادل،
قتلوا العبد المُقيّد الذي يحرسُ الباب،
استعملوا النّساء ونسوهنّ
وواصلوا نحو الجنوب،
أبرياء مثل الضواري،
قُساء مثل السّكاكين.
وفي الفجر المُلتبس
أنقذ والدُ والدي الكتُب.
ها هي في البُرج حيث أضطجع
تذكّرُ الأيام التي كانت لآخرين،
الغُرباء والقدماء.

ليس ثمة أيامٌ في عيني . الرّفوف
عالية جدًّا وأعوامي لا تبلغها.
فراسخ من غُبارٍ ونومٍ تُحاصرُ البُرج .
بماذا أخادعُ نفسي؟

الحقيقة أنني لم أعرف قط القراءة،
لكنني أعزّي النفس بالتفكير
أنّ المتخيّل والماضي قد صارا الشيء ذاته
بالنسبة لرجل كان

والذي يتأمل ما كانت عليه المدينة
والآن تعود لتصير الصحراء مرّة أخرى.
ما الذي يمنعني من أن أحلم أنني مرّة
قد فككتُ شيفرة الحكمة
ورسمتُ الرموز بيد مُتمرسّة؟
اسمي هسيانغ. أنا من يُعنى بالكتب،
التي لربّما تكون هي الأخيرة،
لأننا لا نعرف شيئًا عن الإمبراطورية
وعن ابن السماء.

ها ثمة الرّفوف العالية
قريبة وبعيدة في الآن ذاته،
سريّة ومرئيّة مثل النجوم.
ها ثمة الحدائق والمعابد.

سلالة الغاوتشو

من كان سيقولُ لهم إنَّ أسلافهم قد جاؤوا عبر بحر،
من كان سيقولُ لهم ما هو البحر ومياهه .
خلاسيون من دم الرُّجل الأبيض، لهم فيه القليل،
وخلاسيون من دم الرُّجل الأحمر، لكنهم كانوا أعداءه .
كثيرون لن يكونوا سمعوا بكلمة غاوتشو،
أو قد يكونوا قد سمعوا بها كشتيمة .
تعلموا مسالك النجوم وعادات الهواء
والطير، نبوءات غيوم الجنوب والقمر في حصار .
كانوا رُعاة المزرعة الجسورة، صاريون فوق خيول
الصحراء التي كانوا قد روضوها في ذلك الصباح، واهقين،
ومُقتني آثار، ورُعاة قطعان، ووُلاة العمّال والمزارعين، ورجالاً
من فرق البوليس،
أحياناً محتالين، أحدهم، المستمع إليه، كان مغنيّ الأشعار
الجوّال .
كان يغني بلا عجلٍ، لأن انبلاج أضواء الفجر يتأخر،
فلم يكن يرفعُ صوته .

وكان ثمة عمالٌ مثل كلاب متنمرة. ذراعه الأيسرُ مستترًا في
جلباب البونشو،

والأيمن كان يغمرُ السكين في بطن الحيوان،
مقدوفًا وعاليًا.

الحوار المتمهل، شراب الماتي وأوراق اللعب كانت أشكالَ
زمنه.

خلافًا لفلاحين آخرين، كانوا قادرين على السخرية.
كانوا صابرين وظاهرين وفقراء. وكانت الضيافة عيدهم.
وفي ليلة ما أفقدَهُم الكحول المُعربدُ أيامَ السبت.
كانوا يموتون ويقتلون ببراءة.

لم يكونوا أنصارًا، خارج خرافات مُعتمة ما،
لكن الحياة القاسية علّمتهم أن يعبدوا الشجاعة.
رجالٌ من المدينة صنعوا لهم لهجةً وشعرًا
من استعارات خشنة.

بالتأكيد لم يكونوا مُغامرين، لكنّ وجهة خيلهم كانت تقودهم
بعيدًا جدًّا

وأبعد أكثر قد قادتهم الحروب.

لم يهبوا التاريخ ولا زعيمًا. كانوا رجال
لويث، وراميريث، وأرتيغاس، وكيروغا، ويوستوس،
وييدرو كامبل، وروساس، وأوركيثا، ولذاك ريكاردو
لويث خوردان، الذي تسبّب في قتل أوركيثا، وبينالوثا وسارايبا.

لم يموتوا من أجل ذلك الشيء المُجرّد، الوطن، بل من أجل
نصيرٍ عَرَضِيٍّ أو من أجل غضبٍ أو من أجل نداءٍ خطيرٍ ما.
نثارُ رمادهم يضيغُ في الأقاليم النائية من القارّة،
في جمهوريّات لم يعرفوا شيئاً عن تاريخها، في ساحات
معارك، صارت اليوم شهيرةً.
هيلاريو أسكاسوبي^(١) قد رآهم وهم يُغنّون ويُقاتلون.
عاشوا مصائرهم مثلما في الحُلُم دون أن يعرفوا مَنْ
كانوا أو ما كانوا عليه.
لربّما يحدثُ لنا نحن أيضاً الشيء ذاته.

(١) هيلاريو أسكاسوبي (بيلفيل، ١٨٠٧ - بوينوس أيريس، ١٨٧٥) شاعر
ودبلوماسي وسياسي أرجنتيني، عرف كاسم ضمن تيار أدب الغاوتشو.

أثيفيدو^(١)

حقولُ أجدادي التي لا تزال تحتفظ
الآن بأسمهم أثيفيدو،
حقولُ لامتناهية ليس في وسعي
إطلاقاً تخيلها. سنواتي تتأخر
وأنا لم أنظر بعدُ إلى هذه الفراسخ المُتعبة

(١) آل أثيفيدو: لبورخيس شجرة أنساب عميقة الجذور في أمريكا اللاتينية وخاصة في منطقة لا بلاتا، فأمه هي ليونور ريتا أثيفيدو سواريث دي بورجيس (بوينوس أيريس، ١٨٧٦ - بوينوس أيريس، ١٩٧٥) كانت والدة الكاتب الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس والفنانة التشكيلية نورا بورخيس. طوال حياتها، كانت تقوم بترجمة أعمال أدبية من اللغة الإنجليزية مثل «في الخليج» لكاثارين مانسفيلد، و«الكوميديا الإنسانية» لويليام سورايان و«معنى الفن» لهيربيرت ريد، وقد كانت مرتكزا أساسيا في حياة ومسار ابنها خورخي لويس بورخيس، وخاصة بعد إصابته بالعمى التام. ظلت متزوجة من المحامي والفيلسوف خورخي غيرمو بورخيس من عام ١٨٩٨ حتى وفاته في عام ١٩٣٨. وهي ابنة الأوروغويانية ليونور سواريث هايدو دي أثيفيدو (١٨٣٧-١٩١٨) وإيسيدورو أثيفيدو لابريدا (١٨٢٨-١٩٠٥). جدها لأمها، هو مانويل إيسيدورو سواريث، كان عقيدا قاتل في حروب الاستقلال وكان والدها إيسيدورو رجلاً عسكرياً قاتل خوان مانويل دي روساس. ومن بين أسلافها الأرستقراطيين يوجد الجنرال إيستانيسلاو سولير، وهي حفيدة ابنة أخته.

من التراب والوطن التي رأها أسلافي الموتي
من فوق صهوات خيولهم، تلك الطرق
المفتوحة ولحظات غروبها وأسحارها.
السهل كلّي الوجود. قد رأيتها
في يوا، في الجنوب، وفي أرض عبرانية،
في منبت الصفصاف ذاك في الجليل
الذي داسته أقدام المسيح البشرية.
أنا لم أفقدها. هي لي. أنا أملكها
في النسيان، وفي رغبة طارئة.

استحضار لجويس

مُتَناثرون في عواصم مُتفرّقة،
متوحّدون وكثيرون،
كنا نلعبُ لنكون آدم الأوّل
الذي سمّى الأشياء بأسمائها.
عبر مُنحدرات الليل الشاسعة
التي تُتاخُمُ الفجر،
كنا نبحثُ (ما زلتُ أتذكّر) عن كلمات
القمر والموت والصّباح
وعادات الإنسان الأخرى.
كنا تيار التصويرية، وتيار التكميبيّة،
الأديرة والطوائف
التي تُبجّلها الجامعات الساذجة.
اختلفنا عدم استعمال علامات الترقيم،
إغفال حروف البدء الكبيرة،
المقاطع الشعريّة في شكل حمامة
أمناء مكتبة الإسكندرية.

رماذُ عملُ أيادينا
وإيماننا نارٌ مُشتعلة .
بينما أنت ، أثناء ذلك ، تُصهرُ
في مُدن المنفى ،
في منفاك ذاك الذي كان ،
أداتك المضجرة والمختارة ،
سلاح فنك ،
قد نصبت متاهاتك المُتعبة ،
لامتناهية الصغر واللانهائية ،
الحقيرة بشكل مُثير للإعجاب ،
آهله بشكل كثيفٍ أكثر من التاريخ .
سوف نكونُ متنا دون أن نلمح
الوحشَ ذا الشكل الثنائيّ أو الوردية
الذين كانا مركزَ متاهتك ،
لكنّ للذاكرة تعويذاتها ،
أصداءها من فيرجيل ،
هكذا تستديمُ في شوارع الليل
أشكالَ جحيمك الرائع ،
العديد من الإيقاعات ومن استعاراتك ،
ذهب ظلك .
ماذا يهمُّ جُبُننا إن كان فوق الأرض

رَجُلٌ شَجَاعٌ وَحِيدٌ،
مَاذَا يَهُمُّ الْحُزْنَ إِذَا كَانَ فِي الزَّمَنِ
شَخْصٌ مَا قَالَ إِنَّهُ سَعِيدٌ،
مَاذَا يَهُمُّ جَيْلِي الضَّائِعِ،
تِلْكَ الْمَرْأَةُ الْمُبْهَمَةُ،
إِنْ كَانَتْ كُتُبُكَ تُبْرِرُهَا .
أَنَا الْآخَرُونَ . أَنَا كُلُّ أَوْلَادِكَ
الَّذِينَ أَنْقَذْتَهُمْ صِرَامَتُكَ الْعَنِيدَةَ .
أَنَا مَنْ لَا تَعْرِفُهُمْ وَمَنْ تُنْقِذُهُمْ .

إسرائيل، ١٩٦٩

كنت قد خشيتُ أن أترصدَ في إسرائيل
بعذوبة مُخاتلة
الحنينَ الذي قد راكمه شتاتُ
الأجيالِ مثل كنزٍ حزين
في مُدن الكفار وفي أحياء اليهود،
في مغارب الشمس عبر السهوب، وفي الأحلام،
نوستالجيا أولئك الذين اشتاقوا إليك،
أورشليم جنب مياه بابل .
أيّ شيء آخر قد كُنته يا إسرائيل، غير تلك النوستالجيا،
غير تلك الإرادة للخلاص،
ما بين الأشكال المُتقلّبة للزمن،
كتابك السحريّ القديم، طقوسك،
عُزلتك مع الربِّ؟
ليس هكذا، أقدمُ الدول
هي أيضًا أحدثها عمرًا .
أنتِ لم تغوِ الرّجالَ بالحدائق،

بالذهب وضجره
بل بالصرامة، أيتها الأرض الأخيرة.
إسرائيل قالت لهم دون كلام:
سوف تنسى من تكون.
سوف تنسى الآخر الذي تركته.
سوف تنسى من كنت في أراضٍ
وهبتك مساءً أيتها وصباحاتها
والتي لن تهبها أنت حينك.
سوف تنسى لغة أبويك وسوف تتعلم
لغة الفردوس.
سوف تكون إسرائيلياً، سوف تكون جندياً.
سوف تبني البلاد بمستنقعات، وسوف تُشيدُها بالصَّحارى.
سوف يعملُ معك أخوك الذي لم ترَ قط وجهه من قبل.
شيءٌ واحدٌ سوف نَعِدك به:
مكانك في المعركة.

نسختان من: الفارسُ والشيطانُ والموتُ^(١)
Ritter, Tod und Teufel

I

تحت الخوذة الخيالية يبدو الوجهُ
الصارم قاسياً مثل السيف القاسي
الذي ينتظر. وعبر الغاب المُقفر يركضُ
الفارسُ بسكينة وهو يمتطي صهوة حصانه.

خرقاء وخفية، حاصرته الشرذمة
البذيئة: شيطانُ ذو العينين
الحقيرتين، الزواحف المتاهية
والعجوزُ الأبيض ذو الساعة الرملية.

أيها الفارس الحديدي، مَنْ ينظرُ إليك
يعلمُ أنك لست مسكوناً بالأكذوبة

(١) لوحة فنية شهيرة للفنان الألماني ألبرتو دوريرو وهي من عمل حفر على نحاس.

ولا بالخوف الشاحب. مصيرك القاسي

أن تأمر وتشتّم. أنت شجاع
وبالتأكيد، أيها الألماني، لن تكون
غير جدير بالشیطان وبالموت.

II

ثمّة طريقان. طريق ذلك الرجل
من حديد وكبرياء، وهو يركض على صهوة
حصانه، ثابتاً في إيمانه عبر الغاب المريب
للعالم، ما بين السخريّات والرّقصة
الثابتة للشیطان وللموت،
والآخر، المختصر، طريقي. في أيّ ليل
متلاشٍ أو صُبحٍ قديم اكتشفت
عيناى الملحمة الرائعة،
الحلم المُستديم لدوريرو^(١)،
البطل وشرذمة ظلاله
التي تبحث عني وترصدني وتعثر عليّ؟

(١) ألبريخت دورر أو البيرتو دوريرو Albrecht Dürer (نورنبرغ، ١٤٧١ -
نورنبرغ، ١٥٢٨). رسّام ألماني عاش في نورنبرغ.

لي، وليس للفارس المُّبارز، أن يُستحيثَ العَجوزُ
الأبيض المكلَّل بتيجانٍ من أفاعٍ
مُتعرّجة. تقيسُ ساعةُ الرَّمَلِ
المتوالية زمني، وليس الآن الأبدِيّ.
سأكونُ أنا الرَّمادُ والظلمات.
أنا، الذي غادرتُ لاحقًا، سأكونُ قد وصلتُ
نهايتي الفانية، وأنتَ، الذي لستَ أنتَ،
فارس السيف المُستقيم
والغاب القاسي، سوف تُتابع
خطوك مادام الرِّجال باقين.
هادئًا ومتخيلاً وأبدِيًا.

بوينوس آيريس

ما الذي ستكونُ عليه بوينوس آيريس؟
هي ساحة مايو التي إليها عادَ الرجالُ مُتعبين وسُعداء
بعد أن حاربوا على امتداد القارّة.
هي المتاهة المُتنامية الأضواء التي نُشاهدُها من الطائرة
التي تحتها يوجدُ السطحُ والرصيفُ وآخرُ فناءٍ
والأشياء الساكنة.
هي جدارُ لاريكوليتا الذي عندهُ أُعدمَ أحدُ أسلافي
رمياً بالرصاص.
هي شجرةٌ عظيمةٌ في شارعِ خونين تمُدُّنا دون أن ندري
بالظلّ وبالنضارة.
هي شارعٌ طويلٌ من بيوتٍ واطئة يتيهُ ويغيّرُ شكلَ الريحِ
الغريبةِ.
هي مرفأُ الجنوب الذي منه كانت تُبحرُ سفينتا ساتورنو وكوسموس.
هي طريقُ كينتانا حيث كان والدي الذي صارَ أعمى.
قد بكى لأنه كان يرى النجومَ القديمة.
هي بابٌ مُرقمٌ قضيتُ خلفه في العتمة

عشرة أيام وعشرَ ليالٍ ثابتًا في مكاني، أيام وليال
هي في الذاكرة مُجرّد هُنيهة.

هي فارسُ المعدن الثقيل يبتُّ من الأعلى
سلسلته الدورية من ظلال.

وهي الفارسُ نفسه تحت المطر.

هي زاويةٌ من شارع بيرو حيثُ قال لنا خوليو سيزار دابوفي
إنَّ أبشعَ خطيئة يُمكن أن يرتكبها إنسانٌ

هي أن يُنجبَ طفلًا محكومًا عليه بهذه الحياة المُروعة.

هي إلفيرا دي ألفيار^(١) تكتبُ في دفاترٍ شديدة العناية

روايةً طويلة كانت في البداية مَصوغة من كلمات

وفي الختام صارت سماتٍ غامضةً لا تُفكّ شيفرتها.

هي يدُ نورا^(٢)، ترسُمُ وجهَ صديقة

(١) إلفيرا دي ألفيار هي ملهمة بورخيس. هي بياتريس فيتيربو في «الألف»
وتويديلينا فيار في «الظاهر» وأيضًا ديليا إلينا سان ماركو وبياتريث فروست في
«مجلس الشعب». كانت إلفيرا أصغر من بورخيس بثماني سنوات. توفيت
سنة ١٩٥٩، عن عمر يناهز الثانية والخمسين، وبالتحديد في الوقت الذي
كان فيه بورخيس يكتب «الألف»، حيث يقول بورخيس إن «كل آل فيتيربو
كانوا نصف مجانين»، كانت بنت ديفغو دي ألفيار، رب الأسرة لإحدى أغنى
عائلات الأرسقراطية الأرجنتينية وأمها كانت هي كوتيتا كامباسيريس.

(٢) نورا بورخيس، Norah Borges هو الاسم المستعار لليونور فاني بورخيس
(بوينوس آيريس، ١٩٠١-بوينوس آيريس ١٩٩٨)، كانت فنانة تشكيلية
وناقدة فنية أرجنتينية تنتمي إلى جماعة فلوريدا، وهي أخت الكاتب والشاعر
الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس.

هو أيضًا وجهٌ ملاك .

هي سيفٌ قدّم خدماته في الحروب وهو سلاحٌ أقلّ
من ذاكرة .

هي عملةٌ باهتة أو آلة تصوير على الألواح المعدنية مُتهالكة، أشياء
من صميم الزمن .

هي اليومُ الذي فيه نهجرُ امرأةً واليومُ الذي فيه تتركُنا
امرأةٌ :

هي ذلك القوسُ في شازع بوليفار الذي منه تُشاهدُ المكتبة .
هي غرفةُ المكتبة التي فيها اكتُشفتُ حوالي عام ١٩٥٧ ،
لغةُ السكسونيين القُساة ، لغةُ الشجاعة
ولغةُ الحُزن .

هي الغرفةُ المُجاورةُ التي فيها مات بول غروساك^(١) .
هي آخرُ مرآةٍ كرّرتُ وَجْهَ أبي .

هي وَجْهُ المسيح الذي رأيتهُ في التراب مُحطّمًا بضربات مطرقة ،
في صحنِ كنيسة لايبيداد .

هي لوغونيس^(٢) ، ينظرُ من نافذة القطار إلى الأشكال

(١) بول فرانسوا غروساك Paul-François Groussac (تولوز، ١٨٤٨ -
بونوس أيريس، ١٩٢٩) كاتب ومؤرخ وصحفي وناقد أدبي وأمين مكتبة
أرجنتيني من أصل فرنسي .

(٢) ليوبولدو لوغونيس (بيا ماريا ديل ريو سيكو (قرطبة) ١٨٧٤-تيفري ١٩٣٨)
شاعر أرجنتيني ينتمي إلى التيار التحديثي في أمريكا اللاتينية خلال بدايات
القرن العشرين .

التي تضيع ويفكر أن الواجب لم يعد يُثقل كاهله
وأن يُترجمها إلى كلمات إلى الأبد، لأن هذه الرحلة
ستكون رحلته الأخيرة.

هي، في الليل المهجور، زاوية ما من أوني
فيها كان يستمر مايدونيو فرنانديث^(١) الذي مات، ولا يزال يُفسر
لي
أن الموت مُغالطة.

لا أريد أن أستمر، فهذه الأشياء فردية جدًا،
هي ما هي عليه بشكل كبير، لكي تكون أيضًا بوينوس أيريس.
بوينوس أيريس هي الشارع الآخر، الذي لم أطأه قط، هي المركز
السري لتكتلات من البيوت، الباحات الأخيرة، هي ما تخفيه
الواجهات، هي عدوي، إذا كان لديّ عدو، هي الشخص
الذي يكره أشعاري (أنا أيضًا أكرهها)،
هي المكتبة المتواضعة التي ربّما دخلناها والتي
قد نسيناها، هي تلك الفترة من الميلونغا التي يتمّ تصفيرها ولا
نتعرفها

والتي تمسنا، هي ما ضاع وما سيكون،
هي القصي والغريب والجانبّي، الحي الذي ليس لك ولا هو لي،
ما نتجاهله ونرغب فيه.

(١) مايدونيو فرنانديث (بوينوس أيريس ١٨٧٤ - بوينوس أيريس ١٩٥٢) كاتب
وفيلسوف أرجنتيني.

شذرات من إنجيل مُنتحل

٣. بِئْسَ فقيرُ الروح، لأنّه تحت الأرض
سيكون ما هو عليه الآن فوق الأرض.
٤. بس من يبكي، لأنّ عادة البكاء التعيسة
تمكّنت منه.
٥. طوبى للذين يعلمون أنّ المُعاناة ليست
تاج مجد.
٦. لا يكفي أن تكون الأخير كي تصير مرّة الأوّل.
٧. طوبى لمن لا يلحّ على أن يكون الحقّ معه، لأنّ لا أحد
يملكه أو لأنّ الجميع يملكه.
٨. طوبى للذي يغفرُ للآخرين وللذي يغفرُ
لذاته.
٩. طوبى للوديعين، لأنّهم لا يخفضون الجناح
للخلاف.
١٠. طوبى لمن ليس لديهم جوعٌ إلى العدالة،
لأنّهم يعلمون أنّ حظنا، سواء أكان معاكسًا أم رحيماً،

- من عمل الصدفة، وهو أمرٌ مُستغلقٌ .
- ١١ . طوبى للمُشفقين، لأنَّ سعادتهم
في مُمارَسة الشَّفقة وليس رجاءً في نيل
الجزاء .
- ١٢ . طوبى لذوي القلوب الطاهرة، لأنهم يرون
الرَّبَّ .
- ١٣ . طوبى لمن يُعانون الاضطهاد لأجل قضية
العدالة، لأنَّ العدالة هي ما يهتمهم أكثر من مصيرهم
الإنساني .
- ١٤ . لا أحد ملُح الأرض، ولا أحد في لحظة ما
من حياته، لم يكن كذلك .
- ١٥ . فليُشتعل ضوءُ مصباح، حتى وإن لم
يره إنسان . فالإله يراه .
- ١٦ . ليس ثمة وصية لا يُمكن خرقها،
حتى تلك التي أنطقُ بها والتي بها نطقُ الأنبياء .
- ١٧ . الذي يقتلُ في سبيل العدالة، أو في سبيل
ما يعتقدُ أنه عادلٌ، ليس مُذنبًا .
- ١٨ . أعمال البشر لا تستحقُّ لا النار ولا الجنة .
- ١٩ . لا تكره عدوك، لأنك إن فعلتَ، صرتَ بطريقة ما
عبده . كراهيتك لن تكون أبدًا أفضل من السَّلام فيك .

- ٢٠ . إذا أهانتك يدك اليمنى، فاغفر لها، فأنت جسّدك
وأنت روحك ومن الصّعب أو من المُستحيل تعيين الحدود
التي تفصلُ بينها . . .
- ٢٤ . لا تُبالغ في عبادة الحقيقة، فليس ثمة إنسانٌ
بعد نهاية النهار، لم يكذب وعن حقّ في مرّات عديدة.
- ٢٥ . لا تُقسم، لأنّ كلّ قسمٍ هو تأكيدٌ شديد.
- ٢٦ . قاومِ الشرّ لكن دون دهشة ودون غضب. مَنْ يصفعك
على الخدّ الأيمن، بإمكانك أن تقلب له الخدّ الآخر،
طالما لن تُحرّك الرّهبة.
- ٢٧ . أنا لا أتحدّث عن الانتقام أو المغفرة. النسيان هو
الانتقامُ الوحيد والغفران الوحيد.
- ٢٨ . أن تفعلَ الخيرَ مع عدوك يُمكن أن يكونَ فعلَ عدلٍ وهو
ليس شاقاً،
واجب ملائكيّ وليس إنسانياً.
- ٢٩ . أن تفعلَ الخيرَ مع عدوك هو أفضلُ طريقة لإرضاءِ غرورك.
- ٣٠ . لا تُكدّس الذهبَ فوق الأرض، لأنّ الذهب أبو الفراغ
والفراغ أبو الأحزان والسّام.
- ٣١ . فكّر أنّ الآخرين عادلون أو سيكونون عادلين، وإن لم
يكن، فالخطأ ليس خطأك.
- ٣٢ . الرّبُّ أكرمُ من البَشَرِ وسوف يخبّرهم
بمقياس آخر.

- ٣٣ . امنح المقدس للكلاب ، وألقِ لآلئِكَ للخنازير ، فما يهَمُّ هو العطاء .
- ٣٤ . إبحث من أجل لذة البحث لا من أجل لذة العثور عمّا تبحث عنه
- ٣٩ . البابُ هو الذي يختارُ وليس الإنسان .
- ٤٠ . لا تحكُم على الشجرة من خلال ثمارها أو على الرجل من خلال أعماله ، قد يكونان أسوأ أو أفضل .
- ٤١ . لا شيء يُبنى على الحجر ، كلُّ شيء يُبنى على الرمل ، لكنّ واجبنا أن نبني على الرمل كما لو كان حجراً
- ٤٧ . طوبى للفقير بلا مرارة وللغني بلا تشامخ .
- ٤٨ . طوبى للشجعان الذين يتقبّلون بالهمة ذاتها الهزيمة أو التصفيات .
- ٤٩ . طوبى للذين يحتفظون في الذاكرة بكلماتٍ لفيرجيل أو للمسيح ، لأنها تهبُّ الضوءً لأيامهم .
- ٥٠ . طوبى للمعشوقين وللعشاق وللذين يستطيعون الاستغناء عن العشق .
- ٥١ . طوبى للسعداء .

قارئ

فليتباه الآخرون بالصفحات التي كتبوها،
أما أنا فلي أن أفتخر بتلك التي قرأتها.
ما كان لي أن أكون عالمًا لغويًا،
لن أستقصي تصارييف الأسماء والصيغ والتحويلات
العسيرة للحروف
حرف de الذي يصير مشددًا في te،
معادلة ge مع ka،
لكن على امتداد سنوات عمري مارستُ
شغف اللغة.
لياليّ كانت طافحةً بشعر فيرجيل،
أن تكون قد عرفت اللاتينية ونسيتها
هو تملك، لأنّ النسيان
أحد أشكال الذاكرة، سردابها الملبس
الوجه السريّ الآخر للقطعة النقدية.
لما محث عيناى
تجليات الأشكال الزائلة الحبيبة،

الوجوه والصفحة،
غمرتُ نفسي في دراسة اللغة الحديدية
التي استعملها أسلافي للتغني
بالسيوف والخلوات،
والآن، وعبر سبعة قرون،
مُنذ ثولي الأخيرة^(١)،
يصلني صوتك يا سنوري ستورلسون.
الشاب، أمام الكتاب، يفرضُ على نفسه انضباطًا مُحدّدًا
ويقوم بذلك سعيًا وراء معرفة محدّدة،
خلال فترات عُمرِي، كُّلّ مشروع كان مُغامرة
تُتأخّم حدودَ الليل.
لن أنتهي من فكّ شيفرة اللغات القديمة للشمال،

(١) ثولي الأخيرة Ultima Thule اسم يشير إلى جزيرة Thule الأسطورية إنها تقع في أبعد مكان في أقصى شمال الأرض، ذكرت في الأدب اليوناني والروماني القديم وفي رسم الخرائط، ووصفت في آخر نقطة من العالم الشمالي عند حافة القارة المتجمدة. قيل إنها إحدى دول إسكندنافيا وفي إيسلندا، ويرى البعض أنها في إسكتلندا أو بريطانيا. وقد وضعت عدة فرضيات لتحديد موقعها، فبعضهم قال إنها جزر أوركني أو جزر شتلاند أو جزر ساريماء أو جزيرة سمولا النرويجية. ويقول الكثيرون إنها ربما لم توجد على الإطلاق. إلا أن كثيرين قد سافروا إلى الشمال بحثًا عنها. في الأدب الكلاسيكي والعصور الوسطى، كانت تسمى (ثولي البعيدة)، وهو معنى مجازي كان يطلق على أي مكان بعيد يقع خارج «حدود العالم المعروف». ثولي الأخيرة اسم يشير إلى جزيرة ثولي الأسطورية.

لن أغير يدي المتلهفتين في ذهب سيغورد^(١)،
المهمة التي أضطلعُ بها لا متناهية
يجبُ أن تُرافقني حتى النهاية،
وهي لا تقلُّ غموضًا عن الكون
وعن أن أكون، أنا المتعلّم.

(١) سيغورد Sigurd أو Siegfried هو بطل أسطوري من الميثولوجيا الجرمانية،
اشتهر بقتله للتين والاستحمام بدمه ليصير خالدًا.

مديح العتمة

الشيخوخة (هكذا يُسمّيها الآخرون)
قد تكونُ زمنَ نعيمنا .
مات الحيوانُ أو كاد يموت .
بقيَ الإنسانُ وروحه .
أعيشُ بين أشكال مُضيئة ومُلتبسة
التي بعدُ لئست الظلمة ،
بوينوس أيريس ،
التي كانت من قبل تتمزق في الضواحي
باتجاه السهل المُستديم ،
عادَت لتكون لا ريكوليطا والريتيرو ،
والشوارع الباهتة للأونثي
والبيوت القديمة المُتهالكة
التي ما زلنا نُسمّيها الجنوب .
كان دائماً ثمة أشياء كثيرة في حياتي ،
اقتلعَ ديموقريطس الأبديري عينه لكي يفكر .
لقد كان الزمنُ هو ديموقريطسي .

هذا الظليل متمهلٌ ولا يؤلم.

ينسكبُ عبرٌ منحدر لطيف

وهو يُشبه الخلود.

أصدقائي لا وجه لهم

والنساء هنّ ما كننّ عليه قبل سنين طويلة،

الزوايا يُمكن أن تكون أخرى،

ليس ثمة حروفٌ على صفحات الكتب.

كلّ هذا يجب أن يُصيّبني بالرّهبة

لكنه عذوبة وعودة.

من أجيال النصوص على وجه الأرض

قد أكونُ قرأتُ القليل فقط،

تلك التي أوصلُ قراءتها في الذاكرة،

أقرأ وأقومُ بالتحويل.

من الجنوب، ومن الشرق، ومن الغرب، ومن الشمال،

تتلاقى الطرقاتُ التي حملتني

إلى مركزي السريّ.

تلك الطرقات كانت صدىً وخطوات

نساءً ورجالاً وآلاماً وانبعاثاً

وأياماً وليالي،

غفوات وأحلاماً،

كلّ هنيهة ضئيلة من الأمس

ومن أماسي العالم،
سيفُ الدنماركي القاطع وقمرُ الفارسي،
وأعمال الموتى،
والحبُّ المُشترك والكلمات،
وإيمرسون والثلج وأشياء كثيرة.
الآن يُمكنني أن أنساها. أصلُ إلى مركزي،
إلى علم جبريِّ ومفتاحي،
إلى مرآتي.
قريبًا سأعرفُ من أنا.

مقدمة

لا يُمكننا أن نتوقّع من رَجُل بلغ السبعين من العُمر إلا القليل، هذا ما ينصَحنا به داود، باستثناء الاستعمال المُتحمّك فيه، المعهود في بعض المهارات؛ تنويع بين تنويعات خفيفة وكثير من التكرارات المُضجرة. لكي أتجنّب أو حتى لكي أخفّف حدّة تلك الرتابة، اخترتُ أن أقبّل، ربّما بضيافة متهورّة، التيمات المُتنوّعة التي عرضت لي خلال عادتي الرتيبة في الكتابة. المثل يعقب المسارة، والشعر الحرّ أو الأبيض يعقب السوناتة. في بدء الأزمنة، الطّبع جدًّا للتأمّل المُبهم ولنظريّات نشأة الكون غير القابلة للإدراك، ما كان مُمكنًا أن تكون هناك أشياء شعريّة أو نثريّة. كلّ شيء كان سيصيرُ سحرًا نوعًا ما. لم يكن ليصيرُ نورًا إله الرّعد. بل سيكونُ الرعدَ والإله.

بالنسبة إلى شاعر حقيقيّ، كلّ لحظة في الحياة، وكلّ حدث يجبُ أن يكون شعريًّا ما دام هو كذلك في العمق. على حدّ علمي، لا أحد حتّى اليوم بلغ تلك اليقظة العالية. لقد اقتربَ منها براوننغ وبلبيك أكثر من أيّ شخصٍ آخر. ويتمان، اقترحها على نفسه، لكنّ تعداداته القصديّة لا تتجاوزُ دائمةً القوائم التصنيفيّة غير الحسّاسة.

لا أومنُ بالمدارس الأدبيّة، التي اعتبرُها محاكاةً صوريّةً تعلّميّةً زائفةً لتبسيط ما تقومُ بتعليمه، لكن إذا أجبروني على إعلان المصدر

الذي أتت منه أشعاري، فسوف أقولُ من الحداثة، تلك الحرّية العظيمة التي جدّدت العديدَ من الآداب التي كانت أدواتها المُشتركة هي اللغة القشتالية والتي بلغت بلا شكّ حتى إسبانيا. لقد تحدّثتُ أكثر من مرّة مع ليوبولدو لوغونيس، وهو رجل متوحّد ومُتعالٍ، هذا الأخير اعتاد أن يحوّل مسار الحوار للتحديث عن: «صديقي روبين داريو». (أعتقد، بالنسبة للباقي، أنّه يجب علينا دعم تجانس لغتنا، وليس بعض لهجاتها الإقليمية).

سيلاحظ قارئني في بعض الصفحات الانشغال بالفلسفي. لقد كان انشغالا لي منذ أن كنتُ طفلاً، عندما كشف لي والدي، بمُساعدة رقعة الشطرنج (التي كانت، ما زلت أتذكّرها، من خشب الأرز) سباق أشيل والسلحفاة.

أمّا بخصوص المؤثرات التي سيتمّ الانتباه إليها، بدرجة أولى، في هذا المجلد...، فثمّة الكتاب الذين أفضلهم -لقد سميت بالفعل روبرت براوننج-، ثمّ، تلك الكُتب التي قرأتها وأكرّرها، ثمّ تلك التي لم أقرأها قطّ من قبل ولكنها في داخلي. لغة هي تقليد، طريقة للإحساس بالواقع، وليس مدوّنة اعتباطية من الرموز.

خ. ل. ب.

بوينوس آيريس، ١٩٧٢.

تيمورلنك^(١) (١٤٠٥-١٣٣٦)

مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ : سَجَانُونَ
وَسُجُونٌ وَسُيُوفٌ تَنْقُذُ
الْأَوَامِرَ الَّتِي لَا أَكْرَرُهَا . كَلِمَتِي
الدُّنْيَا مِنْ حَدِيدٍ . وَحَتَّى الْقَلْبِ
السَّرِيِّ لِلنَّاسِ الَّذِينَ لَمْ يَسْمَعُوا
أَبَدًا اسْمِي فِي تُخُومِهِمُ النَّائِيَةِ
أَدَاةٌ طَيِّعَةٌ تَحْتَ رَحْمَتِي .
أَنَا الَّذِي كُنْتُ كَبِيرَ رُعَاةِ السُّهُولِ ،
رَفَعْتُ رَايَاتِي فِي بَرَسِيْبُولِيسَ
وَرَوَيْتُ عَطَشَ خُيُولِي
فِي مِيَاهِ نَهْرِ الْغَانِجِ وَأَمُودْرِيَا
لَمَّا وُلِدَتْ سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ

(١) تيمور أو تيمورلنك (١٣٣٦، كيش، جاغاطاي أوزبكستان-١٤٠٥ فاراب، سيحون كازاخستان) قائد أوزبكي من القرن الرابع عشر ومؤسس السلالة التيمورية (١٣٧٠-١٤٠٥) في وسط آسيا وأول حكام العائلة التيمورية التي استمرت في الحكم حتى عام ١٥٠٦ م.

سَيْفٌ بِعَلَامَاتِ طَلَّاسِمٍ مُلْغِزَةٍ،
كُنْتُ وَسَاكُونَ دَائِمًا ذَلِكَ السَّيْفِ .
هَزَمْتُ الْإِغْرِيْقِيَّ وَالْمِصْرِيَّ،
وَحَرَّبْتُ الْفِرَاسِخَ الَّتِي لَا تَعْرِفُ الْكَلَّلَ
مِنْ رُوسِيَا بَرَجَالِي مِنَ التَّتَارِ الْقُسَاةِ،
شَيَّدْتُ أَهْرَامَاتٍ مِنَ الْجِمَاجِمِ،
وَشَدَّدْتُ إِلَى عَرَبِيَّتِي أَرْبَعَةَ مَلُوكٍ
لَمْ يَقْبَلُوا الْخُضُوعَ لَصَوْلَجَانِي،
فِي حَلْبِ أَلْقِيْثٍ إِلَى أَلْسِنَةِ اللَّهَبِ
الْقِرَآنِ، وَهُوَ كِتَابُ الْكُتُبِ،
السَّابِقِ عَلَى الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي .
أَنَا، تِيْمُورْلَنُكَ الْأَحْمَرُ، فِي حَضْنِي
كَانَتْ زِينُوقِرَاطُ^(١) مِصْرَ الْبِيضَاءِ،
عَفِيْفَةً مِثْلَ ثُلُوجِ الْقِمَمِ .
أَذْكُرُ الْقَوَافِلَ الْمُثْقَلَةَ
وَسُحْبَ الْعُبَارِ فِي الصَّحْرَاءِ،
لَكِنْ أَيْضًا مَدِينَةَ مِنْ دُخَانِ
وَمِنْ قَنَادِيلِ الزَّيْتِ فِي الْخَمَّارَاتِ .
أَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ وَقَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

(١) ابنة ملك مصر وحاكمها خلال حملة تيمورلنك على مصر التي حاول هذا الأخير نيل ودها وتزوجها .

كتاب مشؤوم لم يكتب بعد كشف لي
أنني ساموث كما يموت الآخرون
وأنتي من احتضاري الشاحب،
سامر الرماة من جنودي بإطلاق سهامهم
من حديد ضد السماء المعاكسة
وأن يلقوا السماء بأعلام الأسود
حتى لا يبقى هنالك رجل لا يعرف
أن الآلهة قد ماتت. فانا الآلهة.
فليتنجى الآخرون إلى أحكام المنجمين،
إلى قياسات الفرجار والإسطرلاب،
لمعرفة من يكونون. أنا النجوم.
أتساءل في الأسفار الملتبسة
لماذا لا أخرج أبداً من هذه الغرفة،
لماذا لا أتلفظ في تكريم
الشرق الصاحب. أحلم أحياناً
بالعبيد وبالْمُنْدَسِّين الذين يُدْتَسُّون
تيمورلنك بأيادٍ طائشة
ويلتمسون منه أن ينام وألا يكف
كل ليلة عن تناول الحبوب
السحرية للسلام والضمّت.
أبحث عن سيني المعقوف ولا أعثر عليه.

أبحثُ عن وَجْهِي فِي الْمِرآةِ وَأَجِدُ وَجْهَهَا آخِرًا .
لِذَلِكَ كَسَرْتُهُ فَعَاقَبُونِي .

لِمَاذَا لَا أَحْضِرُ إِنفَاذَ الإِعدَامَاتِ ؟
لِمَاذَا لَا أَرَى الفؤوسَ والرؤوسَ ؟
تلك الأشياء التي توجِّج قلقي ، لكن لا شيء
يُمكن أن يحدث إذا اعترضَ تيمورلنك
وربما هو يرغبُ فيها ولا يدري ذلك .
فأنا تيمورلنك . أنا أحكمُ الغرب
والشرقَ الذهبيَّ ومع ذلك ...

الماضي

كلّ شيء كان سهلاً ، يبدو لنا الآن ،
في الأمس التشكيليّ اللا رجعة فيه :
سُقراط الذي ، وقد استنفد نبتة الشوكران ،
يعبرُ فوق الرّوح وطريقها
بينما الموتُ الأزرق يمضي صاعدًا
من الأقدام المتجمّدة ، والسيف
الذي ما من سبيل لتهدئته يُدوّي في الميزان .
روما التي تفرضُ الإيقاعَ السداسيّ المقاطع المتعدّد
على الرّخام العنيد لتلك اللغة
التي نستعملها اليوم ، مُمزّقة .
قراصنة هينغيست الذين يعبرون
مُجدّفين بحرَ الشمالِ المجازف
بالأيادي القويّة والشجاعة
أسسوا مملكةً ستصيرُ الإمبراطوريّة ،
الملك السكسوني الذي يعرضُ على الملك النرويجيّ
الأقدامَ السبعة للأرض وينقذ

قبل أن تغرب الشمسُ الوعدَ
بمعركة للرجال . فرسان
الصحراء الذين ينتشرون في الشرق
ويهدّدون قبابَ روسيا .
فارسي الذي يحكي الليلة الأولى
من ألف ليلة وليلة وهو لا يعلمُ
أنّه يستهلّ كتابًا لن تسلمه
القرونُ الطويلة للأجيال اللاحقة
إلى النسيان الصامت ،
سنوري الذي يُنقذ في تيهه ثولي ،
في أضواء غسوق متمهّلة
أو في الليل المُلائم للذاكرة ،
آدابُ وآلهة جرمانيا ،
شوبنهاور الشاب ، الذي يكتشفُ
الخرائط العامة للكون ،
ويتمان ، الذي في قسمٍ للتحريير في بروكلين ،
بين رائحة الحبر والتبغ
يأخذُ ، دون أن يُخبر أحدًا ، القرارَ
اللامتناهي أن يكون كلَّ الرجال
وأن يكتبَ كتابًا يكونُ كلَّ الكتب ؛

أريدوندو، الذي قتل إيديارتي بوردا^(١)
في صباح مونتيفيديو
قبل أن يسلم نفسه للعدالة مُعلنًا
أنه تصرف بشكل مُنفرد دون شركاء مُتواطئين،
الجُنديّ الذي مات في نورماندي،
والجُنديّ الذي مات في الجليل.

تلك الأشياء كان مُمكنًا ألا تكون.
تكاد لا تكونُ قد حدثت. نتخيّلها
في أمس حتميّ قدريّ.

ليس ثمة زمنٌ آخِرٌ غير الآن، هذا الطرف
من سوف يكون ومن كان، مُنذ تلك الهُنية
التي تسقط فيها القطرةُ في الساعة المائيّة.
الأمسُ الوهميّ مكانٌ محاصرٌ
لشخصيّات ثابتة من الشمع

(١) خوان إيديارتي بوردا Juan Idiarte Borda رئيس جمهورية أوروغواي السابع عشر. (مونتيفيديو ١٨٤٤ - مونتيفيديو ١٨٩٧) وهو أول وآخر رئيس للأوروغواي يتم اغتياله في تاريخ البلاد، وذلك في ٢٥ أغسطس، ١٨٩٧ على يد رجل اسمه أفيلينو ريدوندو Avelino Arredondo، الذي كان مؤيدًا قويًا لفصيل سياسي منافس لحكومة حزب كولورادو الحاكم برئاسة خوان إيديارتي بوردا، وكانت قد جرت محاولة واضحة لاغتيال الرئيس إيديارتي في أبريل ١٨٩٧.

أو من ذكريات أدبيّة
سوف يمضي الزمنُ مبدّدًا إيّاها في مراياه.
إريك الأحمر^(١)، كارل الثاني عشر، برينو^(٢)
وذلك المساء غير القابل للاستيعاب الذي كان لك
كل ذلك في أبعديته وليس في الذاكرة.

(١) إريك الأحمر (حوالي ٩٤٠-١٠١٠م). مسكتشف إسكندينايفيا، من عائلة نرويجية استعمر غرينلاند، كان اسمه إريك ثروفلاسون، ولكنه سُمّي بإريك الأحمر نسبة إلى شعره الأحمر.
(٢) قلعة Breno برينو حصن على تل مأهول منذ عصور ما قبل التاريخ، بإقليم لومبارديا بإيطاليا، حصن استراتيجي للسيطرة على وادي كامونيكاء..

قصائد تانكا^(١)

١

عاليًا في القمّة
الحديقة كلّها قمرٌ
القمر الذهبيّ .
رائعٌ ملمسُ
فَمك في الظلمة .

٢

صوتُ الطائر
الذي يُخفيه الظليل
صمّت .
تمشين في حديقتك .
شيءٌ ما ، أعرفُ ذلك ، تفتقدينه .

(١) هو نمط من القصائد اليابانية التي تعود إلى تقاليد الكتابة الشعرية الكلاسيكية في هذه البلاد منذ أربعة عشر قرنًا، وتتكون من ٥ أسطر شعرية تتشكل من ٧-٧-٥-٧-٥ مقاطع تباعا في كل سطر شعري .

٣

الكأسُ الغريبة
والسيف الذي كان سيفاً
في اليد الأخرى
وقمرُ الشارع
قل لي، أليست تكفي؟

٤

تحت القمر
النمرُ الذهبيُّ وظلُّ
يتأمل مَخالبه .
لا يعلم أنها عند الفجر
قد مزقت رَجُلًا .

٥

حزينٌ هو المطرُ
الذي يتساقط على الرّخام،
حزينٌ أن تكون الأرض .
حزينٌ ألا تكون أيام
الرجل والحلم والفجر .

ألا أكون قد سقطت من الأرض

في ساحة معركة
مثل آخرين من سُلّاتي.

أن أكون في الليل العبثي

من يُراجع إيقاع الأبيات الشعرية

من ينادي ربة للعبد

من ينادي ربة للعبد

من ينادي ربة للعبد

من ينادي ربة للعبد

من ينادي ربة للعبد

من ينادي ربة للعبد

من ينادي ربة للعبد

من ينادي ربة للعبد

من ينادي ربة للعبد

من ينادي ربة للعبد

من ينادي ربة للعبد

هذا البيت من قصيدته التي مطلعها
يا ربنا يا ربنا يا ربنا
يا ربنا يا ربنا يا ربنا
يا ربنا يا ربنا يا ربنا
يا ربنا يا ربنا يا ربنا

سوسانا بومبال^(١)

شامخة في المساء، مُترَفعة ومُمجّدة
تعبُر حديقة العفّة وتوجد في الضوء
الدقيق للّحظة الخالصة اللارجعة فيها
التي تهبُّنا هذه الحديقة والصورة السامقة
والصامتة. أراها هنا والآن.
لكنتي أيضًا أراها في الغسق
القديم لأور الكلدانيين
أو نازلة عبر الأدرج البطيئة
لمعبدٍ هو عُبار لا مُتناوٍ
من الكوكب وكان مُجرّد حجر وكبرياء،
أو تفكّ شيفرة الأبجدية السحرية
لنجوم في أبعاد زاوية منظرٍ أخرى

(١) سوسانا بومبال (بوينوس أيريس ١٩٠٢ - بوينوس أيريس ١٩٩٠)، تقدم نفسها لنا على أنها «مواطنة من العالم»، ومرتبطة حتماً بشخصية الكاتب الأرجنتيني بورخيس، الذي كان صديقها ومعلمها الأدبي، وخلدها في أبيات شعرية لا تُنسى.

أو تشمّ وردةً في إنجلترا .
هي حيث الموسيقى، في الأزرق
الخفيف، في البحر الشعريّ السداسيّ للإغريقيّ،
في خلواتنا التي تبحثُ عنها،
في مرآة ماء النافورة،
في مرمر الزمن، في سيف،
في هدوء سُرفة
تنظرُ نحو مغارب الشمس ونحو حدائق .

وخلف الخرافات والأقنعة
ثمة الروح التي تتوحد مع ذاتها .

بوينوس أيريس، ٣ نوفمبر ١٩٧٠

إلى جون كيتس^(١)
(١٧٩٥-١٨٢١)

مُنذ البداية وحتى الموت شاباً
كان الجمال الرهيب يُطارِدك
مثلما يُطارِدُ الآخرين الحظُّ المناسب
أو المُعاكس. كنتُ أنتظرُك عند انبلاج فجور
لندن، على الصّفحات العرضيّة
من قاموس الأساطير،
في عطايا اليوم المُشتركة،
في وَجهِ، صَوْتِ، وفي الشفاه
الفانية لفاني براون. يا كيتس
المُتتابع المفتون الذي يُعميه الزمن،
سوف يكون العنديلِب المُتعالِي

(١) جون كيتس John Keats (لندن ١٧٩٥ - روما ١٨٢١) شاعر إنكليزي أصبح واحداً من شعراء تيار الحركة الرومانسية الإنكليزية المهمين في مطلع القرن التاسع عشر.

On his blindness

غيرُ جديرُ بالنجوم وبالطائر
الذي يمزجُ الزُّرقةَ الغامقةَ، السُّرِّيَّةَ الآنَ،
لتلك الأسطر التي هي الأبجدية
التي ينظمها آخرون وللرخام المهبب
الذي تضيقُ عيناى المُتهاكتان
في ظليلها أسكفته، للورود
اللامرئية وللحشود
الصامته من ذهب ومن أحمر
أنا، لكني لستُ منتمياً إلى ألف ليلة وليلة
تلك التي تفتحُ البحارَ والأسحارَ في عمتي
ولست من والت ويطمان، ذاك آدم الذي يهبُ الأسماء
للكائنات التي توجد تحت القمر
ولست من هبات النسيان البيضاء
ولا من الحُب الذي أنتظرُه ولا أتمسه.

البحث

بعد تبدد ثلاثة أجيال
أعودُ إلى حقول آل أثيفيدو،
الذين كانوا أسلافي . في غُموضٍ
بحثُ عنهم في هذا البيت القديم
الأبيض المُستطيل الشكل ، في نضارة
بهويّة المعمّدين ، في الظلال
المُتنامية التي تعكسها الأعمدة ،
في صرخة الطائر الخالدة ،
في المطر الذي يغمرُ السطح ،
في غسق المَرايا ،
في انعكاس ، صدى ، كان لهم
وهو الآن لي ، دون أن أعلمَ بذلك .
نظرتُ إلى السياج الحديديّ
الذي أوقفَ رماح الصحراء
إلى النخلة التي شطرتها صاعقةُ برق ،

إلى الثيران السوداء من أبردين، إلى المساء
إلى أشجار الفلوة التي لم يروها قط.
هنا كان السيف والخطر،
استباحات الدّم القاسية، الحركات الوطنية؛
حازمون على متون خيولهم، حكموا هنا
السهل اللامتناهي البدايات والنهايات
وأصحاب المزارع في الفراسخ المديدة.
بطرس باسكوال^(١)، ميخائيل، يهوذا تداوس...^(٢)
من سيُخبرني إن لم أكن بشكلٍ غامضٍ
تحت ذلك السقف لليلةٍ واحدة
أبعد من الأعوام ومن الغبار،
وأبعد من بلّور الذاكرة،
لم نجتمع ولم يشتبه الأمرُ علينا،
أنا في الحُلم، بينما هم في الموت.

(١) بطرس بسكوال (بلنسية، ١٢٢٧ - غرناطة، ١٢٩٩) هو لاهوتي وقديس إسباني كان كاهنا كاثوليكيًا معاديا للإسلام في الفترة المتأخرة لدولة المسلمين في الأندلس.

(٢) يهوذا تداوس Thaddaeus هو واحد من رسل المسيح الاثني عشر ويُسمى أيضا يهوذا تداوس ويهوذا لبّاس، وهو بالطبع ليس يهوذا الإسخريوطي التلميذ الذي خان يسوع وسلمه لليهود بحسب الرواية الإنجيلية. والرسول تداوس كان شقيق الرسول يعقوب الصغير واسم والده يعقوب وأمه مريم.

المفقود

أين ستكونُ حياتي، ما كان مُمكنًا
أن تكونه ولم تُصر إليه، الحياة
المحفوظة أم حياة الرعب الحزين؟ ذلك الشيء الآخر
الذي كان مُمكنًا أن يكونَ السيفَ أو الدرع
لكنه لم يكن؟ أين يوجد السلف
الفارسيّ أو النرويجيّ المفقود؟
أين حظّ ألا أبقى أعمى؟
أين المرساة والبحر، أين نسيان
أن أكون من أنا؟ أين هو الليلُ
الخالص الذي كان يُسلمه المزارع الشديد
للنهار الأمي الشاقّ،
حسبما يريدُه الأدب؟
أفكر أيضًا في تلك الرفيقة
التي كانت تنتظرني وربّما لا تزالُ تنتظرني.

خ. م. (١)

في شارع ما ثمة بابٌ ما ثابتٌ
بجرسه ورقمه الدقيق
وبطعم فردوس مفقود،
في العشيات لا يكونُ مفتوحًا

(١) في قصيدة «المهدد» والتي ربما تشكل إحدى اللحظات القمة في شعر بورخيس، كتب يقول:

هو الحُبُّ. سوف أضطرُّ للتخفي أو الهرب
تكبرُ جدرانُ سجنه كما في حُلْمٍ فظيع. قد تغيّر القناع
الجميل، ولكن كما الحال دائمًا هو الوحيد. ما جدوى تعويداتي (...)
إلى أن يقول:

ثمة زاوية لا أجرؤُ على عبورها.
الجيوش الآن تُحاصرني، الجحافل.
(هذه الغرفة وهمية، هي لم ترها.)
اسم امرأة يشي بي.

هو الشعور نفسه الذي يبته بورخيس في سوناتته الثانية في القصيدة المعنونة بـ: «١٩٦٤» والإحساس بالتهديد والرغبة بل والاضطرار إلى إخفاء اسم الحبيب، إن هذه القصيدة التي تعنون بحرفين غامضين، (الحرفان الأولان من اسم الحبيبة) خ. م. (J. M.) سوف يصيران في طبعات أخرى من ديوان «ذهب النمر» ه. و. (H.O.) وهذا ما انتبه إليه الباحث ماوريسيو بينيا دافيدسون.

لخطوتي . وعند اكتمال النهار،
سوف ينتظرني صوتٌ متوقَّعٌ
مع تبدُّدِ كلِّ يومٍ
وفي سكون الليل العاشق .
هذه الأشياءُ لئست كذلك . حظي آخر:
الساعاتُ الشاردة، الذاكرةُ المُدنَّسة،
الإفراط في الأدب
وفي تُخوم المَوت الذي لا يَستهوي .
أرغبُ فقط في هذا الحجَر، وأسألُ فقط
عن التاريخين المُجردين وعن النسيان .

ديانة الطبيب ١٦٤٣^(١)

إحمني يا ربّي . (النداء
لا يعني أحدًا . هي مجرد عبارة
يحفرها فتورُ الرغبة من هذه الممارسة
التي أكتبها في مساء الرّهبة .)
إحمني منّي . قال ذلك
مونتین وبراون وإسباني أجهله؛
شيءٌ قد تبقى لديّ من كلّ ذلك الذهب
الذي التقطته عيناى المُعتمتان .
إحمني يا ربّ من الشهية
نافذة الصبر لأن أكون مرمرًا ونسيانًا .
إحمني من أن أكون ذاك الذي كتته حقًا ،
ذاك الذي كتته حقًا بشكل غير قابل للإصلاح .
ليس من السيف ولا من الرّمح الأحمر
بل إحمني من الأمل .

(١) «ديانة الطبيب» كتاب لتوماس براون (لندن ١٦٠٥-نورثش ١٦٨٢)، وتوماس براون Thomas Browne مؤلف وكاتب إنجليزي واسع المعرفة كتب في مجالات عدة بما في ذلك العلوم والطب والدين والتعاليم الباطنية الغربية .

مشى رُجلان على سطح القمر.
 آخرون في وقت لاحق. ما الذي تستطيعه الكلمة،
 ماذا يستطيع ما يحلم به الفنّ ويشغل به،
 أمام حظه الحقيقي وغير الحقيقي تقريباً؟
 مُتّشين من الرعب الإلهي ومن المُغامرة،
 وطيء أبناء ويطمان هؤلاء
 قفاز القمر الجرم السماوي
 اللائتتهك، والذي قبل آدم، كان يمرّ ويستديم.
 حبّ إنديميون^(١) في جبله،
 فرسٌ مجنّح، الكرة الغربية
 لويلز، والتي هي في ذاكرتي حقيقة،
 تمّ تأكيدها. هذه مفخرة الجميع.
 ليس ثمة رُجل على وجه الأرض

(١) إنديميون في الأساطير الإغريقية، هو مجرد راعٍ بسيط أو ملك إليس في روايات أخرى. واشتهر أساساً لكونه أحد عشاق سيلين، إلهة القمر.

اليوم ليس أشجع ولا أسعد. اليوم
المُغرق في القدم يندفع بالطاقة
لأجل الفضيلة الوحيدة لأوديسة
أولئك الأصدقاء السحريين. القمر،
الذي يبحثُ عنه الحُبُّ الدنيويُّ في السماء
بوجه حزين وحنين لا يرتوي
سيكونُ نصبه التذكاريُّ. قمرٌ أبديٌّ وواحد.

أشياء

المُجلد الساقط الذي يُخفيه
الآخرون في عمق الرفِّ
الذي تُغطيه الأيام والليالي
بِغبارِ بطيءٍ وصامتٍ، مرساةُ
سيّدونَ التي تَطغى عليها بحارُ
إنجلتِرا في هورتها العمياء اللّينة.
المِراةُ التي لا تُكرّرُ أحدًا
حين يبقى البيتُ وحيدًا،
مباردُ الأظافر التي نثرُها
على مدى الأزمنة وفضاءاتِ الأمكنة.
الهَبَاءُ اللاتفكّ شيفرتُهُ الذي كأنه شِكسييرُ.
التّعديلاتُ على الغيمةِ،
الوردةُ المُتمائلةُ الآنيةُ
التي منحتها الصّدفةُ مرّةً
للبلورِ الخفيِّ لمشكالِ الصبيانيِّ،

مَجَازِيْفُ أَرْغُو^(١) وَالْمَرْكَبُ الْأَوَّلُ،
 آثَارُ الْأَقْدَامِ عَلَى الرُّمَالِ الَّتِي تَمْحُوهَا
 مَوْجَةٌ غَافِيَةٌ وَحَتْمِيَّةٌ عَلَى الشَّاطِئِ،
 أَلْوَانُ تُورَنْزَر^(٢) حِينَ تَنْطَفِئُ
 الْأَضْوَاءُ فِي الْمَمَرِ الْمُسْتَقِيمِ،
 وَلَا تُرْجِعُ الْخُطْوَةَ أَيَّ صَدَى فِي الْهَزِيعِ مِنَ اللَّيْلِ.
 الْوَجْهَ الْمَعْكُوسُ لِخَرِيْطَةِ الْعَالَمِ الْمُطَوَّلَةِ،
 خَيْوُطُ الْعَنْكَبُوتِ الْوَاهِيَّةِ فِي الْهَرَمِ.
 الْحَجَرُ الْأَعْمَى وَالْيَدُ الْغَرِيْبَةُ.
 الْحُلْمُ الَّذِي رَأَيْتُهُ قَبْلَ الْفَجْرِ
 وَالَّذِي نَسِيْتُهُ حِينَ انْبَلَجَ ضَوْءُ النَّهَارِ.
 بَدَايَةُ مَلْحَمَةٍ فَيَنْسَبُورَ وَنَهَائِئُهَا
 الَّتِي غَدَتِ الْيَوْمَ بِضِعَّةِ آيَاتٍ مَعْدُودَةٍ
 مِنْ حَدِيدٍ لَمْ تُبَدِّدْهَا الْقُرُونُ.
 الْحُرُوفُ الْمَقْلُوبَةُ عَلَى أَعْقَابِهَا فِي وَرَقِ الْمِنْشَفَةِ،
 السُّلْحَفَاءُ فِي أَعْمَاقِ الْبِرْكَةِ.

(١) أرغو Argo في الأساطير الإغريقية هي السفينة التي أبحر فيها من يولكوس بحثاً عن جرة الذهب لجاسون ورفاقه بحارة سفينة الأرغو، تم إنشاء سفينة الأرغو من قبل أرغوس، ولذلك سميت باسمه.

(٢) جوزيف مالورد ويليام تورنر Joseph Mallord William Turner (كوفنت غاردن، لندن، ١٧٧٥ - تشيبن والك، تشلسي ١٨٥١) فنان رومانسي إنجليزي اشتهر برسوماته الزيتية للطبيعة وبماياته.

ما لا يُمكنُ أن يكونَ . القَرْنُ الآخِرُ
 للحِصانِ الأحاديِّ القَرْنِ . الكائنُ الذي هو ثلاثةٌ وهو واحدٌ .
 الأسطوانةُ المُثلثةُ ، الهَنِيهةُ
 اللَّاتُدْرِكُ والتي فيها يُصِيبُ سَهْمُ
 الأيْلِ الثَّابِتُ في الهواءِ هَدَفُهُ .
 الزَّهْرَةُ ما بَيْنَ صفحاتِ بِيكِر^(١) .
 البَنْدُولُ الذي أوقفهُ الزَّمَنُ .
 السَّيْفُ الذي غَرَزَهُ أودينُ في الشَّجرةِ .
 نصُّ الأوراقِ غيرِ المقطوعةِ .
 صَدَى حَوافِرِ حَمَلَةٍ
 حُومِنِ التي بِشكْلِ سَرْمَدِيٍّ ما
 لم تَنْتَهَ وَهِيَ جزءٌ مِنَ المَكيدةِ .
 طَيْفُ سَارْمِيستو على الأَرْضِ صِفَةٍ .
 الصَّوْتُ الذي سَمِعَهُ الرَّاعي في الجبلِ .
 الهيكلُ العَظْمِيُّ المُتكلِّسُ في الصَّحراءِ .
 الرِّصاصةُ التي أَرَدَتْ فَرانْسِيستو بُوْرخيس^(٢) قَتيلًا .

(١) غوستافو أدولفو بيكر Gustavo Adolfo B quer (إشبيلية ١٨٣٦ - مدريد

١٨٧٠) شاعر وكاتب رومانسي إسباني .

(٢) فرانسيستو إيسيدرو بورخيس لافينور (مونتيفيديو، أوروغواي، ١٨٣٥-لا

فيردي، نوفي دي خوليو، الأرجنتين، ١٨٧٤) جد خورخي لويس

بورخيس، كان رجلاً عسكرياً أرجنتينياً من أصل أوروغواياني، شارك في

المواجهات ضد السكان الأصليين مثلما في حرب باراجواي .

الوَجْهُ الْآخِرُ لِلسَّجَادِ. الْأَشْيَاءُ
التي لَا يَرَاهَا أَحَدٌ عَدَا إِلَهٍ بِيركلي. (١)

(١) جورج بيركلي George Berkeley (كيلكني ١٦٨٥ - أكسفورد ١٧٥٣)
اشتهر بلقب الأسقف بيركلي (أسقف كلوين)، فيلسوف إيرلندي طور نظرية
أطلق عليها «اللامادية» والتي وصفها آخرون فيما بعد بالمثالية الذاتية.

المُهَدَّد

هو الحُبِّ . سوف أضطرّ للتخفي أو الهرب
تكبرُ جدرانُ سجنه كما في حُلْمٍ فظيع . قد تُغيّرُ القناع
الجميل ، ولكن كما الحال دائماً هو الوحيد . ما جدوى
تعويذاتي :

مُمارسة الأدب ، سعة المعرفة المُلتبسة ، تعلّم الكلمات التي
يستعملُها

الشمال القاسي للتغني ببحاره وسُيوفه ، الصداقة الهادئة ، وأروقة
المكتبة ، الأشياء المُشتركة ، العادات ، الحبّ الفتيّ لأمي ، الظلّ
العسكريّ لموتاي ، الليلة اللازميّة ، طعم الحُلْمِ ؟

أن أكون معك أو لا أكون معك ذاك هو قياسُ زَمَني .

ها قد انكسرت الجرّة فوق النافورة ، ها يقفُ الرُّجُل على صوت
الطائر ،

ها قد أعتمت وجوه أولئك الذين ينظرون من النوافذ ، لكنّ الظلمة
لم تجلبُ

السلام .

هو ، أعلمُ ذلك ، الحبُّ والقلقُ والارتياحُ لسماع صوتك ،

الانتظار والذاكرة، ورهبة أن تحيا في المتعاقب.
هو الحبّ بأساطيره، بأشكال سحره الصغيرة اللا مُجدية.
ثمة زاوية لا أجرؤ على عبورها.
الجيوش الآن تُحاصرني، الجحافل.
(هذه الغرفة وهمية، هي لم ترها.)
اسم امرأة يَشي بي.
امرأة تُؤلمني في جميع أنحاء جسدي.

الغاوتشو

ابنُ تخم ما مِن تُخوم السَّهل
المفتوح، البدئيِّ، وشبه السريِّ،
كان يسحبُ أنشوطة الحبل الثابتة
التي تُمسك الثورَ ذا الرقبة الداكنة.

قاتلَ مع الهنديِّ الأحمر والقوطنيِّ،
وماتَ في شجارات لعبة الأوراق ولعبة الكعاب.
وهبَ حياته للوطن الذي كان يجهله،
وهكذا في الخسارات خسرَ كلَّ شيء.

اليوم هو غُبار الزمن والكوكب.
لم تتبقَّ أسماء، لكنَّ الاسمَ يستمرُّ.
كان كثيرين آخرين واليوم هو قطعةٌ
هادئةٌ تحرِّكُ الأدب.

كان المُحتالَ والرقيبَ واللعبة .
كان الذي عَبَّرَ سلسلة الجبال البطوليَّة .
كان جنديًّا مع أوركيثا^(١) أو مع ريفيرا^(٢) ،
الأمر سيان . كان هو من قتلَ لابريدا .

كان الربُّ يبقى بعيدًا عنه . آمَنَ
بالمُعتقد القديم بالسيف وبالبسالة ،
هو الذي لا يرضى بالابتهالات ولا بالأجور
من أجل هذا المُعتقد ماتوا وقتلوا .

في مصائر عُصبة الثوار
مات من أجل لون الرباط .
هو الذي لم يطلبَ أيَّ شيء ، ولا حتى
المجد الذي هو صخبٌ ورمادٌ .

-
- (١) خوستو خوسيه دي أوركيثا Justo José de Urquiza (أرويو أوركيثا ،
١٨٠١-بلاثيو سان خوسيه ١٨٧٠) هو سياسي ، وعسكري محترف من
الأرجنتين ولد في إنترى ريوس . ويحمل رتبة عسكرية جنرال ، شارك في
الحروب الأهلية الأرجنتينية ، كان زعيما للحزب الفيدرالي وحاكما لمقاطعة
إنترى ريوس عدة مرات وكان رئيسا للأرجنتين في الفترة الممتدة بين ١٨٥٤
-١٨٦٠ ، مات مقتولا بهجوم مسلح على قصره بسان خوسيه .
- (٢) يقصد هنا خوسيه فروكتوسو ريفيرا (دورازنو ، ١٧٨٤ - ميلو ، ١٨٥٤)
عسكري وسياسي من أوروغواي ، شارك في النضال من أجل الاستقلال ،
وكان أول رئيس دستوري للبلاد وهو أيضا مؤسس حزب كولورادو .

كان الرجل الرماديّ الذي يقبُعُ حالكًا في الظليل
المتوقّف للعنبر، يحلمُ ويزرع،
بينما في الشرق كان قد انبلجَ
ضوءُ الفجر المهجور.

لم يُقل أبدًا: أنا غاوتشو. كان حظه
ألا يتخيّل مصيرَ الآخرين.
ليس أقلّ جهلاً منّا،
ليس أقلّ عُزلة، قد ولجَ الموت.

أنت

رُجُلٌ واحد فقط وُلد، رُجُلٌ واحد فقط مات على وَجِه الأرض .
تأكيدٌ عكس ذلك مجردُ إحصائيات، هو إضافة مُستحيلة .
ليست أقلّ استحالة من إضافة رائحة المطر إلى الحُلم الذي حلمته
عشية تلك الليلة
ذلك الرُجُل هو عوليس، هايل، قايل، أول رُجُل قام بترتيب
الأبراج، الرُجُل الذي شيّد الهرم الأوّل، الرُجُل الذي كتب
سُداسيّات من كتاب التغيّرات، الحدّاد الذي نقشَ الأحرفَ
الرونية على سَيْف
هينغيست، الرامي آينار تامبرسكيلفر^(١)،
لويس دي ليون^(٢)، بائع الكتُب الذي أنجبَ

(١) آينار تامبرسكيلفر (٩٨٠-١٠٥٠) زعيم نرويجي للفايكينغ وأحد أمراء الملاحم المؤثرين في القرن الحادي عشر، قاد السادة الإقطاعيين المعارضين لحكم الملك أولاف الثاني المقدس.

(٢) فراي لويس دي ليون Fray Luis de León (بيلمونتي، ١٥٢٧ أ- مادريغال دي لاس ألتاس طوريس، ١٥٩١) عالم لاهوت أوغسطيني إسباني وشاعر وعالم فلك وإنساني وعالم دين من مدرسة سالامانكا.

صموئيل جونسون^(١)، بُستاني فولتير^(٢)، داروين في مقدم سفينة
البيغل،^(٣) يهودي في غرفة القتل، ومع تبدد الزمن، أنت وأنا.
مات رجل واحد فقط في إيون، في ميتوريوس، في هَسْتِينْغْس،
في أوسترلِيتز، في
طرف الغار، في غيتيسبيرغ.
مات رجل واحد فقط في المُستشفيات، على متن السُّفن، في
عُزلة قاسية، في
غرفة نوم العادة والحب.
نظر رجل واحد فقط إلى الفجر الشاسع.

-
- (١) صمويل جونسون Samuel Johnson (ليشفيلد، ١٧٠٩ - لندن ١٧٨٤)،
كاتب إنجليزي له مساهمات أدبية هامة في الأدب الإنجليزي، كشاعر
ومؤلف مسرحي، وكاتب مقالات، وفيلسوف أخلاقي، وناقد أدبي، وكاتب
سيرة ذاتية، ومحرر، ولفوي.
- (٢) فولتير Voltaire هو فرانسوا ماري أرووي François-Marie Arouet
(باريس ١٦٩٤ - باريس ١٧٧٨) كاتب وفيلسوف فرنسي عاش خلال عصر
التنوير.
- (٣) يتعلق الأمر برحلة داروين الدراسية البحرية التي استغرقت ما يقارب خمس
سنوات على متن سفينة البيغل، والتي أثمرت عدة ملاحظات علمية
وتجارب ومسح جيولوجي ودراسة للتاريخ الطبيعي للأنواع ورسم
السواحل. لقد احتفظ داروين بما جمعه من ملاحظات وما وضعه من
أطروحات ونظريات، واكتشافاته حول الجيولوجيا وانقراض الثدييات
العملاقة، خلال المسح في سواحل أمريكا الجنوبية.

أَحْسَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَقَطْ بَعْدِيَةِ الْمَاءِ وَطَعْمِ الْفَوَاكِهِ وَاللَّحْمِ فِي
تَذْوِيقِ اللِّسَانِ .

أَنَا أَتَحَدَّثُ عَنِ الْوَحِيدِ ، عَنِ الْوَاحِدِ ، عَنِ الَّذِي يَكُونُ دَائِمًا
وَحْدَهُ .

نورمان، أوكلاهوما

قصيدة الكم

أفكرُ في السماء المُتشدّدة القنوعة
ذات الأضواء المُنعزلة والمفقودة
التي كان إيمرسون يُشاهدُها في ليالٍ كثيرة
من موقع الثلج وقسوة كونكورد.
ثمّة نجومٌ كثيرة هنا.
الإنسان جدّ مُفرط. الأجيال
اللا تُحصى من طيور وحشرات.
من اليبغور يشكّل الثريا ومن الأفعى،
من أغصان تُنسج وتحاك مُتشابكة
من القهوة ومن الرّمْل ومن الأوراق
تتعسّف على الصباحات وتفيض
بمتهاتها الدقيقة عديمة الجدوى.
لربّما تكون كلّ نملة ندعسها
متفرّدة أمام الربّ الذي يعينها
لأجل تنفيذ القوانين
الدقيقة التي تحكّم عالمه الغريب.

ولو لم يُكن الأمر كذلك، سوف يكون الكونُ بكامله
خطأً وفوضى مُرهقة.
مرايا الأبنوس والماء،
والمرآة المُبتكرة للأحلام،
بهق الحجر والأسماك والمرجانُ المُتَشعَّبُ،
وصفوف السلاحف في الزّمن
ويراعات مساء واحد،
وسُلالات الأشجار الشمسيّة،
والحروف المخطوطة بعناية لمجلدٍ ما
لا يَمْحوه الليل، هي بلا ريب
ليست أقلّ خصوصية وإغازًا
منّي، أنا الذي أخلط بينها. لستُ أجروُ
على إصدار حُكم عن الجذام أو عن كاليغولا^(١).

سان بابلو ١٩٧٠

(١) كاليغولا أو كاليجولا Gaius Julius Caesar Augustus Germanicus (أنتيوم ١٢م - روما ٤١) إمبراطور روماني من ٣٧ إلى ٤١م. هو ابن الجنرال الروماني الشهير جرمانيكوس وابن أغريبينا، من الأسرة الحاكمة الأولى للإمبراطورية الرومانية، والمعروفة تقليديًا باسم السلالة اليوليوكلاودية.

الحارس

يمرُّ الضوءُ وأتذكّرُ. يوجدُ هنالك.
يشرعُ في إخباري باسمه، الذي هو (هذا واضحٌ) اسمي.
أعودُ إلى العبوديّة التي توأصلتُ أكثر من سبعِ مرّاتٍ خلال عشرِ
سنواتٍ.

يفرضُ عليّ ذاكرته.
يفرضُ عليّ حالات البؤس لكلِّ يومٍ، الشرط الإنسانيّ.
أنا ممرضه القديم. يُجبرني على أن أغسلَ قدميه.
يترصّدني في المرايا. في خشب الماهون، في زُجاج واجهات
المتاجر.

قد رفضته امرأة أو أخرى ويجبُ أن أشاركه كآبته.
يُملي عليّ الآن هذه القصيدة التي لا تُعجبني.
يُطالبني بالتعلّم المُبهم للأنجلو سكسونيّة العنيدة.
حوّلني إلى العبادة الوثنيّة للجنود القتلى، الذين ربّما لا يُمكن
أن يتبادَلَ معهم كلمة واحدة.
في الجزء الأخير من صُعودي للدّرج أحسُّه بجواري.
يوجدُ في خطواتي، وفي صوّتي.

أنا أكرهه بدقة بالغه .
أنتبه بلذة أنه يكاد لا يرى .
أنا في زناتي الدائرية والجدار اللامتناهي يضيق .
لا أحد منا يخدع الآخر، لكن كلانا يكذب .
نعرف بعضنا كثيرًا، أيها الأخ المُلازم .
تشرب الماء في كأسٍ وتاكلُ خُبزي .
باب المُتحرر مفتوح لكن اللاهوتيين يؤكدون أن في الظلّ
الخلفي للمملكة الأخرى سأكون أنا في انتظار ذاتي .

إلى اللغة الألمانية

اللغة القشتالية قدرتي،
برونز فرانيسكو دي كيفيدو^(١)،
لكن في الليلة المتمهلة التي أقطعها مشياً
ترفعني أنغامٌ أخرى من الموسيقى أكثر حميمية.
إحداها وهبتها عبر الدم-
أواه يا صوت شكسير والكتابة-.
وأخرى بالحظ، وهو كريم،
لكن بالنسبة لك أيتها اللغة الألمانية العذبة،
اخترتُك وسعيتُ إليك، وحيداً.
من ليالي سَهَر وقواعد النحو،
من غابة من التغييرات الصرفية،

(١) فرانيسكو دي كيفيدو Francisco de Quevedo، (مدريد ١٥٨٠- فيانيوفا دي لوس إنفانتيس، ثيوداد ريال، ١٦٤٥) كاتب إسباني من العصر الذهبي للأدب الإسباني، كان واحداً من أبرز الشعراء الإسبان في ذلك العصر. كتب في الشعر والسياسة والسرد الشطاري الساخر، منه روايته الشطارية البوسكون.

ومن القاموس ، الذي لا يُصيب أبدًا
مع الصيغة الدقيقة ، أمضي قريبًا .
تمتلئ لياليّ بفيرجيل ،
قد قلت مرّة ، كان بإمكانني أن أقول أيضًا
بهولدرلين وبأنجليوس سيليسُوس ،
وهاينه أعطاني عنادله العالية ؛
وغوته حظّ حُبّ مُتأخّر ،
وفي الآن ذاته مُتسامح ومُرتزق ،
وكيللر ، الوردة التي تتركها يدُ
في يدٍ ميّتٍ كانت تُحبهُ
والتي لن تعرفَ أبدًا ما إذا كانت بيضاء أم حمراء .
أنتِ ، يا لغة ألمانيا ، أنتِ أثرُ ذاتكِ
الأساسيُّ : الحُبّ المُتشابك
للأصوات المركّبة ، للصّوات
المفتوحة ، والأصوات التي تسمعُ
بالبحر السُداسيُّ اليونانيُّ الجدّيُّ
وهمساتك همسات غاباتٍ وليالٍ .
تملّكتك مرّة . واليوم ، على تُخوم
السنوات المُتعبة أتأمّلك
ناية مثل علم الجبر ومثل القمر .

إلى الحزين

ثمة ما كان: السيف العنيد
للسكسوني وإيقاعات شعره من حديد،
البحارُ وجُزر المنفى
لابن ليرتيس^(١)، القمرُ

الذهبيُّ للفارسيِّ والحدائق اللانهائية
للفلسفة والتاريخ
الذهب القبريِّ للذاكرة
وفي العتمة رائحةُ أزهار الياسمين.

ولا شيء من ذلك يهمّ. لا الممارسة
المستسلمة للشعر تخلّصك،
ولا مياه الحلم ولا النجمة

(١) شخصية من مسرحية هاملت لويليام شيكسبير.

التي في الليلة المنكسرة تنسى الفجر.

امرأة وحيدة في رعايتك،

مثل الأخريات لكنها هي.

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

البحر

البحر. البحر الشاب. بحر عوليس
وبحر عوليس الآخر ذاك الذي اشتهر
لدى أناس الإسلام بلقب
السندباد البحري. البحر ذو الأمواج
الرمادية لإيريك الأحمر، الشامخ في مقدم سفينته.
وبحر ذلك السيد الذي كان يكتب
في الآن ذاته ملحمة ومرثية
وطنه في مُستنقع غوا.
بحر رأس طرف-الغار. ذاك الذي تغنت به
إنجلترا على امتداد تاريخها الطويل،
البحر الشاق الذي أذمى بالمجد
الممارسات اليومية للحرب.
البحر المُستديم الذي في الصباح
الهادئ سوف يُبحر في الرمال اللامتناهية.

إلى الشاعر الأوّل لهنغاريا

في هذا التاريخ الذي هو بالنسبة لك مُستقبلي
الذي لا يبلغ البشارة التي يراها طريقُ
الآتي المحظور في الكواكب
المُشتعلة أو في أحشاء الثور،
لن يُكلّفني شيئاً، أيّها الأخ والظلّ،
أن أبحثَ عن اسمك في الموسوعات
وأن أستكشفَ أيّ أنهار عكست
وجهك الذي هو اليوم تيهٌ وغُبارٌ،
وأيّ ملوكٍ، أيّ أوثانٍ، أيّ سيوفٍ،
أيّ وهجٍ لهنغارياك اللامتناهية،
رفعتَ صوتك نحو الغناء الأوّل.
تُفرّقنا الليالي والبحار،
والتغيّرات الأبدية،
الأقاليم والإمبراطوريات والدماء
لكن يُوحّدنا بشكلٍ لا يُمكن فكّ شيفرته،
الحبّ الملبسُ للكلمات

عادة الأصوات والرموز هذه .
شبيه رامى السهام الأيلي ،
رجلٌ وحيدٌ في مساء أجوف
دع هذا الحنين المُستحيل
يجري دون نهاية والذي غايته عتمة .
لن نلتقي أبدًا وجهًا لوجه
يا سلفي الذي لن يصله صوتي .
أنا بالنسبة لك لست حتى صدى .
وبالنسبة لي فأنا اشتياقٌ وغيبٌ ،
جزيرة سحر ومخاوف ،
مثلما هم ربّما كلّ الرجال ،
مثلما كنت أنت ، تحت نُجوم أخرى .

الحلول

أنا مَنْ كان في الفجر ما بين العشيرة .
مُستلقياً في رُكني من الكهف ،
كنتُ جاهداً أحاولُ أن أغوص
في مياه الحُلم المُعتمة . أطياف حيوانات
جريحة بشظية السهم
أرهبَت الظلمات . شيءٌ ما ،
لربّما تنفيذ وعدٍ ،
موتٌ منافسٍ في الجبل
أو لربّما الحبّ ، وربّما حجرٌ سحريّ ،
قد سلّم لي . لقد ضيَّعته .
مُستنفدةً عبر القرون ، تحتفظُ الذاكرةُ
فقط بتلك الليلة وصباحها .
كنتُ أجنُّ وأخافُ . وبشكلٍ مُفاجئٍ
سمعتُ حشداً أصمَّ لا نهائياً
من قطعٍ يعبرُ الفجر .
قوسٌ من خشب السنديان ، وسهامٌ تنغرسُ ،

تركّتها وركضتُ نحو الصّدعِ
الذي يفتحُ في تخوم الكهفِ .
حينئذ رأيتها . جذوة حمراء ،
قرون قاسية ، والمتمن وعرّ
والهلبُ مُعتمٌ مثل العيون
التي كانت شريرةً تترصدُ . كانت آلافاً مؤلّفة .
قلت : إنها البياسين . لم يسبق
أن تلفّظت شفتاي بالكلمة .
لكنتي شعرتُ أنّ اسمها كان كذلك .
كان الأمرُ كما لو أنني لم أر شيئاً أبداً ،
كما لو أنني كنتُ أعمى وميتاً
أمام بياسين الفجر .
كانت تنبثقُ من الفجر . كانت الفجر .
لم أكن أرغبُ أن يُدنّس الآخرون
ذلك النهرَ الثقيلَ بالفظاظة
الإلهية ، بالجهلة ، وبالتشامخ ،
غير مُبالٍ مثل النجوم .
داست كلباً شاردًا على الطريق .
كانوا سيفعلون الشيءَ ذاته مع رجلٍ .
بعدئذٍ سوف أرسُمُ في الكهفِ

الغواية

يَمْضِي الجنرال كيروغا^(١) إلى جنازته،
يَدْعُوهُ المُرتزق سانتوس بيريث
وفوق سانتوس بيريث يوجد روساس^(٢)،
عنكبوت باليرمو الخفيّ.
روساس، لكونه جباناً ضليعاً في جنبه، يعرف
أنه ليس ثمة أحدٌ بين الرجال
أضعفُ وأشدُّ هشاشةً من الشجاع.
خوان فاكوندو كيروغا متهورٌ
حتى الحماسة. الحدثُ يُمكنُ

(١) خوان فاكوندو كيروغا (سان أنطونيو، لا ريوخا، بلدية قرطبة ديل توكومان، فيريناتو ديل ريو دي لا بلاتا، ١٧٨٨-بارانكا ياكو، قرطبة، ١٨٣٥) كان سياسياً أرجنتينياً، ورجلاً عسكرياً، وحاكماً، وزعيماً في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكان أحد أنصار الحكومة الفيدرالية أثناء الحروب الداخلية في بلاده بعد إعلان الاستقلال. في عام ١٨٣٥، عزز نفوذه القوي والقيادة على العديد من المقاطعات في الأرجنتين.

(٢) خوان مانويل دي روساس Juan Manuel de Rosas (بوينوس أيريس ١٧٩٣ - ساوثهامبتون، ١٨٧٧) سياسي أرجنتيني وقائد عسكري برتبة جنرال، كان حاكماً على بوينوس أيريس خلال فترتين.

أن يستحقّ اختبار كراهيته .
قرّر قتله . يُفكّر ويرتاب .
أخيراً عثر على السلاح الذي كان يبحثُ عنه .
سيكون سلاحه العطشَ والجُوعَ إلى المخاطرة .
يغادر كيروغا باتجاه الشمال . روساس نفسه
يُحدّره عند قدم العربة تقريباً ،
تردّد شائعات عن كون لوبيث
قد أجمع أمره على موته . ينصّحه
ألا يُقبل على الرحلة الجريئة
دون موكب يحرسه . هو ذاته يعرضه عليه .
ابتسم فاكوندو . لا يُحدّد حرساً
لحمايته واكتفى بالتوديع . العربة
التي تُطلق تترك خلفها البلاد الآهلة .
تُعيق فراسخُ من المطر الطويل مساره .
ضبابٌ ووحلٌ وفيضانُ المياه عن ضفافها .
أخيراً تلوحُ قرطبة أمام أبصارهم . ينظرون إليهم
كما لو كانوا أشباحاً لهم . اعتبروهم
جميعاً في عداد الموتى . عشية أمس
قرطبة برُمّتها عاينت سانتوس بيريث
وهو يوزّع السيوف . العصاة
تتكوّن من ثلاثين فارساً من السيرا .

على هذا النحو لم يتم أبداً تدبير جريمة
أكثر وقاحة، سوف يكتبُ سارمينتو.
خوان فاكوندو كيروغا لا ينزعج.
يواصلُ باتجاه الشمال. في سانتياغو ديل إستيرو
يواجهُ أوراقَ اللعب ومُجازفته الجميلة.
بين الغروب والفجر يخسرُ
أو يربحُ مئات الأوقية من الذهب.
ترتفعُ أجهزة الإنذار. بشكل مُفاجئ
يقررُ العودة ويصدر أمره.
عبر تلك الحقول المفتوحة وتلك الجبال
يرجعون باتجاه طرقات الخطر.
وفي مكان يُطلق عليه عين الماء
يكشفُ له مديرُ مكتب البريد
أنّ اللعبة قد عبرت من هناك
وأنّه مكلفُ بمهمة اغتياله
وأنّه ينتظره في مكان يُسمّيه.
لا يجب أن يفِرَّ أحدٌ. ذاك هو الأمرُ الصادر.
هذا ما أعلنه سانتوس بيريث،
القائد. فاكوندو لم يرتعب.
لم يولد بعد ذلك الرجل الذي يجرؤ
على قتل كيروغا، يُجيبه.

الآخرون صاروا شاحبين وصمتوا.
يأتي الليل، وفيه ينامُ فقط
القاتل والقويّ الذي يثقُ
في آلهته المعتمدة. ينبلجُ الفجر.
لن يروا ضوءَ صباحٍ آخر.
إلى أي خاتمة ستنتهي الحكاية
تلك التي سوف يتم حكيها إلى الأبد؟ العربية
تتجه نحو طريق برانكا ياكو.

لا أكادُ ألمحُه حتَّى أكون قد ضيَّعته .
 جدُّ مُحكمة البدلة السوداء المهدَّبة ،
 الجبهة الضيقة والشارب الرفيع ،
 وبوشاح مثلها كلها ،
 يمشي بين أناس المساء
 في غيبوبة عمَّا يُحيط به ودون أن ينظرَ إلى أحدٍ .
 في زاوية من شارع بيدراس
 يطلبُ قدحًا من الكانيا البرازيلية . تلك هي العادة .
 شخصٌ ما يصرخُ في وجهه مودِّعًا . لكنَّه لا يُجيبه .
 ثمَّة في العينين ضغينةٌ قديمة .
 كتلة سكنيةٌ أخرى . أنغامٌ ميلونغا
 تأتيه من الفناء . تلك القيثارات الصغيرة
 تُصيب الصبر دائمًا بالضجر
 ولكن لما يمشي يتأرجحُ وهو لا يعرف ذلك .
 يرفعُ يده ويُلامسُ حزم
 الخنجر في فتحة تحت الإبط من السترة .

سوف يمضي لتحصيل دينٍ . لم يتبقّ إلا القليل .
بضعُ خطواتٍ ثمّ يتوقّفُ الرُّجُلُ .
ثمّةُ زهرةُ شوكٍ في الدهليز .
يَسْتَمعُ إلى وقع الدلو في البئر
وإلى صوتٍ يعرفه جيّدًا .
يدفع البوّابة التي بعد لا تزالُ مفتوحة
كما لو كانوا ينتظرونه . هذه الليلة
رُبّما سيكونُ لديهم قتيلاً .

من قبل، كان الضوءُ يدخلُ في وقت مبكر أكثر
 إلى الغرفة التي تطلّ على الفناء الأخير،
 الآن البيتُ المُجاور المرتفع
 يحجبُ عنها الشمس لكن في الظلّ المُلتبس
 يوجد مُستأجره المُتواضع مُستيقظًا
 مُنذ شروق الشمس. دون أن يُحدث ضجيجًا،
 حتى لا يُزعج الجيران،
 كان الرجلُ يزرعُ و ينتظر.
 يومٌ آخر فارغٌ، مثل الأيام جميعها.
 ودائمًا التهايات القُرحة.
 لم تُعد هنالك نساء في حياتي، يُفكّر.
 يجعلهُ الأصدقاء يُحسُّ بالسأم. يُخمنُ
 أنه هو أيضًا يُشعرهم بالسأم. يتحدثون عن أشياء
 لا يصلُ إليها، عن الرّماة واللوحات.
 لم ينظر إلى الساعة. بلا ضيقٍ
 ينهضُ ويحلقُ ذقنه بمَللٍ

غير مُجْدٍ . يجبُ أن يَمَلأَ الوقت .
الوجه الذي تُرجعه إليه المِرآة
يحفظُ رباطة الجأش التي كانت من قَبْل له .
نحنُ نشيخُ أكثر من وُجوهنا ،
يُفكّرُ ، ولكن ثَمّة توجَدُ الأشداق ،
الشارب الذي صارَ رمادياً ، الفمُ الغائر .
يبحثُ عن القَبعة ويخرج . في الرّدهة
يَنظرُ في صحيفة مفتوحة . يقرأ الحُرُوف الكبيرة .
أزماتٌ وزارية في دُول
هي بالكاد أسماء . ثمّ يتتبه
إلى تاريخ اليوم السابق . يا للارتياح
لم يعد مُضطراً لمواصلة القراءة .
في الخارج ، يمدُّه الصباح
بوهمه المُعتاد بأنّ ثمة شيئاً يبدأ
وبنداءات الباعة .
عبثاً يلفّ الرّجلُ عديمُ الجدوى الزّوايا
والممرّات ويُحاول أن يَضيع .
يُشاهد باستحسان البيوت الجديدة
شيءٌ ما ، ربّما ريحُ الجنوب ، تبثُّ فيه الحياة .
كروثا ريفيرا ، التي تُدعى اليوم قرطبة ،
لا يتذكّر أنه مُنذ سنوات عديدة

كانت خطواته تتحاشاها خطواتها . كُتلتان سكتيتان، أو ثلاث .

يتعرف على درابزين طويل ،

دوائر شُرْفَة حديدية ،

جدار مُشَوِّك بقطع

من الزجاج . ولا شيء أكثر . كل شيء قد تغير .

يتعثرُ على رصيف . يسمعُ سخريّة

بعض الفتيان . لا يهتمُّ بها .

الآن يمشي بمهلٍ أكبر .

فجأة يتوقف . شيءٌ ما قد حدث .

هناك حيث يوجد الآن محلُّ لبيع آيس كريم ،

كان مخزنٌ لافيغورا .

(الحكاية تروي نصف قرن تقريبا)

ثمة شخصٌ مجهولٌ بملامح شريرة

قد ربح رهان مقامرة كبيرة ، خمسة عشر ثم خمسة عشر أخرى ،

لكنه أفسد اللعبة إذ لم يكن اللعبُ نظيفًا .

لم يرغب في الجدال ، بل قال :

وهناك أسلمك المال حتى آخر قرشٍ ،

لكن بعد ذلك لنخرج إلى الشارع .

ردَّ الآخرُ أنّ مع الحديد لن تسيرَ أموره

أفضل ممّا كان الأمر مع أوراق اللعب .

لم تكن ثمة ولا نجمة . أعاره

بينابيدس سكينه . وكان القتال
قاسياً . في الذاكرة هو لحظة ،
توهج وحيد ثابت ، ودوار .
تمدد في طعنة طويلة ،
كانت كافية . ثم أخرى ، في حال ما إذا لم تف .
سمع سقوط الجسد والحديد .
حينئذ فقط شعر للمرة الأولى
بالجرح في رسغه ورأى الدم .
حينئذ كانت قد انبثقت من حلقة
كلمة سيئة ، كانت تجمع
ما بين الابتهاج والغضب والارتياح .
كلّ هذه السنوات وفي النهاية استعاد
سعادة أن يكون رجلاً وأن يكون شجاعاً
أو ، على الأقل ، أنه كان كذلك
في وقت ما ، في يوم أمس من الزمن .

هينغيست يُريد رجالاً (م ٤٤٩)

هينغيست يُريدُ رجالاً .
سوف يأتون من تُخوم الرّمال التي ضاعت في البحار المُمتدّة، من
الأكواخ
المليئة بالدخان، من أراض فقيرة، من غابات عميقة للذئاب،
التي في مركزها
اللامُحدّد يوجدُ الشرّ .
سوف يتركُ المزارعون المحراث والصيادون الشباك .
سوف يتركون زوجاتهم وأبنائهم، لأنّ الإنسان يعرف أنّه في أيّ
مكان
من الليل يُمكن أن يعثرَ عليهم ويخلقهم .
هينغيست المرترق يُريد رجالاً .
يُريدُهم لكي يهزم جزيرة لم تُسمَّ بعدُ إنجلترا .
سوف يتبعونه خاضعين وقُساء .
يعرفون أنّه كان دائماً الأوّل في معركة الرّجال .
يعرفون أنّه نسيّ ذات مرّة واجبه في الانتقام وأنّه مُنحَ السيفَ
عارياً وأنّ السيفَ عمِلَ عمله .

سوف يقطعون البحار مُجدِّفين ، دون بَوصلةٍ ودون ساريةٍ .
سوف يجلبون سُيوفًا وأتراسًا ، وخوذات في شكل خنزير برِّيّ ،
وتعويذات
لكي تتضاعف الغلال ، ونظريّات غامضة في نشأة الكون ،
وأساطير عن الهون والقوط .
سوف يغزون الأرض ، لكنهم لن يدخلوا أبدًا المُدن التي تخلت
عنها روما ،
لأنها أشياء جدّ معقّدة بالنسبة لعقلهم البربريّ .
هينغيست يُريدُهم من أجل النَّصر ومن أجل التَّهَب وفساد الجسد
ومن أجل النسيان .
هينغيست يُريدُهم (لكنّه لا يعرف ذلك) من أجل تأسيس أكبر
إمبراطورية ،
لكي يُغني شكسبير ووايتمان ، ولكي تُسيطر على البحر سُفن
نيلسون ،
ولكي يتعدّ آدم وحواء عن الفردوس الذي فقدها مُمسكين بأيدي
بعضهما وصامتين .
هينغيست يُريدُهم (لكنّه لا يعرف ذلك) لكي أخطّ أنا هذه
الحروف .

إلى أيسلندا

من مناطق الأرض الجميلة
التي أتعبت جسدي وظله
أنت الأكثر قدماً والأكثر حميمية،
ثولي الأخيرة، أيسلندا السفن،
أيسلندا المحراث العنيد والمجذاف المُستديم،
الشباك البحرية الممتدة،
ذلك الضوء الغريب للمساء الثابت
الذي يسكب السماء الملتبسة من الفجر
ومن الريح التي تبحث عن أشعة سفن
الفايكنج التائهة. أيتها الأرض المقدسة
التي كنت ذاكرة جرمانيا
وأنقذت أساطيرها
من غاب حديديّ وذئبه
ومن السفينة التي تخافها الآلهة،
منحوتة بأظافر الموتى.
أيسلندا، لطالما حلمت بك
منذ ذلك الصباح لما أعطى والدي

لذلك الطفل الذي كُنْتُه والذي لم يُمْت
نُسخة من كتاب مَلحمة فولسونغا^(١)
التي يفكّ شيفرتها الآن ظليلي
بمُساعدة القاموس المُتمهّل .
عندما يتعبُ الجسد من إنسانه ،
عندما تتلاشى النارُ وتصيرُ رمادًا ،
يكون التعلّم المُستسلم جيّدًا
من مشروع لانهائيّ ، وأنا قد اخترتُ
مشروع لغتك ، تلك اللاتينية للشمال
التي امتدّت إلى سُهوب وبحار
نصف كُرة أرضيّة ودوّى صداها في بيزنطة
وفي الهوامش العذراء لأمريكا .
أعلمُ أنّي لن أعرفها لكن تنتظرني
الهبّات المُحمّلة للبحّث ،
وليست الثمرةُ بعيدة المَنال في حكمة .
الأمرُ ذاته سوف يشعرُ به أولئك الذين يستقصون
النجومَ أو سلسلة الأرقام . . .
فقط الحُبّ ، الحُبّ الجاهل ، يا أيسلندا .

(١) ملحمة فولسونغا هي ملحمة اسكندنافية أسطورية من أصل إيسلندي تحكي تاريخ عشيرة فولسونغ عبر الأجيال . إنها حكاية مغامرات وحب ومأساة يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر ولكن مصادرها ترجع إلى ما قبل ذلك بكثير وهي مدونة في النصوص القديمة .

إلى قطّ

لم تُعدّ المرّايا أشدّ صمّتًا
ولا الفجر المُغامر أكثر خفاءً
أنت، تحت ضوء القمر، ذلك الفهد
الذي نستطيعُ أن نُشاهدَه من بعيد.
عبرَ عمل لا يُمكن فكّ شيفرته بأحكام
إلهيّة، عبثًا نبحثُ عنك،
وأنت أكثر قِدَمًا من نهر الغانج ومن الغروب،
لك الخلوة ولك السرّ.
متنك يتيحُ المُداعبة
التمهّلة ليدي. قد سلّمتَ
مُنذ تلك الأبدية التي صارتِ الآنَ نسيانًا،
محبّة اليد المُرتابة.
في زمن آخر أنت. أنت سيّدُ
مجالٍ مُغلقي كالحلم.

إيست لانسينغ

النهارُ والليالي
تُنسجُ (تتشابك) من الذاكرة والخوف،
من الخوف الذي هو شكلٌ من الأمل،
من ذاكرة، الاسم الذي نُطلقه على شقوق النسيان العنيد.
قد كان زمني دائماً يانوسُ بوجهين
ينظر إلى الغروب والفجر.
غايتي اليوم أن أحتفلَ بك، أيها الآتي الفوريّ.
مناطق الكتاب المقدس والفأس،
أشجارٌ سوف أنظرُ إليها دون أن أراها،
رياح بعصافير أجهلُها، ليالي برْد لطيفة
سوف تمضي غامرة في الحلم وربما في الوطن،
مفاتيح الضوء وأبوابٌ دوّارة ومع الزمن ستصيرُ عادات،
صحوات سأقول فيها اليوم هو اليوم،
كُتب ستعرفها يدي،
أصدقاء وصديقات سيصيرون أصواتاً،
رماؤُ الغرب الصفراء، اللونُ الوحيد المتبقّي لي،

كلّ هذا أغنيّه وأيضًا
الذاكرة اللا تُحتملُ لأماكنَ في بوينوس آيريس
التي لم أكن فيها سعيدًا.
والتي لن أستطيعَ أن أكون فيها سعيدًا.
أغنيّ عشية شفقك، يا إيست لانسينغ،
وأعلمُ أنّ الكلمات التي أمليها ربّما هي دقيقة،
لكنّها ستكونُ زائفة بحذقٍ
لأنّ الواقع لا يُمكن إدراكه
ولأنّ اللغة نظامٌ من علامات جامدة.
ميشيغان، إنديانا، ويسكونسن، أيوا، تكساس، كاليفورنيا،
أريزونا:
سوف أحاولُ أن أغنيك.

٩ مارس ١٩٧٢.

إلى القيوط

خلال قرون عانت الرمال
اللامتناهية للفلوات العديدة
من خطواتك الكثار ومن عوائك
عواء ابن آوى الرماديّ أو ضبع شره.
أقلتُ خلال قرون؟ أكذبُ. تلك المادّة الخفيّة،
التي هي الزّمن، لا تصيبك، أيّها الذئبُ.
لك الكينونة الخالصة، لك الشّرد،
ولنا الحياةُ المُتثاقلة والمُتعاقة.
قد كنتُ أشبه بعواء خياليّ
في تُخوم صحراء أريزونا حيث يتأجّجُ
عواؤك المُنعزل التائه.
أنت رمزٌ لليلة كانت لي،
فلتكن مرآتك المُلبسةُ هذه المرثية.

ذهبُ النَمور

حتّى وقت الغروب الأصفر
كم مرّة كنتُ قد نظرتُ
إلى نمر البنغال العظيم
وهو يمضي ذهابًا وإيابًا عبر الطريق المحدّد سلفًا
خلف القضبان الحديدية
دون أن يرتاب في أنّها سجنه .
ثمّ ستأتي نَمورٌ أخرى،
النمر الناريّ لبليك^(١)،
سوف تأتي أشكالُ الذهب الأخرى،
المعدن العاشق الذي كان عليه زيوس،
الحلقة التي خلال كلِّ تسع ليالٍ

(١) وليام بليك William Blake (لندن، ١٧٥٧-١٨٢٧) شاعر رومانسي إنجليزي، تعتبر أعماله ذات أهمية بالغة في مسار تطور الشعر الإنجليزي، اعتبره العديد من الذين عاصروه مجنونًا مثلما لم يقدره كعبقري ولم يحترموا أعماله، لكنها اليوم تعدّ علاماتٍ فارقةٍ سواء في الشعر أو في الفنون البصرية.

كانت تخلقُ تسع حلقات وهذه الأخرى تسعًا،
ولا نهاية هناك .

على مدى الأعوام صارت الألوان
الجميلة الأخرى تهجرني
والآن قد تبقى لي فقط
الضوء الملبس، والعتمة المتشابكة
وذهب البداية .

أواه يا أوقات الغروب، أيتها النمر، يا توهجات
الأسطورة والملحمة .
يا له من ذهب ثمين، شعرك،
الذي تشتهي هاتان اليدان .

إيست لانسينغ ، ١٩٧٢ .

تدوينات

[١] تيمورلنك. قرأ تيمورلنك المسكين، في أواخر القرن التاسع عشر، مأساة كريستوفر مارلو وبعض كتب التاريخ.

[٢] في «قصائد تانكا»، أردت أن أقوم بتكييف قياساتنا العروضية على المقطع الشعري الياباني الذي يتكوّن من بيت شعريّ أوّل ذي خمسة مقاطع، وآخر من سبعة، وآخر من خمسة واثنين آخرين من سبعة. من يدري كيف ستكون هذه التمارين لدى سماعها من قبل الآذان الشرقية. الشكل الأصليّ يستغني أيضًا عن القوافي.

[٣] ذهب النمرور. بالنسبة لحلقة الليالي التسع، يُمكن للقارئ ذي الفضول المعرفيّة أن يراجع الفصل ٤٩ من الإيدا الصغير. كان اسم الحلقة دراوبنير Draupnir (أي المُزعج).

الفهرس

متاهة لا مخرج لها ٥

الآخر هو ذاته (١٩٦٤)

٣٧	مقدمة
٤٥	سهاد
٥١	قصيدتان إنجليزيتان
٥٤	الليلة الموسميّة
٥٨	عن الجحيم والجنة
٦١	قصيدة حدسيّة
٦٥	قصيدة العنصر الرابع
٦٩	إلى شاعر الأنطولوجيا الصغير
٧١	صفحة لاستحضار العقيد سواريث المنتصر في معركة خونين ..
٧٤	ماثيو، XXV، ٣٠
٧٦	بوصلة
٧٨	مفتاح في سالونيك
٧٩	شاعر من القرن الثالث عشر
٨٠	جندي أوريينا
٨١	حدود

٨٤ بالتاسار غراثيان
٨٧ سكسوني (٤٤٩ م)
٩٠ الغوليمُ
٩٥ التانغو
٩٩ الآخرُ
١٠٠ وَرْدَةٌ وَمِيلْتُون
١٠١ قارئان
١٠٢ يوحنا، I، ١٤
١٠٣ اليقظة
١٠٤ إلى الذي لم يُعد شابًا
١٠٦ ألكسندر سيلكيرك
١٠٨ الأوديسة، الكتاب الثالث والعشرون
١١٠ هو
١١١ سارميينتو
١١٣ إلى شاعر صغير من ١٨٩٩
١١٤ تكساس
١١٦ تأليف مكتوب في نسخة من «ملحمة بيولف»
١١٨ هينغيست سينينغ
١٢١ شذرةٌ
١٢٣ إلى سيف في كاتدرائية يورك
١٢٥ إلى شاعر سكسوني
١٢٧ سنوري سترلسون (١١٧٩-١٢٤١)
١٢٩ إلى كارل الثاني عشر
١٣١ إمانويل سفيدنبوري

١٣٢	جوناثان إدواردز (١٧٠٣-١٧٨٥)
١٣٤	إيمرسون
١٣٦	إدغار ألان بو
١٣٨	كامدن، ١٨٩٢
١٤٠	باريس، ١٨٥٦
١٤٢	رافائيل كانسينوس آسيس
١٤٤	الألغازُ
١٤٥	اللحظة
١٤٦	إلى النيذ
١٤٨	سوناة النيذ
١٤٩	١٩٦٤
١٥١	الجوع
١٥٤	الغريب
١٥٧	إلى قارئي
١٥٨	الخيمايئي
١٦٠	شخصٌ ما
١٦٢	Everness
١٦٤	Ewigkeit
١٦٦	أوديب واللغز
١٦٧	سبينوزا
١٦٨	إسبانيا
١٧١	مرثية
١٧٣	Adam cast forth
١٧٥	إلى قطعة نقدية

١٧٧	قصيدة أخرى للهبات
١٨٣	أودا كتبت عام ١٩٦٦
١٨٦	الحلم
١٨٧	خونين
١٨٨	جندِيّ من جنود لي (١٨٦٢)
١٩٠	البحر
١٩١	صباح من عام ١٦٤٩
١٩٣	إلى شاعر سكسوني
١٩٤	بوينوس أيريس
١٩٥	بوينوس أيريس
١٩٦	إلى الابن
١٩٧	الخنجر
١٩٩	الأصدقاء الأموات

لأجل الأوتار الستة (١٩٦٥)

٢٠٣	مقدمة
٢٠٥	ميلونغا الأخوين
٢٠٨	أين مضوا؟
٢١١	ميلونغا خائنتو شيكلانا
٢١٤	ميلونغا دون نيكاتور بارديس
٢١٨	سكين في الشمال
٢٢٠	الدمية
٢٢٢	ميلونغا السُّمُر
٢٢٥	ميلونغا لأجل الشرقيين

٢٣٠ ميلونغا ألبورنووث
٢٣٢ ميلونغا مانويل فلوريس
٢٣٤ ميلونغا كالاندريا

مديح العتمة (١٩٦٩)

٢٣٩ مقدمة
٢٤٣ يوحنا، I، ١٤
٢٤٦ هيراقليديس
٢٤٨ كمبريدج
٢٥١ نيو إنغلاند، ١٩٦٧
٢٥٢ جيمس جويس
٢٥٤ The Unending Gift
٢٥٥ ٢٠ مايو ١٩٢٨
٢٥٧ ريكاردو غويرالديس
٢٥٩ المَتَاهَةُ
٢٦١ مَتَاهَةُ
٢٦٢ في عتمة ما، ١٩٤٠
٢٦٤ الأشياء
٢٦٥ رباعيات
٢٦٧ إلى إسرائيل
٢٦٩ إسرائيل
٢٧١ يونيو، ١٩٦٨
٢٧٣ حارس الكتب
٢٧٦ سلالة الغاوتشو

٢٧٩	أثيفيدو
٢٨١	استحضار لجويس
٢٨٤	إسرائيل، ١٩٦٩
		نسختان من: الفارسُ والشيطانُ والموتُ
٢٨٦	<i>Ritter, Tod und Teufel</i>
٢٨٩	بوينوس أيريس
٢٩٣	شذرات من إنجيل مُتتحل
٢٩٧	قارئ
٣٠٠	مديح العتمة

ذهب النمر (١٩٧٢)

٣٠٥	مقدمة
٣٠٧	تيمورلنك (١٤٠٥-١٣٣٦)
٣١١	الماضي
٣١٥	قصائد تانكا
٣١٨	سوسانا بومبال
٣٢٠	إلى جون كيتس (١٧٩٥-١٨٢١)
٣٢٢	<i>On his blindness</i>
٣٢٣	البحث
٣٢٥	المفقود
٣٢٦	خ. م.
٣٢٨	ديانة الطيب ١٦٤٣
٣٢٩	١٩٧١
٣٣١	أشياء

٣٣٥	المُهَدَّد
٣٣٧	الغاوتشو
٣٤٠	أنت
٣٤٣	قصيدة الكمّ
٣٤٥	الحارس
٣٤٧	إلى اللغة الألمانية
٣٤٩	إلى الحزين
٣٥١	البحر
٣٥٢	إلى الشاعر الأوّل لهنغاريا
٣٥٤	الحلول
٣٥٧	العَوَاية
٣٦١	١٨٩١
٣٦٣	١٩٢٩
٣٦٧	هينغيست يُريد رجالاً (٤٤٩ م)
٣٦٩	إلى أيسلندا
٣٧١	إلى قطّ
٣٧٢	إيست لانسينغ
٣٧٤	إلى القيوط
٣٧٥	ذهبُ النمر
٣٧٧	تدوينات

هذا الكتاب

أودُّ أن أقدمَ الشُّكرَ للمتاهة
الإلهية للأسباب والآثار المترتبة
على تنوع الكائناتِ
التي تُشكِّلُ هذا الكونَ المُتفرِّدَ،
على العقلِ الذي لن يُكفَّ عن الحُلُمِ
بدليلٍ للمتاهةِ،
على وجهِ إيلينا ودأبِ عُوليسَ،
على الحُبِّ الذي يجعلُنَا نرى الآخرينَ
مثلما يراهُمُ الإلهُ.

الغلاف : سكيته صلون

ISBN 978-9922630632



9 789922 630632

